الحرب الناعمة ...

الاهداف وسبل المواجهة

إعداد

الشيخ كاظم الصالحي

التصميم والإخراج الفني

علي صاحب البرقعاوي

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

سياسة / ثقافة / دين

- النجف الأشرف -

- الفهرست -





باسمه تعالى

كلمة المـركز:-

اذا كانـت القوة الصـلبة هي التي تسـيطر على المظاهر الخارجية للانسـان والمجتمـع من خلال الحروب واسـتخدام السـلاح حيث تقهر الانسـان والمجتمـع على الخنوع والاستسـلام، فالقـوة الناعمة هي التي تسيطر على الانسان و المجتمع من خلال التحكم بمشاعره وعقله وعواطفه؛ من دون استخدام الاجبار والاكراه والسلاح، بل من خلال انجذاب الانسان اليها طواعية.

القـوة الناعمـة وان لم تكن وليـدة اليوم بل تضرب بجذورهـا في عمق التاريخ البشـري، لكنها اصبحت بفضـل التقنيات الحديثـة وبسبب الآثار السلبية للقوة الصلبة، من اهم السياسات والطرق المستخدمة للسيطرة على الانسان والمجتمع.

القـوة الناعمـة لاتختص بدولـة دون دولة او بحـزب ومذهب دون حـزب ومذهب آخر، بـل هي عامة ومتاحـة للجميع، إذ إن روافدهـا عامة تشمل وسائل الاعلام، العلم والمعرفة، الثقافة والفن وغيرها من الامـور التي يعيشهـا الانسان يوميا وربما لا يشعر بها لقربها منه لكنها تؤثّر فيه وتحدّد سلوكه الفردي والاجتماعي (الايجابي أو السلبي على حدّ سواء).

انّ ادوات القـوة الناعمة التـي تصوغ شخصية الانسان وتحدد مسيره ومصـيره متعدّدة حسب المؤثرات التي يتأثّر بها الانسان، وذلك انّ الانسان ليس ذا بعد واحد بل هو متعدد الأبعاد يتأثر بالامور العقلية والحسيـة والعاطفيـة وغيرها، وهذه المؤثرات هي التي يحاول أصحـاب القرار التأثيرعليها لصناعة ما يحلو لهم من انسان ومجتمع.

وعليـه كان لزامـاً علينـا التعـرّف على هذه القـوة والوقوف التـام على ابعادهـا واهدافهـا لاستخدامها استخدامـاً صحيحـا لدعم مبادئنا القويمة مـن جانب، والوقوف على مخططات العـدو وعدم الوقوع في فخه من جانب اخر، وهذا ما يتكفّله هذا العدد من ملحق الرصد انشاء الله تعالى..

الفصل الاول:-

الحرب الناعمة ..الخصائص والادوات والاهداف

المبحث الاول: تعريف القوة وخصائصها [١]

(١) سياسات القوة الذكية ودورها في العلاقات الدولية - د. كريم أبو حلاوة- ٢٠١٥/١٢/٢٠

لا يختلف الباحثون والمهتمون بالعلاقات الدولية على مصادرة في علم السياسة، تقول : إن التاريخ الانساني محكوم بالقوة، بل هو في تجسده الواقعي حصيلة صراع القوى والنتيجة المعبرة عن هذا الصراع في مختلف مراحل التطور الانساني.

لكن أشكال القوة وتمظهراتها هي التي تختلف من عصر إلى آخر، فقد كانت القوة العسكرية هي الحاكمة، ثم شيئا فشيئا بدأت القوة الاقتصادية تتعاظم لتصبح أبرز مظاهر القوة مع الانتقال إلي المجتمع الصناعي، واليوم يشهد العالم تحوّلا حاسما مع الانتقال إلى ما يسمى مجتمع المعرفة أو عصر المعرفة، بحيث أصبحت المعرفة العلمية مع تطبيقاتها التقنية الآقدر على إنتاج القيمة المضافة العالية، بل وأكثر من ذلك، لم يعد بمقدور بلد ما أن يكون قويا عسكريا او اقتصاديا دون أن يتمكن من توظيف وإنتاج المعرفة بكفاية في مختلف مجالات الحياة .

فما المقصود بالقوة الناعمة؟ وما علاقتها بالقوة الذكية؟ ثم إلى أي حد اختُبرت القوة الذكية في إدارة العلاقات الدوليةّ؟

تعريف القوة:-

على الرغم من أن فلاسفة وعلماء الاجتماع والسياسة و الاستراتيجيين العسكريين قد استفاضوا منذ القدم في تناول مفهوم القوة واختلفوا في تعريفه، إلا أن تلك الاختلافات لم تكن جوهرية بالقدر الكبير. وقد ورد في قواميس تلك العلوم العديد من تعريفات القوة ومنها:

علم الاجتماع: " القدرة على إحداث أمر معين، وتأثير فرد أو جماعة بطريقة ما على سلوك الاخرين.

علم العلاقات الدولية: يرى كارل فريدريك أن القوة هي " القدرة على إنشاء علاقة تبعية فعند القول إ ن لإنسان ما قوة سياسية تفوق قوة الاخرين هذا يعني ان الاخرين يتبعون نظام افضليته والقوة ليست مجرد تسلط ولكنها تتضمن أيضا القدرة على الاستمالة والنفوذ لدى الاخرين،ويرى أن الاستخدام الماهر والذكي للقوة يمكن الطرف (أ) أن يجعل الطرف (ب) يفعل ما يريد دون قهر أو إرغام، بمعنى: يمكن تحويل القهر إلى اتفاق وتزامن كنفوذ جماعات الضغط في المجتمعات المتحضرة. أما سبيكمان فيرى إلى القوة بوصفها القدرة على البقاء على قيد الحياة،والقدرة على فرض إرادة الشخص على الاخرين، والمقدرة ايضا على إملاء هذه الإرادة على أولئك الذين لا قوة لهم وإمكانية إجبار الاخرين الآقل قوة على تقديم تنازلات في حين يعرف كل من مكيافيلي وهوبز ومورغنثو القوة على أنها الوسيلة والغاية النهائية التي

تعمل الدولة للوصول إليها في مجال العلاقات الدولية

علم الجيوبوليتيك : بيّن راتزل أن الدولة كائن حي يحتاج إلى النمو والتطور حتى لو كان عن طريق القوة.

علم السياسة : يعتبر علماء السياسة أن مفهوم القوة هو المفهوم الرئيس في علم السياسة بل من المفاهيم الرئيسة في العلوم الاجتماعية كلها من ناحية أخرى، فإن السياسة ترتبط بشكل وثيق مع القوة، كما أن البحث عن القوة يميز السياسة عن الآنواع الآخرى من النشاط الإنساني. وقد أسفر علم السياسة عن ثلاثة اتجاهات لتعريف القوة هي:

الاتجاه الأول : يعرف القوة بأنها القدرة على التأثير في الغير، وهي القدرة على حمل الاخرين للتصرف بطريقة تخدم مصالح مالك القوة.

الاتجاه الثاني: القدرة على المشاركة الفعالة في صنع القرارات المهمة في المجتمع.

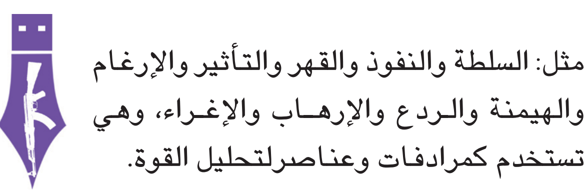
الاتجاه الثالث: أنها التحكم والسيطرة المباشرة وغير المباشرة لشخص معين أو جماعة معينة على أوجه إثارة القضايا السياسية أو عملية توزيع القيم وما يترتب عليها من مقدرة في تقرير أو تأثير في الموقف، في الاتجاه الذي يفضله صاحب القوة.

الفكر الاستراتيجي: يقصد بقوة الدولة فاعلية الدولة ووزنها في المجال الدولي الناتجان عن قدرتها على توظيف مصادر القوة المتاحة لديها في فرض إرادتها وتحقيق أهدافها.

وتجدر الإشارة إلى نقطتين هامتين:

الآولى: أن مصادر وأنواع القوة مهما تعددت لا تكتسب وزنا وقدرة على التأثير ما لم يرتبط ذلك بالقدرة (الإ رادة) على تحويل مصادر القوة المتاحة إلى طاقة مؤثرة وسلاح فعال للتأثير في إرادة الاخرين.

الثانية: هناك مفاهيم متداخلة مع مفهوم القوة،



مثل: السلطة والنفوذ والقهر والتأثير والإرغام والهيمنة والردع والإرهاب والإغراء، وهي تستخدم كمرادفات وعناصرلتحليل القوة.

مصادر وخصائص القوة .

كما تتعدد أنواع القوة بين قوى اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وتكنولوجية، وعسكرية... الخ تتعدد وتتنوع مصادرها أيضا. فهناك شبه إجماع من بين مفكري الجغرافيا السياسية أن مصادر القوة والتي تحدد قيمة الدولة من الناحية السياسية يمكن إبرازها في عدة عوامل هي: العوامل الطبيعية – العوامل الاقتصادية – العوامل البشرية – القدرة الدبلوماسية – القدرة العسكرية– القدرة السياسية.

اما خصائص القوة فهي:

١. القوة هي جوهر العلاقات الدولية، كما أن السلطة هي جوهر السياسة والفارق بين القوة والسلطة هو أن الآخيرة تتضمن الآولى لكنها ترتبط بغاية وهي تحقيق وحدة الجماعة عبر وسيلة الاحتكار الشرعي لأدوات القمع، وبمعنى آخر السلطة التي يدور حولها الصراع في السياسة الداخلية هي سلطة متمركزة في الحكومة التي تحتكرها لتحقق الوحدة والاستقرار اللذين يخدمان مصالحها. أما القوة التي يدور الصراع حولها بين الدول ليست متمركزة ولا منظمة، والهدف منها تحقيق المصالح القومية لكل دولة وهي مصالح متعددة ومتعارضة بطبيعتها، الآمر الذي يفسر طابع العداوة والحرب الذي يغلب على العلاقات الدولية، والناتج عن فرض كل دولة لإرادتها وتحقيق مصالحها في ظل غياب سلطة عليا

• القوة الناعمة هي القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً عن الإرغام .

تحتكر أدوات القمع.

٢. القوة ليست هدفا في حدّ ذاتها وإنما وسيلة لممارسة النفوذ والتأثير وضمان تحقيق أهداف الدولة.

٣. قوة الدولة نسبية ويتوقف تقديرها على القدرة على تحويل مصادر القوة المتاحة أو الكامنة إلى قوة فعالة؛ وعلى محصلة الطرف الاخر، فقد تتساوى دولتان في امتلاك مصادر القوة نفسها إلا أن قدرة إحداهما وعدم قدرة الآخرى على التوظيف الفعلي لأحد تلك المصادر أو جميعها يجعل الآقدر منهما أقوى نسبيا. ومن ناحية أخرى وزن قوة الدولة في تغير مستمر نتيجة للتغير في أهمية مصادر القوة المتاحة لديها أو للطرف الاخر، أو لما قد يطرأ من تغير على العلاقات بين الدول من تبدلات تؤثر في أوزان قوتها كالحروب أو المعاهدات أو التحالفات أو الانقسامات...الخ.

٤.القوة صناعة وإرادة فرضتهما طبيعة العلاقات الدولية في ظل غياب السلطة الدولية، الآمر الذي أجبر الدول على السعي بشتى الوسائل والطرق إلى صنع مصادر القوة والعوامل المهنية لتفعيلها بوصفها الضمان الحقيقي لأمنها واستقرارها. وخير مثال على هذا قوة كل من اليابان وألمانيا مقارنة بأوضاعهما في نهاية الحرب العالمية الثانية.

٥. تتدرج ممارسة القوة بين التأثير بالطرق الدبلوماسية من جهة وبين أسلوب الإجبار والقسر من جهة ثانية، وعند اللجوء إلى استخدام القوة نكون قد وصلنا لمرحلة العجز عن الحل بالطرق السلمية.

دور القوة في العلاقات الدولية.

يُعدّ مفهوم القوة من المفاهيم الدارجة الاستخدام في العلوم السياسية بعامة في حقل العلاقات الدولية بخاصة، حيث تأخذ القوة شكلها الصريح على المستوى الدولي كأسلوب للتعامل بين الدول نظرا لغياب المؤسسات الدولية الكفيلة باتخاذ الإجراءات اللازمة لحل الصراعات والنزعات الدولية. بالإضافة إلى أنها من المفاهيم القديمة المتجددة في السياسة الدولية منذ عهد أرسطو، أما في عصرنا الحالي فإننا نجد هانس مورغنثو وهو من أبرز المدافعين عن سياسة القوة حيث يرى أن السياسة الدولية "صراع من أجل القوة بما تضمنه من سيطرة على عقول وتصرفات الاخرين ، ويتحدد دور الدولة ووزنها في المجال الدولي بحجم مواردها المادية والبشرية التي تضعها في خدمة عملها الدبلوماسي والاستراتيجي، لذا من واجب الدول أن ترسم لنفسها أهدافا تستطيع مواردها تحقيقها، على أن يكون العكس ليس صحيحا.

وتلعب القوة في العلاقات الدولية اليوم دورا يختلف عن السابق وذلك بحكم تبدل أهداف الدول ، فعلى سبيل المثال في الماضي كان هدف الدول الوصول إلى موقع قوة يتفوق نسبيا عن الدول المجاورة لها، وعلى الحصول على مكاسب اقتصادية و معظم مفاصل التاريخ مصاغة على هذا الآساس: "ففي القرن السادس عشر، كانت السيطرة والتأثير لإسبانيا، بواسطة السيطرة على الذهب والتجارة الاستعمارية، وعلاقات الآسر الحاكمة، وفي القرن السابع عشر، كانت السيطرة لهولندا بواسطة التجارة ورأس المال، وفي القرن الثامن عشر، كانت السيطرة لفرنسا، بالثقافة والصناعات الريفية والإدارة العامة". وكان وزن الدولة في العلاقات الدولية، يقاس على أساس قوتها العسكرية التي تحتكم إليها، أي بالجيوش المدربة والمنظمة، والآسلحة المتفوقة، و جلد الجنود والمقاتلين ومهارتهم .لكن هذا المعيار العسكري لم يعد حاسما أو فريدا في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، بل لربما أصبح عبئا اقتصاديا، ومصدر نزيف بشري ومادي،



قد يـؤدي للضعف والتراجع وربمـا للانهيار.. في حين أصبحت الـدولـةً الان أكـثر اهتماما بـالمكاسب الاقتصادية المطلقة التي تمكن مواطنيها من التمتع بمستوى عال من الرفاه الاقتصادي والاجتماعي، وهـذا يتٍطلب عالما مستقرا حتى يكون التعاون الاقتصادي الدولي ممكنا فيه، والمشكلات الآكثر صعوبة في العالم لا يمكن حلها إلا عبر الجهود المشتركة. ونتيجة لتغير مفهوم القوة في النظام الدولي الحالي من عسكري إلى اقتصادي ترتب عليه ما يلي:

–أصبحت هناك دول بـالرغم من امتلاكها قدرات عسكرية فائقة إلا أن أمنها مهدد مثل روسيا.

– دولة لا تمتلك قدرات عسكرية كبيرة لكن أمنها غير مهدد مثل اليابان.

– تغيرت طبيعة التحالفات من تحالفات عسكرية إلى تحالفات اقتصادية مثل: النافتا، والاتحاد الآوربي، وآسيان، وأبيك...الخ. وأصبح المحرك الاقتصادي للاقتصاد العالمي الجديد مكونا من صناعات الآنفوميديا وهي الحوسبة والاتصالات الإلكترونية التي تعد أكبر الصناعات العالمية حيث بلغ رأسمالها أكثر من ٣ ترليونات دولار.

– بـروز ظاهرة الاعتماد المتبادل بين الدول والتزايد في ظهور الشركات متعددة الجنسيات وتعاظم دورها على الصعيد العالمي.

– عولمة المشكلات والقضايا التي تواجهها الجموع البشرية: كالفقر والبطالة والتخلف والتلوث البيئي والانفجارات السكانية وغيرها من القضايا، حيث خرجت هذه المشكلات من نطاق الدولة الواحدة.

– تراجع مكانة الدولة في العلاقات الدولية وذلك بفعل مجموعة من التحديات:

–بـروز فاعلين أقوياء في ساحة العلاقات الدولية مثل: الشركات متعددة الجنسية والمنظمات الدولية والإقليمية وغير الحكومية ورجال الآعمال والآسواق التجارية..الخ.

–التحول في سلوك المنظمات الدولية التي كانت في السابق عبارة عن مؤسسات تابعة للدولة القومية، أما الان فلها وجود مستقل عن ارادة الدول المنشئة لها وخير دليل على ذلك إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٩١ المؤيد للتدخل الإنساني من دون طلب أو موافقة الدولة المعنية على ذلك، وهذا ما حدث في الصومال عندما استخدمت القوة لصالح المدنيين.

– حالة التباين الشديد بين وحـدات النظام الـدولي من حيث القوة والحجم على الرغم من تمتعها بالمساواة والسيادة أمام القانون، حيث نلاحظ أن العلاقة بين دول الشمال والجنوب غير متوازنة، فعلى صعيد التجارة الدولية تستحوذ دول الشمال على ٩٪ من إجمالي الناتج والاستهلاك العالميين في حين تستحوذ دول الجنوب بكثافتها السكانية العالية على ١٠ ٪ من الإنتاج والاستهلاك نفسيهما، وبذلك تركزت التجارة العالمية بين عدة أطراف ممثلة بدول " التريـاد" وهي الاتحاد الآوربي واليابان والـولايـات المتحدة ودول جنوب شرق آسيا حديثة التصنيع، حيث تستأثر هذه الدول بما يعادل ٨٧ ٪ من الواردات العالمية و ٩٤ ٪ من الصادرات العالمية من السلع المصنعة. كما أن سيطرة الشمال على الثورة العلمية التكنولوجية زاد الهوة التكنولوجية بين الشمال والجنوب.

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

تعريف القوة الناعمة:

عرف البروفسورجوزيف ناي[1] القوة الناعمة بانها " القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً عن الإرغام، وهي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج والأهداف المتوخاة بدون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للعوامل والوسائل العسكرية والصلبة، وهذا ما حصل مع الاتحاد السوفياتي حيث تم تقويضه من الداخل، لأن القوة لا تصلح إلا في السياق الذي تعمل فيه، فالدبابة لا تصلح للمستنقعات، والصاروخ لا يصلح لجذب الآخرين نحونا".

(١) جوزيف صموئيل ناي Joseph Nye – ١٩٣٧،مؤلف الكتاب الشهير(القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية) أستاذ العلوم السياسية وعميد سابق لمدرسة جون كينيدي الحكومية في جامعة هارفارد. ١٩٩٣ – ١٩٩٤أسس بالاشتراك مع روبرت كوهين، مركز الدراسات الليبرالية الجديدة في العلاقات الدولية. وتولى عدة مناصب رسمية منها مساعد وزير الدفاع للشؤون الأمنية الدولية في حكومة بل كلينتون ١٩٩٤ – ١٩٩٥ورئيس مجلس الاستخبارات الوطني،اشتهر بابتكاره مصطلحي القوة الناعمة والقوة الذكية وشكلت مؤلفاته مصدراً رئيسياً لتطوير السياسة الخارجية الأمريكية في عهد باراك أوباما، وهو أول من استخدم مصطلح الحرب الناعمة ضمن كتابه «وثبةٌ نحو القيادة – Bond to Lead» الصادر عام ١٩٩٠، ثمّ أعاد استخدامه في كتابه «مفارقة القوة الأمريكية – The Paradox the paradox of American Power» عام ٢٠٠٢، ثمّ طوّر أفكاره في كتابه «القوة الناعمة – Soft Power» عام ٢٠٠٤.

الجذور التأريخية لنظرية القوة الناعمة[2]

عندما يجري الحديث عن مفهوم " القوة الناعمة " بمعنى أستخدام التأثير الفكري والثقافي والأعلامي لتحسين وتلميع صورة بلد ما ، وتعزيز نفوذه في الخارج ، يقفز الى الذهن على الفور اسم المنظر السياسي الأميركي الشهير جوزيف ناي ، وكأن هذا المفهوم كان الهاما أو وحيا هبط عليه في لحظة معينة ، أو ان التأريخ الأنساني لم يعرف استخدام القوة الروحية والمعنوية لأستمالة عقول وقلوب وعواطف الناس قبل أن يعلن (ناي) عن نظريته ، وهذا وهم، ان لم يكن ضلالاً أو تزويراً لتأريخ الفكرالسياسي ..

صحيح أن (ناي) هو أول من بلور وصاغ هذا المفهوم في أوائل التسعينات من القرن الماضي في صورة نظرية مقنعة ، محكمة البناء ، ولكن القوة الناعمة الروحية والمعنوية التي تجسدت في الأديان والثقافة والقيم الأنسانية ، ثم في الأيديولوجيات ، على مدى التأريخ البشري ، كانت تحمل أسماء أخرى في أقوال وكتابات الفلاسفة والسياسيين القدماء مثل (التأثير، الإقناع ،القدوة، النموذج، والهيمنة الثقافية).

كان الفلاسفة الصينيون ، أول من نادوا باستخدام القوة الناعمة لتعزيز السلطة السياسية ومنهم (لاو تسزي – القرن السابع ق.م) الذي قال : " لا يوجد في الكون مادة أنعم وأضعف من الماء ولكنه قادر على تفتيت أكثر المواد صلابة ." كما أن جاذبية الجمال الأنثوي ، هي أوضح مثال على " القوة الناعمة " ،وقد لعبت دوراً كبيراً في التاريخ الأنساني.

(٢) الصحفي العراقي جودت هوشيار / ٢٤-١٢-٢٠١٤.



الأنظمة السياسية والثقافة السائدة اليوم في فيتنام وكوريا واليابان ودول أخرى ، تشكلت وتبلورت من خلال تعاليم الفلسفة الكنفوشيوسية والديانة البوذية . كما يعد الأنتشار السريع للأديان السماوية – خاصة المسيحية، والإسلام – خارج البلدان التي ظهرت فيها ، تجسيداً للقوة الناعمة.

التفاعل الخصب بين الحضارات المختلفة في الماضي شكل من أشكال القوة الناعمة .فعلى سبيل المثال لا الحصر تناولت المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه)

في كتابها الذائع " شمس العرب تسطع على الغرب " تأثير الحضارة الأسلامية في الحضارة الغربية في مجالات العلوم المختلفة. وهذا التأثير تجسيد للقوة الناعمة لتلك الحضارة .

القوة الناعمة في القرن العشرين :

في ثلاثينات القرن الماضي صاغ الفيلسوف والمفكر الأيطالي أنطونيو غرامشي (١٨٩١ – ١٩٣٧م) نظرية (الهيمنة الثقافية) في مؤلفه الفلسفي المهم (دفاتر السجن) – الذي تأثر به أجيال من الأنتليجينسيا الغربية وخاصة المحافظون الجدد في الولايات المتحدة وأوروبا – حيث أكد ان هيمنة الرأسمالية لا تستند الى القوة والمال والسلطة فحسب، بل على عامل القبول الذي تكونه ثقافة الطبقة الحاكمة في أذهان الناس، وأن هنالك صراعاً ثقافيا بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي تتطلب استنهاض قنوات مختلفة، كوسائل الإعلام، والمؤسسات التربوية والفكرية، بهدف إنتاج ثقافة بديلة مواجهة لثقافة الهيمنة النابعة من قيم وفلسفة الرأسمالية.

وحتى في الولايات المتحدة نفسها ، لم يكن "جوزيف ناي" أول من نادى بأستخدام جاذبية القوة الناعمة بدلاً من التهديد العسكري أو شن الحروب ، بل سبقه مفكرون ودبلوماسيون أميركيون ومنهم الدبلوماسي المحافظ ثقافياً "جورج كينان" الذي تحول لاحقا إلى مؤرخ، حيث كتب يقول : " يمكن للأميركيين أن يكون لديهم ما يقولونه للناس في أي مكان آخر، وربما يصيرون أيضا مصدر إلهام للآخرين ."

ويمكن اعتبار السيناتور الأميركي الشهير جيمس وليام فولبرايت (١٩٠٥ – ١٩٩١ م) – الذي كان رئيسا للجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس الامريكى لمدة ثلاثين عاما (١٩٤٥– ١٩٧٥) ومؤسس برنامج فولبرايت للمنح التعليمية والتبادل الطلابى عام ١٩٤٦ ، الذي يحمل اسمه – هو الأب الشرعي لما يسمى اليوم بـ" القوة الناعمة " . فقد دعا بألحاح منذ أربعينات القرن الماضي ، سواء في خطبه داخل الكونغرس أو في الكتب التي ألفها أو في مقالاته ولقاءاته الصحفية الى ان تكون الولايات المتحدة قدوة للعالم ليس بأستخدام القوة العسكرية ، بل في مجالات القيم السياسية والأنسانية والعلوم والثقافة وحقوق الأنسان، ومما قاله في هذا الصدد : " تحدث أشياء كثيرة بأماكن كثيرة، وهي إما لا تخصنا أو تعنينا أو هي على أي حال خارج نطاق قوتنا أو مواردنا أو حكمتنا، لقد مضى وقت طويل جدًا بالنسبة للولايات المتحدة لتكرّس نفسها فقط لفعل الخير في العالم، سواء بالجهود المباشرة أو بقوة القدوة والمثال الذي تقدمه. وأن تتخلى عن فكرة التبشير الحافلة بمزاعم كونها شرطيَّ العالم ."

• القوة ليست هدفا في حدّ ذاتها وإنما وسيلة لممارسة النفوذ والتأثير وضمان تحقيق أهداف الدولة.

أما (كريستوفر لاش) الذي قضى عشرات السنين في تشريح الثقافة الأميركية فقد كتب يقول "ان



الوعد الحقيقي الذي تقدمه الحياة الأميركية نجده في الأمل في أن تكون هي الجمهورية التي تمثل مصدرا لإلهام بقية العالم أخلاقيًا وسياسيًا، وليست مركزا لإمبراطورية العالم الجديدة " .

وعن دور الثقافة يقول (كريستوف موشر)، المتحدث الإعلامي ورئيس قسم الاتصال بمعهد غوتة: "تلعب الثقافة دوراً كبيرا، إذ تعتبر رسمياً منذ سبعينات القرن المنصرم، إلى جانب السياسة والاقتصاد، الركن الثالث في السياسة الخارجية الألمانية". ويضيف موشر بأن ألمانيا "تعتمد على شبكة العلاقات الناتجة عن معهد غوته ومؤسسة دويتشه فيله وغيرها من الفاعلين في هذا الحقل." وعن جاذبية ألمانيا بالنسبة الى الشعوب الأخرى ، يقول موشر : " "الشخصية الألمانية منضبطة بالنظام والقانون ومُحبة للعمل لدرجة العبادة. ألمانيا خلية نحل لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً. شعب تضبط الساعة عقاربها على مواعيده، وحكومة تملك إحصائية لكل شاردة وواردة. بالإضافة لما سبق، تعتبر قيم الحكم الرشيد والحرية والعدالة مصانة دستورياً ومطبقة ومعاشة في الحياة اليومية. بعكس النظام الرأسمالي "المتوحش"، يقوم "اقتصاد السوق الاجتماعي" على تكافؤ الفرص، والتكافل الاجتماعي، والضمان الاجتماعي والصحي للموطنين جميعا. الدولة هي الأب الحنون للجميع؛ تكافئ المجدّ وفي الوقت عينه لا تترك طبقتها السفلى المعدمة تنام على أرصفة الشوارع. حقوق النبات والحيوان مصانة، وحقوق الإنسان مقدسة. خارجياً، تعمل الدولة على تعزيز ثقافة السلام ودعم عملياته، لاعبةً أحيانا دور الوسيط في حل النزاعات، فضلاً عن الدفع باتجاه الحوار بين الحضارات وخصوصا بين الغرب والعالم الإسلامي".

القوة الناعمة في السياسة الخارجية :

" القوة الناعمة " بوصفها ظاهرة برزت كأداة للسياسة الخارجية منذ زمن طويل وقبل ان يتمكن العلماء من تعريف مفهومها وتحديد مصادرها وآلياتها وقنوات تأثيرها، ويرتبط ظهور هذه الأداة مع أنتشار وسائل الأعلام وتأثيرها في الوعي الجمعي ، وهذه الوسائل معروفة حسب التسلسل التأريخي لظهورها وهي : (الصحف ، والأذاعة ، والتلفزيون ، واخيراً الأنترنيت) .ويلاحظ أن توسع نطاق استخدام "القوة الناعمة"، كأداة في السياسة الخارجية تزامن مع فترة الحرب الباردة وخاصة في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، مع تفاقم المواجهة الإيديولوجية، بين المعسكرين الغربي والشرقي ، ، رغم أن النهج المتبع من قبل كل معسكر في هذه المواجهة الأيديولوجية كان مختلفا بعض الشيء..

كان الاتحاد السوفياتي يعمل على نشر الأيديولوجية السوفياتية،التي تتركز على ازدهار الدولة ، اما الولايات المتحدة فقد كانت تعمل في مجال الترويج للحُلم الأميركي ورفاهية الأنسان . ومع انتشار تقنيات القوة الناعمة ، بدأت القوة الصلبة ، العسكرية والأقتصادية تفقد تدريجياً مكانتها الأحتكارية السابقة كأداة رئيسية في السياسة الخارجية .

الاختلاف الجوهري بين القوة الصلبة والقوة الناعمة هو كالفرق بين الأحتلال العسكري المباشر لبلد ما وبين الهيمنة على عقول وميول النخب الحاكمة فيه بوسائل الأستمالة والترغيب. تجارب التأريخ القريب تؤكد ان استخدام " القوة الصلبة " كالتدخل العسكري والعقوبات الأقتصادية لم يعد مقبولاً لدى قطاع كبير من الرأي العام العالمي..

الأتحاد السوفييتي أحتل هنغاريا عام ١٩٥٦ ، وجيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، ولم يجن من وراء ذلك سوى زرع الكراهية له ولأيديولوجيته في العالم عموماً وفي الدول الغربية خصوصاً ، كما أن الأحتلال السوفييتي لأفغانستان عام ١٩٧٩ أدى الى التضحية بحياة الآلاف من ضباط وجنود الجيش الأحمر وخسارة فادحة في الأسلحة والمعدات والأموال وادانة المجتمع الدولي لتدخله العسكري ، وفي نهاية المطاف اضطر الكرملين الى سحب قواته عام ١٩٨٩ بعد الفشل الذريع الذي مني به في تحقيق أي هدف من أهداف هذا التدخل.

ويمكن القول الشيء ذاته عن التورط الأميركي في حرب فيتنام (١٩٥٦ – ١٩٧٣م) حيث لاقت هذه الحرب معارضة قوية من الرأي العام الأميركي والعالمي ، واضطرت الأدارة الأميركية في نهاية المطاف الى وضع حد لهذه الحرب المأساوية وعدم التورط مستقبلاً في النزاعات العسكرية ، الا عند الضرورة القصوى وعلى نطاق ضيق ، بداعي محاربة الأرهاب حصراً في عدد من بلدان الشرق الأوسط وافريقيا ،مع تجنب الأصطدام العسكري المباشر مع الدول النووية المنافسة لها على الساحة العالمية مثل روسيا والصين.

يتضح مما تقدم أن مفاهيم " القوة الناعمة " متجذرة في ثقافات العالم في الماضي والحاضر ، وان النخب العلمية والفكرية والثقافية في أرجاء العالم دعت – منذ أنتهاء الحرب العالمية الثانية في الأقل وما تزال تدعو حتى يومنا هذا – الى التعايش السلمي والتفاعل الخصب بين الثقافات المختلفة والى ضرورة التخلي عن لغة القوة وتغليب ما يعرف اليوم بـ" القوة الناعمة " على " القوة الصلبة " في العلاقات الدولية.



القوة الناعمة والقوة الصلبة[١]

منذ زمن غير بعيد بدأ السياسيون يتداولون مصطلحين جديدين هما (القوة الناعمة والقوة الصلبة). وازداد استخدامهما خاصة بعد الحراك السياسي والتغيرات في المنطقة العربية، في ليبيا وتونس ومصر وبعض دول الخليج، وفي سورية وبلدان عربية أخرى، وبعد احتلال أفغانستان والعراق.

القوة الناعمة أو الليّنة، هي مصطلح سياسي حديث العهد، عرفه الفلاسفة والسياسيون القدماء بتعابير متعددة منها مثلاً (التأثير والإقناع والثقافة والنموذج).

ويرى الباحث الفرنسي (ميشيل فوكو)أن القوة الناعمة تتضمن إجباراً وإلزاماً غير مباشرين، تعتمد في ظهورها على القوة الخشنة أو الصلدة. وتقوم بأعمال تعجز القوة الصلدة عن القيام بها. والقوة الناعمة ليست دعاية سياسية، بل هي سجال عقلي وقيمي يهدف إلى التأثير على الرأي العام في داخل الدولة وخارجها.

وتعني القوة الناعمة من وجهة نظر (جوزيف ناي)، القدرة في الحصول على ما نريد من خلال الجذب بدلاً من القسر أو الدفع.. وهي أحد مصادر التأثير.. وهي أيضاً الإغراء والجذب. ويشير (ناي) إلى أن القوة الصلبة، تعني القوة المشتركة السياسية والاقتصادية والعسكرية، أي القوة في صورتها الخشنة التي تعني الحرب، والتي تستخدم فيها الجيوش. وتعني هذه القوة الدخول في مزالق خطرة، ونتائجها تكون في منتهى الخطورة على الدولة ذاتها، كما حدث مثلاً في الحرب العالمية الثانية، بين اليابان وألمانيا النازية.

وبيَّنت الدراسات للباحثين الاستراتيجيين والمفكرين، أن القوة الناعمة مصطلح يستخدم في نطاق نظريات العلاقات الدولية. ويشير

(١) مجلة النور السورية -٢٠١٦/٤/٢٧.



إلى توظيف ما أمكن من الطاقة السياسية، بهدف السيطرة على سلوك واهتمامات القوى السياسية الأخرى المستهدفة بوسائل ثقافية وأيديولوجية.

السؤال المطروح: ما مغزى القوة الناعمة، وماذا تشمل من أعمال مخططة ومنظمة؟

إن الغاية من القوة الناعمة هو تدمير الطاقة السياسية، بهدف الهيمنة والسيطرة على القدرات والمقومات السياسية لدى الآخر المستهدف، أي الغزو الثقافي والأيديولوجي، وتحويل البلد إلى بلد مسيطر عليه، من دون أن تظهر هوية الفاعل الحقيقي. وهذا الفاعل الحقيقي أصبح معروفاً ومتداولاً في الساحة السياسية الدولية، وهو الولايات المتحدة. وأفضل من عبَّر عن أماني الولايات المتحدة، وضرورة تمايز قوتها هو (روبرت غايتس) وزير الدفاع الأمريكي، الذي أضاء موقفه مؤكداً، أن رسالته اليوم ليس حول موازنة الدفاع أو القوة العسكرية، بل تتعلَّق بكيفية مواجهة الولايات المتحدة للتحديات الدولية القادمة في العقود المقبلة. وافترضَ (غايتس) أن على الولايات المتحدة أن تبتكر مظاهر أخرى لقوتها القومية، بهدف مواجهة التحديات الخارجية. ويعترف أنه جاء إلى وزارة الدفاع ليعزز استخدام القوة الناعمة، وكي تصبح قوة فاعلة رديفة للقوة الصلبة.

أما جوزيف ناي المنظّر الأساسي لمفهوم القوة الناعمة، فطرح في مؤلفاته استراتيجيات بارزة من أجل إنجاح سياسة الولايات المتحدة في السياسة الدولية. ودرس بدقة تكلفة حروب الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق، فوجد أن وزن الولايات المتحدة الدولي لم يعد كما كان في السابق. وأن شعبية بلده قد تدنَّت تدنياً حاداً في البلدان الإسلامية. وانطلق (ناي) من فكرة أن الناس قد عرفوا القوة الصلبة (المباشرة عسكرياً). والجبروت العسكري والاقتصادي للولايات المتحدة. وأدركوا بالمقابل أن استخدام القوة المباشرة والتهديدات الصريحة من شأنه أن لا يحقق النتائج المرجوة، في حين أن استخدام الوجه الثاني للقوة، أي (القوة الناعمة) سيجذب الآخرين ويرفع مستوى الإعجاب بالسياسة الأمريكية.

القوة الناعمة تجعل من الآخر يريد ما نريد من دون إرغام! كما أنها العنصر الثابت في السياسة. ومن الناحية الإجرائية تجيز نظرية الحرب الناعمة خطط الحرب غير المباشرة، كاللعب بقواعد الخصم وخلق حالة من التشكيك في الثوابت والمعتقدات التي يتبناها الخصم. وفي مظهر الحرب الناعمة يتمظهر الاشتباك مع الخصم الخارجي بلون محلي تماماً.

ويرى (ليزلي جيلب)، الباحث الاستراتيجي الامريكي في كتابه (قواعد القوة)، أن الحس السليم بإمكانه أن ينقذ السياسة الخارجية الأمريكية من مأزقها. ويقترح اتباع نهج الحس السليم كنتاج إبداعي يجمع بين استراتيجيات القوتين (الناعمة والصلبة). وركز في كتابه على:

– تأكيد انتهاج مبدأ الدمج بين القوتين (الصلبة والناعمة)، لإعادة إنتاج موقع الولايات المتحدة في القرن ٢١.

– التحديد الواضح للتحديات والمخاطر التي تتهدد الولايات المتحدة، كالإرهاب والتهديدات الاقتصادية والمشكلات الصحية والبيئية.

– استخدام السبل الوقائية والتعامل مع المشكلات المتوقعة قبل حصولها.

– استخدام القوة في ظروف محددة، وأسلوب الإكراه في المواقف التي لا تحقق فيها القوة الصلبة النتائج المرجوة. وهناك من يمايز بين الأثر الإيجابي والأثر السلبي للقوة الصلبة، على صورة الدولة على الصعيد الدولي، وذلك لتعزيز القوة الناعمة، كما هو الحال بالنسبة لتقديم المساعدات الإنسانية للدول الفقيرة، والقوة العسكرية من خلال المشاركة في عمليات حفظ السلام.. وهذا هو الأثر الإيجابي. أما الأثر



السلبي على الدولة فهو برأي هؤلاء، يكون بتقويض مصداقيتها، وبالتالي يشوّه صورتها الدولية، حينما تستخدمها في عمل غير شرعي على الساحة الدولية.

تعريف الحرب الناعمة:

ذكر المحققون تعاريف متعددة لهذه الحرب من ابرزها[1] :

١- هي العمل المنظم الذي يستعين بالادوات والاساليب التبليغية والاعلامية والسياسية والنفسية للتأثير على الحكومات والمجموعات والناس في الدول الأجنبية بهدف تغيير رؤاها وقيمها وسلوكها.

٢- هي استعانة إحدى الدول بالقوة الناعمة لتغيير الأفكار العامة وتغيير رؤى وسلوك الناس السياسي.

٣- هي كل عمل ناعم يستهدف القيم والضوابط في المجتمع وتؤدي الى تغيير النماذج السلوكية الموجودة وايجاد نماذج جديدة تتعارض مع النماذج السلوكية التي يريدها النظام الحاكم.

٤- هي الاساليب، الطرق والفنون النفسية والسياسية والامنية تستخدمها المجموعات والمؤسسات والدول لتغيير الرؤى والدوافع الحاكمة على الناس في مختلف الصعد المحلية والوطنية والدولية...

٥- هي الاستفادة من الاعلام وادواته للنفوذ الى الخصوصيات الفكرية للعدو عبر استخدام اساليب تؤدي الى حصول اهداف الامن القومي المنفذ للحرب الناعمة.

٦- هي نوع من الحرب الباردة تؤدي في النهاية الى الاستحالة الثقافية[2].

وبعبارة اخرى ان الحرب الناعمة عمل هادف مخطط له مسبقاً، هدفها التأثير على الافكار والرؤى الاساسية،والتأثير على الميول والقيم والنماذج السلوكية المقبولة عند البلد المستهدف، وتغيير الهوية الثقافية وتخريب النموذج السياسي الموجود.

الحرب الناعمة .. نقاش في المفهوم

جدير ذكره ان مصطلح (القوة الناعمة) مصطلح حديث نسبياً لا يزال تحت النقاش[3] ، وهو في النهاية مفهوم وضعي، يخضع لتفسيرات متعددة، وفقاً للغايات أو الخلفيات الثقافية والسياسية، تحول إلى التداول الرسمي في السياسات والإستراتيجيات الأمريكية تحت تعبيرات مختلفة : (كسب القلوب والعقول ، حرب الأفكار ، الدبلوماسية العامة ، القيادة من خلال القوة المدنية ، الدبلوماسية الثقافية ، المبادرات التنموية العالمية ، بناء الشبكات الإسلامية المعتدلة ، عمليات المعلومات ، العمليات النفسية

> • **القوة الناعمة هي العمل المنظم الذي يستعين بالادوات والاساليب الاعلامية والسياسية والنفسية للتأثير على الحكومات والناس في الدول الأجنبية بهدف تغيير رؤاها وقيمها وسلوكها.**
>
> -----------------
>
> • **لقوة الناعمة.. مصطلح حديث نسبياً لا يزال تحت النقاش، ومفهوم وضعي يخضع لتفسيرات متعددة، وفقاً للغايات أو الخلفيات الثقافية والسياسية.**

(١) لمزيد من المعلومات حول تعاريف الحرب الناعمة راجع: اصول ومباديء الحرب الناعمة، محمد علي النائيني ، ط٢، ص: ١٤١ - ١٨٥

(٢) ثقافة الحرب الباردة- ف.س. ساندروز ، ص١٢٣.

(٣) موقع بنت جبيل- هادي قبيسي-١١ تموز ، ٢٠١٥.

، تفادي الصراع).

ونلاحظ الإختلاف بين التعريف النظري لجوزف ناي والتعريف الرسمي لوزير الدفاع الأمريكي السابق (روبرت غيتس) الذي ناقش ناي في كتابه الأول الصادر عام ١٩٩٠أشكال القوة :"القدرة على التأثير على سلوك الآخرين للحصول على النتائج التي تريدها، وهناك عدة وسائل لتحقيق ذلك : يمكنك إكراههم بالتهديد، يمكنك إغراؤهم بالأموال، أو يمكنك جذبهم واستيعابهم حتى يرغبوا بما ترغب به"، نافياً أن يكون الإغراء بالمال ضمن أدوات القوة الناعمة، فيما يعتبر روبرت غيتس[١] أن تطوير القوة الناعمة الأمريكية يتطلب "تطوراً دراماتيكياً في الإنفاق على الأدوات المدنية لتحقيق الأمن القومي : الدبلوماسية، الإتصال الإستراتيجي، الدعم الخارجي (المساعدات المالية)، الأنشطة المدنية، وإعادة الإعمار الاقتصادي والتنمية" . وفي كلام آخر لوزير الدفاع نفسه نجد مقاربة أوسع للوسائل والأدوات الناعمة :" إن جهودنا ينبغي أيضاً أن تهتم بالتنمية الإقتصادية، بناء المؤسسات، وفرض القانون، التشجيع على التوافق الداخلي، دعم بناء سلطة حكومية محترمة وجيدة، الخدمات العامة، تدريب وتجهيز القوة الأمنية المحلية، الإتصال الإستراتيجي الفعال، وغيرها. هذه القدرات المذكورة والتي تسمى القدرات الناعمة، هي- إلى جانب القوة العسكرية- حاجة لا غنى عنها للوصول إلى أي انتصار دائم، وبشكل أكثر واقعية، فإن الوصول إلى النصر بحد ذاته، كما عرفه كلاوزفيتز بنفسه، أي تحقيق هدف سياسي، مرهون بها" . موسعاً إطار القوة الناعمة ليشمل الجانب الاقتصادي والتنموي، وكذلك نرى جوزيف ناي يطور في المفهوم في كتابه الثاني الصادر عام ٢٠٠٤(القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية) إذ اعتبر أن "الإغراء هو دوماً أكثر فعالية من الإكراه، والكثير من القيم مثل الديموقراطية، حقوق الإنسان، والفرص الشخصية هي مغرية بشكل عميق" .

ونلاحظ أن الفرص الفردية دخلت هنا ضمن الأدوات، ولكن ظل إطار القوة الناعمة هو أدوات الجاذبية، الإقناع والتأثير وليس الإكراه والفرض الذي يمارس بالقوة العسكرية أو العقوبات الإقتصادية.

وقد عرّف "مركز الأبحاث والدراسات الثقافية والاجتماعية صدرا" الحرب الناعمة بانها :"تعرف في مقابل الحرب الصلبة، وهي تشمل في الحقيقة أي نوع من العمليات النفسية، الدعائية، الإعلامية، والثقافية، والذي يستهدف المجتمع أو مجموعة محددة. والذي يدفع الخصم نحو الانفعال أو الانهزام بدون قتال عسكري أو استعمال القوة الصلبة. وتهدف الحرب الناعمة إلى سحق فكر المجتمع المستهدف كي تضعف مكوناته الفكرية والثقافية، وتشيع عدم الاستقرار والتزلزل في النظام السياسي الإجتماعي السائد من خلال القصف الخبري والدعائي. وتتسع الحرب الناعمة لكل الإجراءات التي تتم من خلال الحرب الكمبيوترية والأنشطة على شبكة الإنترنت وصولاً إلى تأسيس شبكات إذاعية وتلفزيونية وموارد أخرى. تستخدم الحرب الناعمة أحياناً بصفتها بديلاً للأساليب الصلبة، وذلك عندما تضعف فعالية تلك الأساليب، وأحياناً بصفتها مقدمة وتمهيداً للحرب العسكرية" .

نخلص من هذا الاستقراء العاجل إلى أن المفهوم خاضع للأغراض العملانية، فيمكنه أن يتطور ويتسع بحسبها، ذلك أنه خرج من الحالة النظرية وتحول إلى سياسة رسمية في أمريكا وحتى الصين وروسيا، وهناك من يتحدث عن

(١) وزير الدفاع الامريكي في الفترة (٢٠٠٦-٢٠١١).



القوة الناعمة الإيرانية كذلك. هو مفهوم يوصف أساساً نشاطاً وسلوكاً سياسياً بشرياً غير محدد بشكل جامد وثابت، وقابل للتطور والتغير مع اختلاف الزمان والمكان والظروف والتطور العلمي والتكنولوجي، وكذلك تراكم التجارب في ميدان الصراع الذي يتطلب الإبداع والابتكار والتطوير الدائم في محاولة الخصم تجاوز الخصم الآخر.

ماهية الحرب الناعمة(١)

تعني الحرب الناعمة في الثقافة السياسية الانهيار من الداخل. وفي الحقيقة تشمل كل أنواع الإجراءات النفسية والدعائية الإعلامية التي تستهدف مجتمعاً ما أو جماعةً ما، وتجر منافسها الى حالة الانفعال أو الهزيمة دون الحاجة الى الاقتتال العسكري وفتح النيران. إذ تلعب الحرب الناعمة دوراً في إضعاف الحلقات الفكرية والثقافية للمجتمعات من خلال استهداف فكر وثقافة الشعوب. انطلاقاً من ذلك، يعتقد بعض الخبراء أنّ وسائل الإعلام وأقلام الكتّاب هي أهم أداة في هذه المواجهة الخفية. فالمجموعات المستهدفة في الحرب الناعمة هي القادة، والنخب وعامة الناس. وتشكّل النخب القوى الوسطى لهذه الحرب، ويمكن أنّ يُطرحوا بصفتهم متخذي القرار أو صنّاع القرار في أيّ دولةٍ كانت. إذ تستطيع نخبة المجتمع المدني مثل قادة الأحزاب من خلال ترددهم الذهني أن ينقلوا خوفهم الى أذهان الناس، وأن يوجدوا جواً من الرعب بينهم، وبالتالي القضاء على معنوياتهم. انطلاقاً من ذلك، يستهدف العدو دائماً هذه الفئة لأنّ إيجاد التحول والنفوذ الفكري لدى النخب يؤدي بشكلٍ تلقائي الى الانحراف الفكري لدى الكثير من الناس. وهكذا يوفّر العدو على نفسه دفع الكثير من التكاليف.

والجامعيون هم من المجموعات المستهدفة دائماً من قِبل العدو لما تتمتع به هذه المجموعة من حماس وحركة، حيث تتمتع بخصائص خاصة كالشباب والمستوى العلمي وأثر كلامهم واتساع انتشار حضورهم الجغرافي، فتشكّل جهازاً دعائياً مناسباً للعدو، مضافاً الى أنّها توفر أيضاً دفع التكاليف عليه.

وفي الواقع، إنّ الحرب الناعمة في مقابل الحرب الصلبة تشمل أيّ نوع من الإجراءات النفسية والدعاية الإعلامية في استهدافها المجتمع أو الجماعة المعادية لها. وهي تضطر منافسها من خلال هذا النوع من الحرب الى أن ينجر نحو الانفعال أو الانهزام. وتعتبر الحرب الكمبيوترية، والإنترنتية، والإبادة الناعمة، وتشغيل شبكات إذاعية وتلفزيونية من أشكال الحرب الناعمة. فالحرب الناعمة تسعى الى تحطيم عقيدة وفكر المجتمع المستهدف وتضعف عراه الفكرية والثقافية وتشيع تدريجياً التزلزل وعدم الاستقرار في النظام السياسي- الاجتماعي الحاكم من خلال القصف الخبري والدعائي.

وفي هذا المجال، نرى "مارك بالمر"(٢) في تقريره "إيران- أمريكا، الوجهة الجديدة" يخالف بصراحة فكرة الهجوم العسكري على الجمهورية الإسلامية الإيرانية ويعلن أنّ ايران قد تحوّلت الى قدرة لا نظير لها من خلال ما تمتلكه من أراض شاسعة، وعدد سكانٍ مرتفع، ونوعية في القوى البشرية، وإمكاناتٍ عسكرية، وثروات طبيعية وموقع جغرافيٍّ ممتاز في منطقة الشرق

(١) مقال ادوات الحرب الناعمة/ الحرب الناعمة ...الاساليب والادوات والمواجهة- د. حجة الله مرادي- ص١٣٣.

(٢) أحد الاستراتيجيين المشهورين في امريكا، إذ يُشار إليه بصفته أحد مبدعي السياسة الخارجية الأمريكية. عضو هيئة الخطر الحالي التي تأسست على أثر هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، مضافاً الى عمله في قسم الأبحاث لمركز السياسة الخارجية سابان في مؤسسة بروكينز.



الأوسط ووزن على المستوى الدولي، بحيث إنّه لم يعد بالإمكان قلب نظامها عبر الاحتلال العسكري، بل إنّ الطريق الوحيد لقلب النظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية هو اتباع آليات الحرب الناعمة والاستفادة من تقنيات العمليات النفسية الدعائية. وقد قام بالمر بتعريف هذه الإستراتيجية التي سُميت بـ"دلتا" القائمة على ثلاث تقنيات: أصل الكبح، الحرب الإعلامية وتنظيم ودعم العصيان المدني، والآن يقوم الأمريكيون بتنفيذها.

خصائص الحرب الناعمة(١)

تتمتع الحرب الناعمة بالكثير من الخصائص المتنوعة بسبب تعقيدها واعتمادها على القدرة الناعمة، وأهم هذه الصفات والخصائص:

١- تهدف الحرب الناعمة الى تغيير القوالب والأنماط الماهوية للمجتمع والبناء السياسي، وتستهدف الاعتقادات، والمسلمات، والقيم الأساسية لمجتمعٍ ما وذلك لأجل تغييرها. ومع تغيير الاعتقاداتِ الأساسية، يصبح بالإمكان تغيير قوالب التفكير وتحلّ نماذج سلوكية جديدة بدلاً من القديمة. وتقوم هذه النماذج السلوكية الجديدة بكسر البنى السياسية الموجودة بدلاً من حمايتها.

٢- الحرب الناعمة تدريجية، وهادئة وغير ظاهرة. فهي ليست دفعية، ومتسرعة وكثيرة التحرك في مرحلةٍ محددة. بل تبدأ بهدوء وتتقدم تدريجياً بحيث إنّ أحداً لا ينتبه إليها ولا يستطيع تشخيصها. وهي غير ظاهرة، لذلك فهي غير ملموسة.

٣- تقوم الحرب الناعمة على الرمزية فتستفيد من الرموز التاريخية لتقديم صورةٍ مطلوبة حول نفسها. ففي هذه الحرب، يُبذل الجهد في تصوير المنافس على أنّه مهزوم وآيس ومكسور. في المقابل يُظهر المهاجم نفسه عبر الرمزية منتصراً وموفقاً، ويتمّ استخدام العمليات النفسية بحدها الأقصى في هذه الخصيصة.

٤- في حال كانت الحرب الناعمة موفقة وناجحة، فإنّ نتائجها أكثر ثباتاً واستمراريةً، وإذا حصل ذلك فإنّ العودة الى الحالة الأولى لن يكون سهلاً ميسراً. مقايسةً بالحرب العسكرية، عند احتلال أرض، يمكن تحريرها في ظرف عدة ساعات. لكنْ إذا نجح الأعداء في السيطرة على أفكار وقلوب المجتمع فلا يمكن بسهولة إسترجاعها بل يحتاج ذلك الى مرور وقتٍ طويل.

٥- الحرب الناعمة أكثر تحركاً وجاذبيّة حيث تبدأ بشكلٍ تدريجي وهادئ، ولكي تزيد من جاذبيتها الكاذبة، تستهدف في مرحلةٍ ما نفس المجتمع لتحقيق أهدافها وهكذا تزيد من نطاق تحركاتها. في الواقع، يتحول الكثير من الأفراد مع مرور الوقت الى هدفٍ لمديري الحرب الناعمة، شاؤوا أم لا.

٦- تعتمد الحرب الناعمة على الاثارة بالاستفادة من عواطف المجتمع المستهدف بأقصى الحدود وذلك عبر الرمزية، والأسطورية وخلق قيم جديدة، وتُبذل الجهود لاستخدامها بصفتها جِسراً للنفوذ الى الأفكار لإيجاد التغيير والتحول في الاعتقادات.

٧- تُشكّل الآفات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ساحة مناورة للحرب الناعمة. فينظم العدو أنشطته وفعالياته عبر تشخيصه لبؤر آفات المجتمع المُستهدف في المجالات المذكورة، ويوسّع من نطاق تحركه من خلال إيجاد انحرافات وآفات جديدة.

٨- الحرب الناعمة متعددة الوجود والميادين، فهي تستفيد من كافة العلوم والفنون والطرق والأساليب المعروفة والقيم الموجودة.

---

(١) مقال ادوات الحرب الناعمة - كتاب (الحرب الناعمة - قراءة في أساليب التهديد وأدوات المواجهة) د. حجت الله مرادي ص١٤٤.



٩- تبدأ الحرب الناعمة من البؤر المنحرفة في المجتمع المستهدف، وتؤدي الى أن يواجه أعضاء المجتمع بعضهم بعضاً من خلال إيجاد التصدعات في أجزاءٍ مختلفة في المجتمع وعبر اختلاف الاعتقادات والقيّم وتشكيل سلوكيات جديدة. وهكذا تقوم الحرب الناعمة بضرب الانسجام والاتحاد والوحدة الوطنية وتوفر بذلك الأرضية المناسبة لبروز الأزمات والتصارع الداخلي.

١٠- القاعدة الأساس في الحرب الناعمة هي إيجاد الشكّ والتشاؤم في الكثير من القضايا، فيتمّ إيجاد الشكّ في الاعتقادات والقيم من خلال الاعتماد على التراث ولكن بعد تجديده بشكل دقيق وهادىء. وتزداد هذه الشكوك مع مرورٍ الوقت الى أن تؤدي الى حصول التغييرات الأساسية في تلك القيم والاعتقادات.

١١- تستفيد الحرب الناعمة من أدوات وتقنيات عصريةً مثل الفضاء الافتراضي والسايبري الذي يُعتبر البيئة الأصلية للحرب الناعمة، إذ يوفّر هذا الفضاء إمكانية الإغواء عبر عرض الكثير من الأمور الجاذبة، وخلق السياقات اللازمة لإبراز العواطف والإحساسات.

١٢- غلبة البعد الثقافي فيها على الابعاد الاخرى[١] ، مع العلم انها تستعين بالابعاد الاخرى بالاخص السياسي والاجتماعي.

١٣- الحرب الناعمة سرية وخفية وتعتمد على اسلوب المفاجأة. وتساهم الادوات الناعمة في امتلاك المهاجم القدرة على تحقيق اهدافه تحت غطاء ثقافي وعلمي وفني...الخ.

١٤- انها قليلة التكاليف النفسية والسياسية وهذا يعني ان المهاجم سيبقى في مأمن من التبعات وردّات الفعل على اساس ان المجتمع هو الذي اختار تغيير قيمه وافكاره بارادته وليس بالاجبار. ١٥- الآثار التي تحملها الحرب الناعمة أكثرعمقا ودواماً لان المستهدف هي الاصول والمبادئ التي تحكم المجتمع، ثم انه ليس من السهل جبر الخسائر المترتبة عليها.

تناغم الحرب الناعمة مع الصلبة

ان الحديث عن إستراتيجية ومشروع الحرب الناعمة لا يعني فصل تناغمها عن القوة الصلبة، لأن الولايات المتحدة ستبقى محتاجة إلى القوة العسكرية والأمنية لمواجهة " الإرهاب وتحقيق الاستقرار" حسب ما أفصح عنه منظر الحرب الناعمة جوزيف ناي قائلا "الحفاظ على سطوة القوة الصلبة جوهري للأمن القومي الأمريكي" وأضاف "أنا كنائب سابق لوزير الدفاع الأمريكي لا يمكن لأحد أن ينافسني أو يزايد أمامي في مدى معرفتي واقتناعي بأهمية القوة العسكرية الصلبة ولكننا لن ننجح بالسيف وحده، ولقد نجحنا بمواجهة الإتحاد السوفياتي ليس بالقوة العسكرية والردع العسكري فحسب، وليس من خلال

• تستفيد الحرب الناعمة من أدوات وتقنيات عصريةً مثل الفضاء الافتراضي والسايبري، إذ يوفّر هذا الفضاء إمكانية الإغواء عبر عرض أمور جاذبة، وخلق سياقات لازمة لإبداء العواطف والاحاسيس.

• الحرب الناعمة حرب تدريجية وهادئة وغير ظاهرة ونتائجها اكثر ثباتا واستمرارية، فلن تكون العودة الى الحالة الاولى امرا يسيرا.

(١) مدخل إلى الحرب الناعمة- مركز الحرب الناعمة للدراسات ص٢٣.



عمليات الحرب الباردة، بل بسبب القوة الناعمة التي قدر لها أن تساعد في تحويل الكتلة السوفياتية من الداخل، ولو استغرق ذلك عشرات السنين. فالعبرة الأهم هي الصبر والنفس الطويل والمزج والتوازن بين القوتين الصلبة والناعمة وتلك هي القوة الذكية[١] ".

مقارنة بين الحرب النفسية والحرب الناعمة[٢] :

يعرف (لينبرغر) الحرب النفسية انطلاقاً من مفهومين ضيق وواسع. فهي في المفهوم الضيق استخدام الدعاية ضد العدو مع إجراءات عملية ذات طبيعة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية مما تتطلبه الدعاية، وفي المفهوم الواسع هي "تطبيق لبعض أجزاء علم النفس لمعاونة المجهودات التي تبذل في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية[٣]" .

وفي قاموس المصطلحات الحربية الأميركية عام ١٩٥٥ "أنها الاستخدام المدبر للدعاية أو لأية تأثيرات نفسية أخرى معدة لإسناد السياسة السائدة بتأثيرات على عواطف ومواقف وسلوك العدو والفئات المحايدة والصديقة في وقت الطوارئ أو الحرب بحيث يتم دعم الوصول إلى الأهداف القومية"[٤] .

والحرب النفسية هي ذلك النوع من الحروب الذي تشنه الجماعات بالدعاية والإشاعة وتستخدم فيه كل وسائل الإعلام بقصد إثارة القلق والتوتر لدى العدو من أجل زعزعة الإيمان بالمبادئ

(١) القوة الناعمة ..وسيلة النجاح في السياسة الدولية- جوزيف ناي ص٢١.

(٢) الحرب الناعمة (القوة الجاذبة وأساليب المواجهة) مقال د. غسان طه في كتاب – (الحرب الناعمة .. قراءة في اساليب التهديد وادوات المواجهة) ص٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٤) المرجع في الحرب النفسية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن ١٩٩٨، مصطفى الدباغ، ص ١٦.

والأهداف ببيان استحالة تحقيقها وإضعاف الجبهة الداخلية بإظهار عجز النظام عن تحقيق أهدافه وتشكيك الجماهير في قياداتها السياسية والعسكرية والتفرقة بين فئات الشعب، وبث اليأس في نفوس الجنود على الجبهة والميدان وإشاعة الذعر بينهم بالمبالغة في وصف القوة وانتصاراتها والتهوين من انتصارات العدو .هي حرب معنوية تستهدف شخصية المقاتل وشخصية الأمة وغايتها تغيير سلوك الأفراد والجماعة من أجل تحللها واستسلامها والسيطرة عليها بعد تغيير الأفكار والاتجاهات والقيم والمعتقدات والرأي والسلوك.

مع تقدم وسائل الاتصال تحولت الحرب النفسية إلى حرب إعلامية شاملة.

ولتحقيق الأهداف والغايات في التأثير على الأفكار والعواطف وأشكال السلوك تتبع الحرب النفسية أساليب الدعاية، الإشاعة، التضليل الإعلامي، غسيل الدماغ، الغزو الفكري، الفكاهة والكاريكاتور، البلاغات والنداءات، إثارة الرعب، والفوضى، استعراض القوة وعرض الأسلحة، وتشويه الشخصية[٥] .

أما الوسائل التي تعين على استخدام هذه الأساليب فهي الوسائل السمعية والمرئية، كالإذاعة والتلفزيون والسينما، وأشرطة الفيديو والكاسيت ووكالات الأنباء والمواد المطبوعة من كتب وصحف ومنشورات، ومواد مصورة كالملصقات واللافتات والصور الفوتغرافية والكاريكاتور، والخرائط والرسوم والمجسمات فضلاً عن وسائل الاتصال المباشر عبر الاتصال الشخصي والمسرحي والطابور الخامس.

واستناداً إلى أحد التعريفات الواردة حول الحرب النفسية انطلاقاً من هدفها وهو التأثير على مواقف وعواطف وسلوك المجموعات العدوة

(٥) مصطفى الدباغ، المرجع في الحرب النفسية، مصدر سابق، ص ٥٧.



والصديقة، نجد أن عملية التأثير تنطلق من الأخذ بعين الاعتبار مداخل ثلاثة هي: الموقف ومدخله العقل، العواطف ومدخلها الوجدان والشعور، والسلوك ومدخله الجسد.

والحرب الناعمة بوصفها تعتمد على قوة الجذب فإن مداخلها أيضاً هي العقل والوجدان والسلوك، مع وجود فارق بأن هذه المداخل وسيلتها في الحرب النفسية الترغيب والترهيب خصوصاً، وفي القوة الناعمة الترغيب فقط، ومن الأمثلة على ذلك:

ـ العقل في الحرب النفسية: يتم الأخذ بعين الاعتبار مركوزاته وطبيعة وظيفته في الحكم على الأمور ومقارنة مصلحة الذات ومصلحة الجماعة. فخوض الحرب الدفاعية على سبيل المثال وبحكم منطق العقل يجب خوضها للدفاع عن الكرامة وعن المكتسبات والمقدسات. والحرب النفسية الموجهة نحو مركوزات العقل تستهدف جعله عقلاً تبريرياً جراء الإحساس بالضعف وعدم جدوائية المواجهة جراء تأثره بالدعاية والركون إلى الاعتراف بقدرة العدو حتى ولو كانت وهمية.

أما العقل كمستهدف في الحرب الناعمة فإنها تنطلق في تحفيز مركوزاته القيمية من مورد الجذب وليس التهديد، واستعراض القوة وجعله عقلاً تبريرياً يهدف إلى تبرير عدم القدرة على المواجهة، فنشر الديمقراطية، والسلام والعدل والرفاه والخير مفردات يركن إليها العقل. لذا فإن استخدامها استخداماً جاذباً يستهدف الاعتراف بالخصم ليس كعدو وإنما كآخر يريد الخير العام، فلا بد والحال كذلك من دفع المستهدفين نحو الانشداد الطوعي والإرادي المفعم بالإقدام والتحفز الإيجابي وليس السلبي.

ـ الجسد: وهو مستودع الحركات والسلوك الظاهري الناتج عن العقل والوجدان؛ فالمحارب الذي تشل يده قبل الذهاب إلى الحرب والقائد المنكفئ في ساحة الحرب قد ينبع من تأثير الحرب النفسية كتعبير عما اعتمل في العقل والوجدان.

في الحرب الناعمة يراد للجسد أن يكون منمطاً في سلوكه تنميطاً يحاكي الحداثة وفق النمط الأميركي، مشفوعاً بالإقدام وليس الانكفاء، وبالطلب وليس بعامل الضرورات. نموذجه نوعية الطعام واللباس وتسريحة الشعر وأنواع العطور وقواعد الرشاقة والموضة التي لا تنتمي إلى روح العصر بقدر ما تنتمي إلى عالم الربح والمال، وعالم التنميط في ثقافة الجسد وفق النموذج الحضاري الغربي انطلاقاً من مفاهيم الحق والحرية كحقوق طبيعية وليس كحقوق متعالية مصدرها الدين والوحي لا سيما في المجتمعات التي لا تزال تدمج بين الحقوق والأخلاق، بما ينعكس على سلوك أفرادها.

استناداً إلى تعريف جوزف ناي للقوة الناعمة نستطيع القول إن القوة الناعمة هي أحدى وسائل الحرب النفسية غير أنه نظراً لإعطاء القوة الناعمة هذا البعد كأحد الخيارات المهمة وكاستراتيجية يتعين على السياسة الأميركية اتباعها في بلوغ الأهداف عن طريق القوة الجاذبة تحديداً، يمكن إدخالها في نطاق محدد باعتبار أن الحرب النفسية تستخدم أساليب ناعمة وقذرة في آن معاً كالتهديد والحصار الاقتصادي، وبث الإشاعات وغالباً ما تستهدف التأثير على المعنويات.

في حين أن القوة الناعمة تستخدم أساليب لا ينبغي لها أن تواجه بالرفض والاستنكار بل تعمل على استمالة الجماعات المستهدفة واندفاعها نحو الأهداف المطلوب تحقيقها.

وهي تستخدم في هذه الحال نفس الوسائل المستخدمة في الحرب الناعمة مع اختلاف الأساليب المتبعة في هذا المجال، انطلاقاً من مراعاتها قوة الجذب حتى ولو عن طريق الخداع.



فكما للحرب الكلاسيكية أدواتها متمثلة بالأسلحة الحربية كذلك للحرب الناعمة أدواتها ونجومها وهي الشركات الصناعية الكبرى ورجال الإعلام وشركات الإعلان والتسويق ومراكز المال والبحوث ورجالات المخابرات، وهؤلاء هم الذين يسيطرون على مراكز القوة في العالم. الهدف النهائي لهؤلاء هو الفرد العادي يسعى الجميع إليه بالإقناع حيناً وبالخداع حيناً آخر، والمهم الحصول على موافقته وضمان رضائه مدفوعاً إلى أهدافها دفعاً عبر إخضاعه لمظاهر التأثير والغواية والتضليل من صنّاع المال والإعلام ووسائل الاتصال.

وفي سياق المقارنة بين الحرب النفسية والناعمة يقول د. احمد نوفل /استاذ كلية الشريعة بجامعة الاردن: "عرفت الحرب النفسية والدعاية بأكثر من ١٠٠ تعريف، اخترنا منها تعريفين يعبران عن هذه التعاريف لجهة الإحاطة والشمولية، التعريف الأول هو التعريف الضيق ذا الطابع التقني البحت أوردته الموسوعة العسكرية للحرب النفسية بالقول" الحرب النفسية هي مجموعة من الإعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو بما في ذلك القادة السياسيين والإفراد غير المقاتلين بهدف خدمة غرض مستخدمي هذا النوع من الحرب ". والتعريف الثاني للباحث الدكتور فخري الدباغ وهو الموسع بأنها " شن هجوم مبرمج على نفسية وعقل العدو سواء كان فردا أو جماعة لغرض أحداث التفكك والوهن والارتباك فيهما وجعلهما فريسة مخططات وأهداف الجهة صاحبة العلاقة مما يمهد للسيطرة عليها وتوجيهها إلى الوجهة المقصودة ضد مصلحتها الحقيقية أو ضد تطلعاتها وآمالها في التنمية أو الاستقلال أو الحياد أو الرفض"[١] .

أما أساليب وتكتيكات الحرب النفسية المعروفة تاريخيا فنورد أمثلة عليها: (الدعاية ضد معتقدات الخصم ، الإشاعة ، بث الرعب ، الخداع ، افتعال الأزمات ، أثارة القلق ، إبراز التفوق المادي والتقني والعسكري ، التقليل من قوة الخصم والعدو ، التهديد والوعيد، الإغراء والإغواء والمناورات ، الاستفادة من التناقضات والخلافات ، الضغوطات الاقتصادية ، إثارة مشاعر الأقليات القومية والدينية ، الاغتيالات ، تسريب معلومات عسكرية وأمنية وسياسية حساسة عن العدو في الصحافة ، الإفصاح عن امتلاك نوعية خاصة من الأسلحة الفتاكة) وغيرها من الوسائل طابعها العام عسكري أو شبه عسكري.

في حين تعتمد الحرب الناعمة على نفس الأهداف مع اختلاف التكتيكات التي أصبحت تكتيكات ناعمة، فبدلاً من تكتيكات التهديد تعتمد الحرب الناعمة على الجذب والإغواء ولعب دور المصلح والمنقذ، وتقديم النموذج الثقافي والسياسي وزرع الأمل بان الخلاص في يد أميركا، المانحة لحقوق الإنسان والديمقراطية وحريات التعبير وما شاكل من عناوين مضللة للعقول ومدغدغة للأحلام وملامسة للمشاعر، وبدلا من استعراض الصواريخ أو بث الرعب عبر الإذاعات والمنشورات للفتك بإرادة العدو يتم إرسال أشرطة الفيديو أو الأقراص الممغنطة أو صفحات facebook للشباب والأطفال والنساء والرجال كل حسب رغباته ومعقولاته.. وبناء على التعاريف المذكورة، لا تعد الحرب الناعمة منهجا جديدا في مناهج الحرب النفسية الدعاية، بل هي نتاج تطور كمي ونوعي في وسائل ووسائط الاتصال والإعلام، وهي إفراز طبيعي وحتمي للجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام كما يرى اغلب خبراء الإعلام والمعلومات،

(١) الحرب النفسية. دار الفرقان . ط ١٩٨٩ د. احمد نوفل ص ٣٤ .

والمتغيرات التي طرأت على نظريات استخدام القوة العسكرية، فقد بدأت الدول والجماعات باستعمال الوسائل المتوفرة للدعاية والحرب النفسية كالشائعات والجواسيس والمنشورات، وهي وسائل الدعاية والحرب النفسية الأقدم في تاريخ الحروب في العالم، كذلك تطورت الصحافة المكتوبة والإذاعات بفعل انتشار المطابع وتقدم الاكتشافات التلغرافية والهرتزية في الحرب العالمية الأولى، وأضيف إليها الإذاعات ذات البث المتقدم التي طورت نمط الخطابة الجماهيرية والدعائية، وأنضم التلفزيون وتقنيات الصورة والصوتيات في الحرب العالمية الثانية، وشهدنا ابرع نماذجها مع القائد الألماني غوبلز صاحب النظريات المشهورة في الدعاية والحرب النفسية، وسجلت الدعاية والحرب النفسية أعلى صعودها أثناء الحرب الباردة بين المحورين الغربي الأميركي والشرقي السوفياتي بفضل تطور وتقدم عالم الشاشة والصورة والأفلام والسينما والتلفزيون[1] .

وفي التقييم والتشخيص نستنتج بعد المقارنة والمطابقة بين الحرب النفسية والحرب الناعمة انهما يشتركان في الهدف لجهة قصد تطويع إرادة العدو (الدول والنظم والشعوب والجيوش والرأي العام والمنظمات والجماعات) ولكنهما يختلفان ويتعاكسان في الوسائل والأساليب .

ويختلفان في نوعية الأساليب بسبب درجة انتشار الأدوات الإعلامية والاتصالية لدى الرأي العام، فالحرب الناعمة دخلت إلى كل البيوت ٢٤ ساعة من خلال شاشات التلفزيون والانترنت والهواتف الخلوية، في ظل عولمة إعلامية وثقافية ومعلوماتية فورية ومفتوحة ومتفاعلة ومترابطة بشكل لا سابق له، في حين كانت الحرب النفسية تنطلق بشكل أساسي نحو الجيوش والحكومات التي كانت تمتلك وتسيطر بصورة شبه احتكارية على وسائل الاتصال والإعلام التقليدية (الإذاعات / الصحف ، الشاشات) التي كانت محدودة العدد والانتشار نظرا لكلفتها الاقتصادية..

فمعركة الحرب الناعمة تبدأ أولا مع الرأي العام تمهيدا للانقضاض على النظام المعادي، في حين تبدأ الحرب النفسية بمهاجمة الدولة وجيشها ومؤسساتها العامة أي تبدأ المعركة ضد النخبة السياسية والعسكرية اولاً ومن ثم تنتقل لأجل ضرب الرأي العام المعادي لفك ارتباطه وولائه ولحمته مع الدولة والنظام المستهدف.

فكل ما هو من الإرغام والضغط والفرض بوسائل أكثر صلابة دون أن تصل لمستوى الوسائل العسكرية هو من الحرب النفسية (خطابات عالية النبرة وتهديدات وعروض عسكرية وشائعات واغتيالات وحرب جواسيس) وكل ما هو من جنس الاستمالة والجذب والإغواء الفكري والنفسي بوسائل أكثر نعومة (أفلام وأقراص ممغنطة وصفحات face

> **• الحرب النفسية والناعمة تشتركان في الهدف لجهة قصد تطويع إرادة العدو ويختلفان في الوسائل والأساليب .**
>
> -----------------
>
> **• تبدأ الحرب الناعمة أولا مع الرأي العام تمهيدا للانقضاض على النظام المعادي، في حين تبدأ الحرب النفسية ضد النخبة السياسية والعسكرية ومن ثم تنتقل لضرب الرأي العام المعادي لفك ارتباطه مع الدولة والنظام المستهدَف .**

(١) للتوسع في هذا البحث راجع كتاب: قصف العقول ..الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي/ د. فيليب تيلور / مجلة عالم المعرفة .



book والمسلسلات وsms) يدخل في تعريف الحرب الناعمة .

القوة الذكية

إستراتيجية مشروع القوة الذكية في الولايات المتحدة:

تعد الولايات المتحدة الدولة الأم لسياسة القوة الذكية، حيث رسمت لنفسها هذه السياسة لجملة من الأسباب والتي تشكل في الوقت نفسه تحديات آنية ومستقبلية لمكانتها الدولية، و هذه الأسباب تكمن في:

–شهدت السياسة الخارجية الأمريكية في الآونة الأخيرة حالة من التراجع الملحوظ على المستوى الدولي، كتأزم الوضع الأمريكي في العراق، حيث تزايدت الخسائر الأمريكية البشرية والمالية هناك، فضلا عن تدهور العملية السياسية. بالإضافة للإخفاق الأمريكي في أفغانستان والذي يشبه الإخفاق والخسائر في العراق من حيث تزايد حجم الخسائر ونوعيتها.

–عدم تحقيق الأهداف من تلك الحربين المتمثلة في نشر الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط، والقضاء على تنظيم القاعدة والمنظمات الإرهابية؛ بل زاد عددها بعد أحداث ١١سبتمبر بمقارنتها بتلك التي كانت قبل ذلك، ويدحض مقولة أمريكية مفادها أن العالم بعد ١١سبتمبر سوف يكون أكثر أمناً عن مثيله قبل تلك الأحداث.

–عدم وجود سياسات أمريكية للتعامل مع صعود قوى جديدة على الساحة الدولية (الصين والهند) وقوى أخرى تستعيد قوتها من جديد بعد فترة من التراجع (روسيا).

بهذا الشأن قال وزير الدفاع الأمريكي "روبرت غيتس" " في ٦/١١/ ٢٠٠٧ "أن القادة الأمريكيين أدركوا أن طبيعة الصراعات تحتاج منهم إلي تطوير القدرات والمؤسسات الأساسية (غير العسكرية)".

وضمن هذا الإطار الذي يتسم بالتراجع الأمريكي على المستويين الداخلي والعالمي، ومع اقتراب الانتخابات التمهيدية والانتخابات الرئاسية في نوفمبر ٢٠٠٨؛ بدأت مراكز الأبحاث في بحث كيفية مواجهة التراجع الأمريكي عالميا، واستعادة واشنطن لمكانتها.

وقد قام مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (CSIS) وبدعم من مؤسسة ستار بإستراتيجية مشروع القوة الذكية (Smart Power)، التي تهدف إلى أن تقوم السياسة الخارجية الأمريكية على الدمج بين مفهومي القوة الناعمة (Soft Power) والقوة الصلبة (Hard power)، وذلك في ظل غياب الرؤية الإستراتيجية لكيفية مواجهة التحديات الآنية والمستقبلية التي تواجه الولايات المتحدة، و السبيل الأمثل لإدارة السياسة الخارجية الأمريكية؛ من أجل تحقيق المصلحة والأمن القومي الأمريكي.

لذا دعا المركز إلى اجتماعات ومناقشات ضمت أعضاء من الإدارة الأمريكية القائمة في عام ٢٠٠٧، وأعضاء من المكتب الانتخابي، والجيش، والمنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام وأكاديميين وكذلك أفراد من القطاع الخاص. وقد اجتمعت اللجنة ثلاثة مرات خلال عام ٢٠٠٧؛ لتطوير مخطط تفصيلي لإنعاش القيادة الأمريكية على أساس مجموعة من الأبحاث والدراسات أعدها خبراء بالمركز.

وقد أصدرت اللجنة تقريرها عن التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة بعنوان "التوقع العالمي لتحديات الأمن العليا لعام ٢٠٠٨" Global Forecast the top security" ٢٠٠٨ challenges of"، وتقرير أخر عن القوة الذكية كسياسة لاستعادة مكانة الولايات المتحدة عالميا بعنوان "القوة الذكية، أمن أكثر لأمريكا" Smart power more



"security for America" وهـدف من خلالهما تشكيل النقاش السياسي أثناء الحملات الانتخابية للمرشحين للفوز بالمكتب الأبيض، وكذلك النقاش الوطني حول سبل استعادة واشنطن مكانتها دوليا ومواجهة التحديات التي تحدث عنها التقرير الأول.

وقد ترأس شخصيتان هذا المشروع والاجتماعات والحلقات النقاشية، الأولى لها خبرة بالجانب العملي التطبيقي بالمشاركة في إدارات سابقة، والثانية ذو خلفية أكاديمية مع العمل والمشاركة في العمل الحكومي. وهما:ريتشارد أرميتاج (Richard L. Armitage)[١] وجوزيف ناي(Joseph S. Nye).

عوامل نجاح سياسة القوة الذكية في الولايات المتحدة:

لاستعادة مكانة الولايات المتحدة عالميا يرى كل من ناي وأرميتاج في مقال نشر لهما بصحيفة "واشنطن بوست" في ٩/١٢/ ٢٠٠٧ والمعنونة بـ "قف عن الجنون، أمريكا، أصبحت ذكية" "Stop Getting Mad. America. Get Smart" أن عليها التركيز على خمس أشياء أساسية هي:

١-إعـــادة تـقـويـة الـتـحـالـفـات والـشـراكـات والمنظمات التي تتيح لواشنطن مواجهة مصادر الخطر المتعددة، وعدم الحاجة إلى بناء تحالف جديد عند مواجهة كل تحدي جديد.

٢-أن يكون هناك اهتمام على مستوى الإدارات الأمريكية بالتنمية على المستوى الـدولي، مما يساعد واشنطن على تطوير برامج المساعدات، بحيث تكون أكثر تكاملا وتوحدا، والـذي يربط المصالح الأمريكية مع تطلعات الأفـراد في كافة أنحاء العالم، والتي تبدأ بالاهتمام بالصحة العالمية.

٣-إعادة استثمار الدبلوماسية الشعبية، وإنشاء مؤسسات لا تسعى إلى الربح في الخارج؛ لخلق روابـط بين الأفـراد، والتي تتضمن مضاعفة الاعـتـمـاد السنوي لـ "برنامج فـولـبرايـت[٢] "Fulbright Program"، الـذي ترعاه الولايات المتحدة لتعزز التفاهم والتبادل العلمي والثقافي بين شعبها وشعوب دول العالم.

٤-الارتـبـاط بالاقتصاد العالمي بالتفاوض حـول مناطق التجارة الحـرة مع دول منظمة التجارة العالمية الراغبة في التحرك تجاه تحرير التجارة، استنادا إلى القاعدة الدولية، وتوسيع مناطق التجارة الحرة لتشمل الدول التي لم تلحق بركب العولمة.

٥-أخـذ موقع الصدارة في قضايا التغيرات

---

(١) مستشار في السياسة الخارجية ١٩٨١ -١٩٨٣، نائب مساعد لوزير الدفاع في شرق آسيا وشؤون المحيط الهادي، مساعد وزير الدفاع لشؤون الأمن الدولي ١٩٨٣ - ١٩٨٩ ، نائب وزير الدفاع في مكتب شؤون الأمن الدولي ١٩٩٢ ،مساعد وزير الخارجية الأميركي ٢٠٠١. رئيس مركز «أرميتاج الدولي» «Armitage International» الذي أسسه في ٢٠٠٥ بعد خروجه من الإدارة الأمريكية، والمعني بتنمية التجارة الدولية والتخطيط الاستراتيجي وحل المشكلات.

(٢) برنامج فولبرايت - : برنامج التبادل التعليمي الدولي الرائد برعاية الحكومة الأميركية. صمم لزيادة التفاهم المتبادل بين شعب الولايات المتحدة وشعوب الدول الاخرى. يوفر برنامج فولبرايت للمشاركين الذين تم اختيارهم لجدارتهم الأكاديمية وامكانياتهم القيادية -- مع فرصة لدراسة وتعليم وإجراء البحوث وتبادل الأفكار والمساهمة في ايجاد حلول للمخاوف الدولية المشتركة. تتوافر المنح لمواطني الولايات المتحدة للذهاب إلى الخارج وللمواطنين غير الامريكيين بدون إقامة دائمة في الولايات المتحدة . يشكل برنامج فولبرايت عنصرا هاما من علاقات الولايات المتحدة الثنائية مع البلدان في جميع أنحاء العالم. حددت الولايات المتحدة والحكومات الأجنبية أولويات مشتركة للتبادلات التعليمية/ الموقع الالكتروني للسفارة الامريكية في بغداد.



المناخية وغياب الأمن لمصادر الطاقة، بالاستثمار أكثر في مجالات التقنية والإبداع. وبحسب رأيهما تتطلب القيادة أكثر من الرؤية، فهي تحتاج إلى التنفيذ والمسؤولية الغائبتين في إدارة جورج بوش.

تحديات الولايات المتحدة في تطبيق إستراتيجية القوة الذكية

تتمثل هذه التحديات في أن أدواتها الدبلوماسية والمساعدات الخارجية المالية في أغلب الأحيان تكون غير كافية ويمكن تجاهلها؛ بسبب صعوبة ظهور تأثيرها في المدى القصير على القضايا الحرجة. ويرى ناي وأرميتاج أن "استخدام القوة الناعمة عملية معقدة؛ لأن أغلب مصادر القوة الناعمة الأمريكية تكمن في العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة وحلفائها، والمشاركة في المنظمات الدولية المتعددة الأطراف، أو خارج إطار تأثير الحكومات في القطاع الخاص ومنظمات المجتمع المدني. لذا لابد من عملية الدمج بين مفهومي القوة الناعمة والصلبة حيال التعامل مع القضايا الدولية كمحاربة التمرد، وبناء الأمة، ومكافحة الجماعات الإرهابية التي اعتمدت بصورة شبة أساسية على القوة العسكرية الأمريكية، ولاسيما أن السنوات الست الماضية توضح أن القوة العسكرية لا تستطيع حماية الأهداف القومية على المدى الطويل".

والخبرة التاريخية توضح أن واشنطن نجحت في الدمج بين هاتين القوتين في سياستها الخارجية، وكان ذلك في الحرب العالمية الثانية حيث اعتمدت على القوة المسلحة في القضاء على أعدائها، وعلى القوة الناعمة لإعادة بناء اليابان وأوروبا عن طريق "خطة مارشال"(١) وبناء المؤسسات والقيم التي كانت الأساس الذي قام عليه النظام الدولي الجديد بعد تلك الحرب.

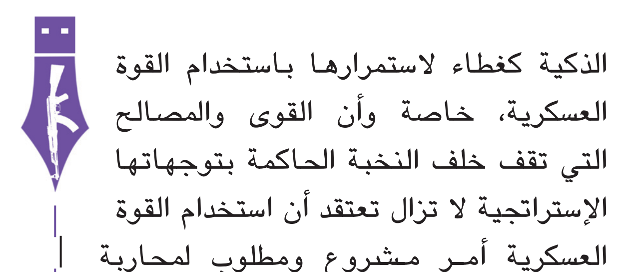
كما وتواجه الولايات المتحدة صعوبة في استخدام القوة الناعمة في الشرق الأوسط لأسباب عديدة منها الفوارق الثقافية الكبيرة بين أميركا والشرق الأوسط، ونزعة العداء لأميركا المتنامية بسبب السياسات الأمريكية في حقل الصراع العربي الإسرائيلي، على الرغم من وجود جوانب كثيرة في الثقافة الأميركية يحبها أبناء الشرق الأوسط وتُعدّ أساساً جيدًا للقوة الناعمة إلا أنّ أميركا أثبتت فشلها في استغلال هذه الفرص. لذلك فقد وضعت لجنة استشارية بعض التوجيهات لزيادة قوة أميركا الناعمة في البلاد العربية الإسلامية مثل: إنشاء المكتبات، وترجمة الكتب الغربية إلى العربية، وزيادة المنح الدراسية والزيارات الأكاديمية فضلاً عن إنشاء (فضائية الحرة) و(راديو سوا) وغيرها من وسائل الإعلام التي تستهدف الرأي العام العربي.

واخيرا: تشكّل الدبلوماسية العامة تشكل أداة مهمة في ترسانة القوة الذكية، ولكن هذه الدبلوماسية تتطلب فهماً سليماً للمصداقية، والنقد الذاتي، ودور المجتمع المدني في توليد القوة الناعمة. وإذا ما هبطت إلى مستوى الدعاية، أو حملة علاقات عامة فإنها ستفشل في أداء دورها المتضمن الإقناع والجذب واستقطاب الرأي العام العالمي حول أهداف وقضايا صانعيها. لذا لا بد للقوة الذكية عبر سياسة القوة الناعمة أن تعتمد في المقام الأول

(١) مشروع مارشال (صدر رسميا باسم برنامج الإنتعاش الاوروبي، ERP)، هو برنامج اقتصادي لتشجيع الدول الأوروبية على العمل معًا للإنعاش الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥م). ففي يونيو ١٩٤٧م وافقت الولايات المتحدة على مساعدة أوروبا إذا ما وافقت هذه الدول على الاجتماع لتقرر ما تحتاج إليه. وكان الاسم الرسمي للمشروع هو برنامج الإنعاش الأوروبي. وقد أُطْلِق عليه اسم مشروع مارشال لأن وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال كان أول من اقترحه. موقع المعرفة.

على فهم عقول الآخرين واستيعاب مفاهيمهم ومعتقداتهم لتتمكن من معرفة ورسم مواقع نفوذها لديهم.

ورغم ما رسمته الولايات المتحدة لنفسها من إستراتيجيات للقوة الذكية إلا أنها ما زالت تنفق على القوة العسكرية أكثر من الناعمة ب١٧ ضعفًا، مما يدل على أنها تلوح باستخدام القوة



الذكية كغطاء لاستمرارها باستخدام القوة العسكرية، خاصة وأن القوى والمصالح التي تقف خلف النخبة الحاكمة بتوجهاتها الإستراتيجية لا تزال تعتقد أن استخدام القوة العسكرية أمر مشروع ومطلوب لمحاربة الإرهاب.

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

المبحث الثالث : اهمية الحرب الناعمة وتاثيراتها

أهمية الحرب الناعمة

الحرب الناعمة شكل من أشكال الحروب تتخذه الدول عند انسداد الخيارات العسكرية أمامها بمواجهة دولة أو كيان أو حزب معاد لمصالحها. وقد حدد كل من جوزيف ناي وجيمس غلاسمان (مدير مركز جورج بوش الابن للدراسات) ومايكل دوران (نائب مساعد وزير الدفاع للشؤون الدبلوماسية سابقا) وغيرهم الحرب الناعمة بهدف "تغيير شخصية القيادة الإيرانية" وإذا قرأنا جيدا مقولة قائد الثورة الاسلامية السيد الخامنئي : "إن وسائل الإعلام في هذا العصر لها قدرة تدميرية تعادل القنبلة الذرية" لا نكون في موقع المبالغة إذا حددنا أن كل فضائية معادية تعادل سرب طائرات أو حاملة طائرات، وكل موقع أو شبكة انترنت تعادل مدفعا ثقيلا، وكل مقالة أو تصريح يعادل قذيفة صاروخية، كما أن كل تصريح أو خطاب لقائد من قادة الفتنة يوازي كمينا بعبوة ناسفة متفجرة في قوته الناعمة. فهذه هي أسلحة الحرب الناعمة.

وإذا كان التكليف هو المقاومة والصمود في مواجهة هذه الحرب فينبغي الرد من خلال تأسيس فضائيات ومواقع إنترنت وصحف ومؤسسات تعمل على إبتكار إستراتيجيات وتكتيكات إعلامية وثقافية مضادة على ضوء المعارف والخبرات والمعادلات العلمية لمواجهة الحرب الناعمة وفي إطار خطة مدروسة ومضادة لا تهدر الطاقات ولا تضيع الأوقات في بث برامج ومواد لا صلة لها بمواجهة هذه الحرب الدائرة، ولهذا ينبغي تأسيس مراكز أبحاث وكليات ومعاهد لدراسة الحرب الناعمة وتدريب كوادر على أسس هذه الحرب وتخريج عناصر وضباط وقادة يقاتلون في جبهات هذه الحرب، ولذا شبّه أساتذة الجامعات ومراكز البحث العلمي والطلاب المخلصين وعلماء الدين بأنهم قادة وضباط جبهة الحرب الناعمة.

> • لوسائل الإعلام في هذا العصر قدرة تدميرية تعادل القنبلة الذرية.

تاثيرات الحرب الناعمة

يستقبل العقل والدماغ البشري المعطيات الحسية والمواد والرسائل الإعلامية عن طريق وسائل الاتصال والإعلام المختلفة (تلفزيون

، إذاعة ، فضائيات ، صحف ومطبوعات ومجلات ، مواقع انترنت ، إعلانات ، أجهزة الاتصال الفردية الخلوي ، الخ) بمعدل مليوني معلومة وجزئية في الجرعة الواحدة(مليوني Beta باللغة العلمية) يدخل منها إلى الوعي نسبة قليلة جدا تقل عن١٠٪ ويذهب القسم الباقي أي ٩٠٪ إلى اللاوعي محدثا أثاره البطيئة عبر عمليات التأثير وعبر فتح قنوات وآليات الاتصال والتفاعل بين اللاوعي والوعي في أروقة وعوالم العقل الباطن..

بمعنى آخر فأن المنظومة الدماغية والعصبية تسيطر ليس فقط على حركة الجسم وإنما أيضا على إفرازات الهرمون والمعايشة والتفكير والوعي والسلوك وفهم العالم والذات. في الوقت نفسه ليس كل ما يتحكم فيه الدماغ يخضع لرغبتنا الواعية، بل أن بعض الوظائف يقوم الدماغ بإدارتها بدون الحاجة إلى قرارات واعية.

وبناء على ما سبق، فان الإنسان في تواصله وتلقيه المعرفي والثقافي والترفيهي وحتى الاجتماعي أصبح مدينا وتحت تأثير هذه الوسائل وخاصة التلفزيون والانترنت، ولا يحتاج هذا الأمر إلى كثرة استدلال، يكفي أن نشير إلى إحصائية علمية تكشف إن الجمهور يتعرض لوسائل الإعلام بمعدل ٣-٤ ساعات يوميا، أي ما يوازي١٠٠٠ ساعة سنوياً، مقابل ٨٠٠ ساعة يقضيها التلاميذ والطلاب في المدارس أو الجامعات، وهناك إحصائيات تقول أن المتلقي العربي يتعرض لـ٦ ساعات يومياً و١٥٠٠ ساعة سنوياً من مختلف أنواع الوسائل الإعلامية.

هذا التعرض (المشاهدة التلفزيونية أو الاستماع والسماع الإذاعي أو التصفح الالكتروني الانترنتي) سيؤدي إلى حدوث أثار ومضاعفات هائلة في صوغ وتشكيل وتشويش أذهان الناس وتوجيه ميولها النفسية والجمالية والاستهلاكية، والأخطر

من كل هذا برمجة وعيها الثقافي والديني والسياسي وخاصة الشرائح الرخوة الأكثر عرضة للتأثر – الأطفال والمراهقين والشباب...

وكما هو معروف فان اللاوعي نظام تخزيني وترميزي هائل في الذاكرة، ومن الناحية التقنية تحصل عمليات التفريغ والاستبدال لمعطيات ومكونات الوعي بما يشبه تقنية الأثقال البصري المعروفة، والتي تقوم على تحميل الوعي كمية معطيات ومواد بصرية وسمعية أكثر من قدرته على الاحتمال لدرجة الإفاضة فيقوم بتصديرها بالضرورة إلى اللاوعي مضخما إياه بأجزاء ونتف من المعلومات والصور والأفكار والآراء التي لم يجرِ معالجتها وتصنيفها وتصريفها بحكمة ورشد ووعي، وكلما امتلأ العقل الباطن بها زادت نسبة تشوش الجهاز الفكري والنفسي للفرد، فالعقل الباطن والعقل الظاهر يتعاكسان في الطبيعة وكلما اشتدت فعالية احدهما ضعفت فعالية الأخر، وهذا ما يؤدي في النهاية إلى عدم الانسجام والتوازن بل والصراع بين العقل الباطن والعقل الظاهر، فينتج عنه سلوكيات مزدوجة كالنفاق والرياء والتناقض بين الأقوال والأفعال[١] ، الأمر الذي يشاهده بالعيان في سلوك أغلبية الناس هذه الأيام، حيث اللايقين واللامبالاة إزاء قضايا مقدسة وكبرى وأمواج من الضياع والتيه والتشتت الفكري والروحي والنفسي والتفسخ القيمي والاجتماعي وتبرير وتقبل الباطل بسهولة واقتحام للمعاصي والجريمة بألفة واستئناس!

ولهذا، فالعقل الإنساني لا يستطيع محو أثار المعطيات المختزنة بدون أن تترك بصماتها وتشوشاتها عليه، وقد يستطيع استقبال وإضافة معلومات صحيحة وجديدة وضمها

---

(١) خوارق اللاشعور . علي الوردي الوراق للنشر ط٢/ ٢٠٠٨. ص ٢٢٢.



إلى المعلومات المغلوطة القديمة، ولكن التفاعل والتسرب سيحصل بين اللاوعي والوعي بصورة حتمية لاإرادية، ومهما حاول الإنسان ضبط وعيه وشعوره فان اللاوعي واللاشعور سيطلقان بالحد الأدنى محفزات وإيحاءات ذاتية يصعب الانفلات منها ولو في حالات الاسترخاء والنوم والأحلام، وهذا التحول يحدث بأسلوب تدريجي جرعة اثر جرعة قد يحصل في غضون أسابيع وأشهر وليس في ساعات......

مثال على ذلك فيما لو بثت ١٠ قنوات تلفزيونية حملة مركزة على مدى شهر كامل وبشكل متكرر أمام جمهور محدد مجموعة من الرسائل والمقولات والمغالطات... فان الوعي أما آن يتقبلها وإما أن يرفضها، فإذا قبلها دخلت وركزت في الوعي وفق عملية تسمى بـ (الإرساء) حسب مصطلحات علم البرمجة اللغوية والعصبية وأصبحت معتقدا، وإذا رفضها ذهبت إلى اللاوعي، وهناك كلما ازدادت كميتها أطلقت في النفس محفزات ووسوسات لاواعية ولاشعورية، وبالطبع ليس كل الناس على درجة واحدة من التأثر والتفاعل، فكلما كان الشخص يقظ الوعي نافذ البصيرة راسخ الإيمان صلب الإرادة، كلما منع هذه السلبيات من أن ترسي في وعيه ونفسه، ولكن الخطورة تبقى في الفئات الرخوة (الأطفال ، الشباب ، الأميين) فهؤلاء كالأوراق البيضاء التي يمكن أن يكتب على صفحاتها كل شيء ..

واستطراداً لو فرضنا أننا قمنا بعملية برمجة إعلامية مضادة لعادة فرد آو جماعة تعرضت لضخ إعلامي سلبي فليس من السهل أخراجها من هذا المستنقع بدون مضاعفات، هذا إذا قطعت الخطوات المطلوبة وعادت إلى رشدها، لان محو المعطيات والمواد المغلوطة والمزورة من الدماغ والعقل البشري ليس بالسهولة التي قد يتصورها البعض، وعندها تكون الأغلبية من هذا الجمهور قد سقطت وغرقت في وحول الكفر واللاإيمان وسقطت على الطريق قبل أن تتلقفها يد الهداية الإلهية.

ومن هنا خطورة الإدمان والتعرض السلبي لوسائل الإعلام، فالتكرار والتوكيد يصنعان التصورات والمعتقدات خاصة إذا ما شحنّا بجرعات عاطفية ومؤثرات بصرية ايحائية كما يقول الباحث الشهير غوستاف لوبون.

الأمركة .. القوة الأمريكية الناعمة[١]

يمكن القول بأنّ فرنسا حين شرعتْ في تصدير قيمها الثقافية خارج حدودها بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وعبر حملات نابليون العسكرية، فقد دفع ذلك الى إثارة الوعي القومي وتحفيزه ما بين أبناء القوميات الاوربية. فإنبثقتْ عن ذلك أُولى نظريات القومية إبّان القرن التاسع عشر ومنها النظرية الفرنسية والنظرية الالمانية. فكانت حصيلة ذلك تحولاتٌ فكرية وسياسية متجسّدة في تبلور ثلاثة مراكز ثقافية غربية: أولاها مجموعة دول بَحرَيَ الشمال والبلطيق التي تعرف بالمجموعة الأنجلوساكسونية، وثانيتها مجموعة دول البحر الابيض المتوسط التي تعرف ايضاً بالمجموعة اللاتينية. أما الثالثة فهي المجموعة السلافية التي تتجسد في معظم شرق اوربا. بيد أنّ هذا التصنيف الثقافي لمراكز القوة في أوربا والغرب بعامة ينبغي أنْ لا يعني كون مراكز هذه المجموعات الثلاث كانت تَنتهجُ السياسات عينها ضمن مسار التفاعل الثقافي مع «الآخر» وعلى وتيرة واحدة وبالمضمون ذاته. بل إنّ المراكز الفاعلة فيها، وهي بريطانيا (الولايات

---

(١) موقع صوت الاخر- د. حسام الدين علي مجيد- ٢٠١٣/٧/٢٤ قسم العلوم السياسية بجامعة صلاح الدين – أربيل.



المتحدة حالياً) وفرنسا وروسيا على الترتيب، قد لعبتْ ادواراً متباينة نسبياً ولاسيما من حيث الشّق الفكري للتفاعل الثقافي.

لهذا الباعث، ربما يصدقُ الرأي القائل بكون الثقافة الغربية ما دامت مؤلفَةً من عِدّة مراكز ثقافية متنافسة، فإنّ نزوعَ أيّ منها إلى تحقيقَ السيطرة على أقرانـه يغدو من قبيل الأمـور المنطقية في حال إمتلاك مقدرات السيطرة، ولا يَشّذُ المركز الثقافي الأمريكي عن ذلك. إذ أنّهُ يُجسّدُ خصال الدائرة الثقافية الأنجلوسكسونية تلك التي أضحتْ أمريكا فاعلها الرئيس، ثم أنّها تعملُ جاهدةً على إخضاع المجال الثقافي الغربي لهيمنتها. ومـن هنا جـاءت تسمية (الأمركة Americanization)التي تُعبّر عن علاقة السيطرة هذه سواءً تجاه أوروبا أَم تجاه بقية العالم، بحيث أنّ مفهوم العولمة Globalizationوفقاً لهذا المنظور هو بمثابة الإسم الحَركي للأمركة ليس إلا. إذ وفقاً لتعبير الباحثة (ثَمايا تاي Thamaia Tie) إنّ العولمة، «هي في الواقع كلمة تبرئة Alibi لتغطية الأمركة. فأمريكا إذا فُهمَتْ بأنّها القوة المهيمنة على ثلاث وكـالات متعّدية الجنسية وهـي: (صندوق النقد الـدولي، والبنك الـدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية) ثم إذا سَميّتَ ذلك بالعولمة فإنّها ستُصبحُ لسبب وجيه شيئاً حسناً». وممّا يُعّزز السعي الأمريكيّ في السيطرة تأكيداً، تحكم هذه الدولة بما يُقارب (٦٥٪) من المـادة الإعـلاميـة على المستوى العالمي، بفعل التطور النوعي والتشابك الحاصل في وسائل إعلامها، التي تتجاوز(٢٠٠) شركة إعلامية توزّعُ على الصعيد الدولي ما لا يقل عن (٢٠٠،٠٠٠) ساعة سنوياً من المواد الإعلامية. بحيث أنّ "وكالة يونايتد برسUnited Press" الأخبارية وحدها تمّدُ أكثر من (٢٠٠) محطة تلفازية في (٧٠) دولة بالتقارير والأخبار المصـوّرة. وتتوزع هـذه المـقـدرات الاعلاميـة إجمالاً داخل منظومة إقتصادية تحوي زهاء (١٣٥) شركة متعددة القومية Trans-national Corporation.

في ضوء ما تقدّم بيانهُ، وحين الشروع في دراسة فحوى الأمركة، سنجدها وثيقة الصلة بمفهوم "الحلم الأميركي American Dream" الذي يُعّرف بأنه تعبيرٌ متركّبٌ من عدّة مفاهيم متكاملة ويتركز فيه الكثير من السمات النفسية والثقافية التي تعكس نمط الحياة الاميركية، حيث الإنسان الذي يَصنَعُ ذاته بذاته، بالغاً ذُرى النجاح والرفاهية ضمن ظروف تكافؤ الفرص، وعبرإعتماده المطلق على مجهوده الفردي. وذلك بإعتبار أنّ النجاح والرفاه إنجـازٌ غير مرتبط بالنظام الاجتماعي وآلياته بل بالقدرة الفردية دون سواها. هذا المنظور وفقاً لهذه الدلالة قد تعدّى المجال السياسي ليشمل مختلف جوانب الثقافة الأميركية، حتى أضحى الحلم الأمريكي رمز الأمركة الأصيل ولاسيما إنه يُعّدُ أساساً ظاهرةً من ظواهر الوعي الاميركي وتبلورهِ التأريخي قُبيل حيازته لِبنائهِ النظري عام ١٨٨٤. وعليه، فإنّ صِلة الوصل ما بينَ الأمركة و الحلم الأميركي، تتمثّلُ في كون الأولى هي السبيل الرئيس لإستكمال بناء مفردات الثانية، بحيث تُروّجُ تطبيقات النموذج الأمريكي فكراً وممارسةً على الصعيد الدولي لِتصّبَ محصلاتهُ بالنتيجة في الصالح الداخلي، ليتمّ بذلك أولاً تعميم النموذج عالمياً ثم تقوية مركزهِ الثقافي ثانياً. ولا يجسّدُ ذلك الا الهدف الأساسي الذي سَعتْ لقطفه طلائع المستوطنين لأمريكا الشمالية ولاسيما "الطائفة الطُهرية Puritan" التي شبّهتْ ذاتها بـ"الشعب المختار" حين فَرّتْ من أصفاد أوروبا ونارها باحثةً عن أرض ميعاد جديدة لِتبنيَ عليها مدنيةً جديدة. وتجلَتْ هذهِ الرؤية بوضوح إبّانَ الحرب الأهلية الأمريكية (



١٨٦٢ – ١٨٦٥) ضمن الخطابات الدينية التي ألقاها رجال الدين، مثل "جوزيا سترونج J. Strong" حيث أشاروا فيها صراحةً الى كون "العنصر الأنجلوسكسوني قد اختارهُ الله لتمدين العالم".

هذا المنظور تجاه «الذات Self» لايزال يمثل القوةَ الدافعة للأمركة في علاقات الدولة بخارج مجالها الثقافي، بدليل استمراريتهِ في مُدركات صانع القرار الأمريكي نفسه. وما يؤيدُ ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" في وصفهِ لمؤسّسي الدولة الأمريكية بأنّهم: "كانوا مدفوعين بما لا يمكن وصفهُ الا بأنّهُ إيمانٌ صوفي بما خلقوه. وقد لا تحتوي وثيقة الاستقلال على هذه العبارات، لكنهم آمنوا بأنهم لم يكونوا يَبنون لأنفسهم بل للآخرين أيضاً، وليس لأُمتهم وحَدها بل للأمم الأُخرى، وليس لِزمنهم وحَده بل لجميع الأزمنة. فلم يستّبدْ بهم الإدعاء الى حَدّ الظن بأنّ أمريكا قوةٌ عالمية ولكنهم آمنوا بأنّهم يُشاركون في قضيةٍ أعظم من ذواتهم بكثير".

هذا النزوع الأميركي قد ترسّخ وبات يؤتي ثمارهُ من خلال الإستناد الى «الإيمان الصوفي» الذي خلقهُ المستوطنون الأوائل والآباء المؤسّسون سيّما عقب عام ١٩٩١. إذ أنّ إنفراد الولايات المتحدّة بصعيد العلاقات الدولية دون موازن كُفءٍ، قد أفضى إلى قيامها بتوجيه معظمٍ مقدراتها المادية نحو تعميم نموذجها الثقافي تحديداً على نحو عالمي. ومن خلال تأكيد النظام الامريكي العالمي على أُسلوب الاختيار الذاتي. كما يعتمد كثيراً في هذا المجال على ممارسة التأثير غير المباشر في الزعامات الأجنبية غير المستقلة، في الوقت الذي يَستمّدُ فيه المنافع من جاذبية مبادئه ومؤسساته الديمقراطية. ويدعم ما تقّدم، الأثر الكبير للسيطرة الأمريكية على الاتصالات العالمية، ووسائل الترفيه الشعبية والثقافة الجماهيرية، فضلاً على مُنجزاته في المجالَين التكنلوجي والعسكري. مما أكسَبَ ذلك الأمركةَ قُدرةً مُضافة مكنّتها من تعدّي الثقافة المكتوبة بالغةً أداة ترويج مُستَحدَثة تُعرفُ بإسم "ثقافة الصورة Culture of Picture" وهي تلعبُ الدور عينهُ الذي تمارسهُ الكلمة المقروءة، غير أنّها لا تستلزم المصاحَبة اللغوية كي تنفذ الى إدراك المُتلقّي لانها لُغةٌ صُورية تمتلك سائر مقومات التأثير والجاذبية، بحيث تغدو قادرةً على إختراق حاجز اللغة عند المُتلقّي لكونها ببساطة ليست الا صورة، وهو ما يُفسّرُ باعث السِعة في إنتشارها الشعبي. والأمرُ ذاته يكشف مكمَنَ إفتراق حدة فاعليته عن الكَلِمة المقروء، إذ أنّ فاعلية الأخير ترتكزُ على سعة اطلاع المتلقي لغةً وثقافة، لذا فإنّ مؤثراتهُ توجّهُ صوب النخبة المثقفة بخلاف ثقافة الصورة التي تعتمدها الأمركة بخاصة، فهي تُسوّقُ على أوسع مدىً جماهيري. لكن ذلك لا يعني إتّكاءَ الأمركة على المؤثّر الاعلامي السمعي والمرئي فحسب، بل الأمرُ في عمومه يتواءم وسبل الترويج الأُخرى ولاسيما المؤسسات التعليمية ودُور النشر والتوزيع، التي تُعّدُ بدورها واسطةً فعّالَة للنفاذ الى مدركات "بقية العالم Rest of the World" وبشكل خاص داخل مستوى النخبة، وذلك بغية تجسيد

• ان فحوى "الأمركة" وثيقة الصلة بمفهوم "الحلم الأميركي" الذي يتركز فيه الكثير من السمات النفسية والثقافية التي تعكس نمط الحياة الاميركية، وفيها يصنع الإنسان ذاته بذاته، ويبلغ ذُرى النجاحَ والرفاهية عبر إعتماده المطلق على مجهوده الفردي.



واقع التجانس الثقافي. وفي هذا السياق عمدت الولايات المتحدة الى تشييد ٧ جامعات في منطقة الشرق الأوسط، التي بلغ المُنفق عليها سنوياً اكثر من ١٥ مليون دولار، جنباً الى جنب إسهامات المراكز والمؤسسات العلمية بذاتها، مثل (مؤسسة راند الاميركية، وفورد فاونديشن، ومؤسسة روكفلر للأبحاث).

الحرب الناعمة = العولمة

تعتقد مجموعة من الباحثين أنّ التعرف إلى الحرب الناعمة ومجالاتها ومصاديقها يقتضي دراسة الحركة التاريخية لنشأة الحروب وتطور أنظمة السلطة. فمن وجهة نظرهم، يمكن الإشارة الى ثلاثة مقاطع تاريخية قامت فيها الأنظمة السلطوية بفرض إرادتها على العالم لتأمين مصالحها وأهدافها الحيوية، وهي:

١- الاستعمار القديم (مرحلة التهديدات الصلبة)

٢- مرحلة الاستعمار الحديث (مرحلة التهديدات نصف الصلبة)

٣- مرحلة الاستعمار ما بعد الحديث (مرحلة التهديدات الناعمة)

بناءً على هذه المراحل، يشير هؤلاء الباحثون الى أنّ ماهية واستراتيجية السلطة كانت متفاوتة عبر التاريخ، وأنّه في كل مرحلة كانت تُستخدم أدوات وطرق في فرض الإرادة وتأمين المصالح بما يتناسب مع الأهداف والمصالح والظروف.

يقول الباحث جواد منصوري[١] بعد تعريف الحرب الصلبة والحرب نصف الصلبة: الحرب الناعمة هي عبارة عن إعمال إرادة ومصالح النظام السلطوي من دون اللجوء الى الصراع بل من خلال احتلال الأفكار والنماذج السلوكية لكافة جوانب بلدٍ ما في مختلف المجالات الاجتماعية. فالحرب الناعمة تعتمد على الأساليب الناعمة، غير المحسوسة والتدريجية. ويتمّ هذا النوع من الحروب دون صدور أيّ ردة فعل فيزيائية ويعتبر نوعاً من الاحتلال متعدد الجوانب، غير المرئي والثابت. ففي هذه الحرب يتمّ احتلال كامل لساحات اجتماعية مختلفة (ثقافية واقتصادية وسياسية) عبر فرض ثقافة، وفكر وسلوكيات النظام السلطوي. في الواقع، إنّ هدف الحرب الناعمة هو "الشعب"، في حين هدف الحرب الصلبة "الأراضي" وهدف الحرب نصف الصلبة "الدولة". بناءً عليه، تتعلق الحرب الناعمة بمرحلة الاستعمار ما بعد الحديث أو مرحلة عولمة الثقافة[٢].

وتعتبر مجموعة ثانية من الباحثين أنّ (العولمة) مرادفة للحرب الناعمة. والعولمة من المفاهيم التي أثّرت بكافة المجالات الاجتماعية في الثمانينيات تقريباً. وقد قُدّمت تعاريف وتعابير مختلفة حول هذا المفهوم، وظهر الكثير من الآراء والنظريات من قِبل علماء الاجتماع والثقافة والسياسة والعلاقات الدولية، حيث ركّزت كل مجموعة من هؤلاء على جانبٍ من جوانب عملية العولمة وتناولت خلفياتها، وأبعادها، وآثارها ونتائجها. على هذا الصعيد، يعرّف (غيدنز) عملية العولمة بأنّها ليست سوى نشر الحداثة والثقافة الديمقراطية – الليبرالية.

ويعتقد هؤلاء الباحثون أنّ ظاهرة العولمة تُعتبر تهديداً للدول الضعيفة واللاعبين المنفعلين على الساحة الدولية. فهذه العملية نوع من السلطة الجديدة. وهكذا يتمّ تلقي الدول التي تتمتع بقدرة ناعمة عالية، على أنّها "تهديد" للدول المنافسة لها. كما أنّه من وجهة نظر "جوزيف ناي" منظّر الحرب الناعمة تستطيع الدولة الواحدة لثلاثة أنواع من الجاذبية على صعيد "الثقافة" و"الفكر

---

(١) الاستعمار ما بعد الحديث، نظام السلطة في القرن الواحد والعشرين- جواد منصوري.

(٢) دراسة ابعاد ومجالات التهديد الناعم الأمريكي ضد إيران، فصلية الاستراتيجية الدفاعية الرقم ٢٥/محمد علي النائيني.



السياسي" و"السياسة الخارجية" التأثير في ثقافة الدول الاخرى وسياساتها ونماذجها الاجتماعية والسياسية ، وأن تفرض إرادتها بشكل غير مباشر عليها. بناءً على ما تقدّم، العولمة عبارة عن عملية مخططٌ لها (مبرمجة)، مفروضة لأجل إعادة بناء المجتمعات على المستوى الدولي، وهي نظامٌ يهدف الى تبليغ وفرض الإيديولوجيا النيوليبرالية (الليبرالية الجديدة) الرأسمالية الغربية وفي صدد إشاعة نموذج الحياة الغربية (وبالاخص الأمريكية).

بناءً على ما ذُكر، يعتقد هؤلاء الباحثون أن العولمة مشروعٌ مخططٌ له من قِبل مراكز السلطة بهدف فرض نموذج سلوكي معيّن، شمولي ذي اتجاه واحد، ويؤدي الى سيطرة الثقافة والقيم الغربيّة وجعل الآخرين في حالة انفعال. كما وأنّ للعولمة آثاراً ونتائج عدة من جملتها انهيار الدولة- الشعب، وتحول النموذج الحكومي والسلوك السياسي، والمخاطرة بالهويات القومية- الدينية، وتسلط النظام الليبرالي- الديمقراطي، وظهور وانتشار ثقافة عالمية واحدة[1]

انطلاقاً من هذا الاتجاه، يمكن القول إن عملية ومفهوم العولمة يتطابق مع ماهية الحرب الناعمة ، بما أنّه أسلوب للسيطرة ومترافقٌ مع ماهية عولمة الثقافة والنموذج السلوكي لليبرالية الديمقراطية، ويشتمل على كافة الأبعاد السياسية والثقافية والاقتصادية، ويُقلل من سعة وقدرة وميزان فعالية ومشروعية واعتبار الدول الوطنية.

(١) نظرة استراتيجية إلى ظاهرة العولمة الثقافية وآثارها فصلية السياسة الإستراتجية، العدد ١/محمد علي النائيني .

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

المبحث الرابع:

الحرب الناعمة..الموارد والأدوات والأساليب

موارد ومصادر الحرب الناعمة

لمعرفة ابعاد واخطار الحرب الناعمة التي يشنها بلد ما على بلد اخر وما يستخدم فيها من ادوات واساليب يلزم الالمام بموارد ومصادر القوة الناعمة لذلك البلد، في هذا المبحث نشير الى موارد ومصادر القوة الناعمة للولايات المتحدة كما حددها المنظر الأول لمصطلح القوة الناعمة (جوزيف ناي) في ما يلي(٢) :

-القيم والمؤسسات الأميركية.

- جاذبية الرموز الثقافية والتجارية والإعلامية والعلمية الأميركية .

- صورة أميركا وشرعية سياساتها الخارجية وتعاملاتها وسلوكياتها الدولية.

كما حدد مصادر القوة الناعمة بأنها:

-مصانع هوليود وكل الإنتاج الإعلامي والسينمائي الأميركي .

- الطلاب والباحثون الأجانب الوافدون للدراسة في الجامعات والمؤسسات التعليمية، فهم سيشكلون جيوش يحملون معهم آلاف النوايا الطيبة والودائع الحسنة عندما يعودون إلى بلدانهم وأوطانهم ويتقلدون المراكز والمواقع العليا وسيصبحون سفراء غير رسميين لخدمة

(٢) الحرب الناعمة المفهوم- النشأة- وسبل المواجهة- مركز قيم للدراسات ص١٢.

أميركا .

– المهاجرون ورجال الإعمال الأجانب العاملين في السوق الأميركي وقطاع الأعمال، شبكات الانترنت والمواقع الأميركية المنتشرة في الفضاء الالكتروني.

– برامج التبادل الثقافي الدولي والمؤتمرات الدولية التي ترعاها أميركا وتشارك في تنظيمها.

– الشركات الاقتصادية العابرة للقارات .

– الرموز والعلامات التجارية مثل كوكا كولا وماكدونالدز وغيرها.

وبالإجمال ترتكز القوة الناعمة على كل المؤثرات الإعلامية والثقافية والتجارية والعلاقات العامة، وعلى كل مورد لا يدخل ضمن القدرات العسكرية المصنفة ضمن القوة الصلبة.

في حين ركز الباحث الاستراتيجي الأميركي (جون كوللينز) على الموضوع الإعلامي والثقافي في تعريفه وتحديده لموارد الحرب الناعمة بقوله " الحرب الناعمة عبارة عن استخدام الإعلام والتخطيط للتأثير على ثقافة العدو وفكره بما يخدم حماية الأمن القومي الأميركي وتحقيق أهدافه وكسر إرادة العدو" .

استراتيجيات الحرب الناعمة :

للحرب الناعمة – كأي حرب – إستراتيجياتها وتكتيكاتها(١) وأسلحتها، وقد حاولنا جمعها وتلخيصها من مصادرها الرسمية وهي منقولة بصورة حرفية وشبه حرفية عن وثائق ومستندات أمريكية(٢) :

١ـ الاستنزاف المتواصل لطاقات الخصم وسلب حيويته وبالعموم ضرب وإضعاف موارده الناعمة.

٢ـ الضغط والتشهير المتواصل على مرتكزات ورموز وملامح وصورة ونفسية وعقل الخصم بدون أي توقف بهدف تحقيق الإرهاق والإرباك وزعزعة الأركان.

٣ـ الدعم العلني لتيار على حساب تيار آخر والتقييم الفئوي لساحة الخصم بهدف خلق بيئة من الاتهامات المتبادلة وإيجاد فرز واستقطاب يسمح بالدخول على الخط والتلاعب.

٤ـ استغلال نقاط الضعف في بعض الشخصيات القيادية في جبهة الخصم لخلق توترات وحساسيات وعداوات مع الشخصيات المنافسة، وتسعير حمى الصراع على المواقع عبر تسريب الإشاعات والأخبار وتضخيم صورة بعض الشخصيات وخاصة المعارضة وصناعة نجوميتها الإعلامية والجماهيرية.

٥ـ خلق بيئة سياسية وشعبية وإعلامية متوترة من خلال الجدل والمناقشة في قضايا وموضوعات فكرية وسياسية حساسة تؤدي إلى إحداث تناقضات وحساسيات بين الفصائل المختلفة.

٦ـ استدراج التيارات الإسلامية إلى الملفات السياسة العامة بما يؤدي إلى توريطها بأزمات سياسية مع غيرها من التيارات وإبعادها عن هدفها المركزي في مواجهة الغرب، ولإثبات

---

(١) رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة /شبكة المعارف الاسلامية- بالاعتمادعلى دراستين لمعهد راند للابحاث الدفاعية واحدة بعنوان «الاسلام المدني» صدرت العام ٢٠٠٤ والثانية بعنوان «بناء شبكات اسلامية معتدلة» صدرت عام ٢٠٠٧ منشورة على موقع راند على الانترنت وقد ترجمتها مواقع اسلامية عديدة منها اسلام اون لا ين .www islamonline.net وغيرها.

(٢) مثل:كتاب القوة الناعمة / مقالة «القوة الناعمة ضد إيران» لغلاسمان ودوران / دراسة مايكل آيزنشتات / كتاب ارث من الرماد الذي أرخ لتاريخ CIA وغيرها من المصادر والوثائق.



فشل وقصور نظم الحكم والإدارة الإسلامية عن تلبية الاحتياجات والمتطلبات الدولية والسياسية المعاصرة.

٧ـ ضرب وتشويه صورة علماء الدين والمؤسسات الدينية بهدف تقليص دورهم ولأجل العمل على إدخال تعديلات على المناهج الدينية وإضعاف الفكر الديني .

٨ـ إبراز مخالفة النظم والحركات الإسلامية لمواثيق ومقررات الأمم المتحدة ومنظومات الأمن والسلام الدوليين ومقتضيات حقوق الإنسان وقيم التسامح الديني وتبنيها للعنف والإرهاب كمنهج وإستراتيجية.

٩ـ دعم تيار ما يسمى بالإسلام المدني المعتدل وإيجاد شبكة إسلامية دولية مرتبطة بالغرب تعمل وفق الضوابط الأمريكية والغربية، وترويج إسلام أمريكي وغربي وعرفان وتصوّف مزيف .

١١ـ تقليص الوجود العسكري وزيادة الوجود المدني والإعلامي والاستخباراتي في العالم الإسلامي.

تكتيكات الحرب الناعمة:

١– إلصاق العناوين على الطرف المقابل، ومن ثمَّ التركيز الإعلامي على ترويج هذه العناوين مما يجعلها تتبادر إلى الذهن بمجرد ذكر اسم ذاك الطرف كـ: الإرهاب، الأصولية، الرجعية، التنوير وحقوق الإنسان.

٢– الاستعانة بالمقدسات الدينية والوطنية المقبولة عند الجماهير ومحاولة تقديم الأفكار الهدّامة بواسطة كيفية إثارة تلك المقدسات.

٣– الدفاع عن الشخصيات المشهورة والمعروفة والترويج لأفكارها وأشخاصهاعلى انها القدوة (سياسيون، فنانون، رياضيون....) وهكذا ترويج بعض الحركات والجمعيات الثقافية والسياسية والاجتماعية...

٤– الاستعانة بالشائعة لإثارة فكرة ما بعد تجميلها وجعلها مقبولة.

٥– الاعتماد في إثارة القضايا والمفاهيم على العموميات والكليات مما يؤدي الى انصراف الأذهان عن التفاصيل والجزئيات، وبالتالي الابتعاد عن الوقائع والحقائق.

٦– اثارة مسائل كبيرة لا واقعية لها على الاطلاق ثم الاصرار عليها لتجد مكاناً لها في اذهان المخاطَبين.

٧– نقل اجزاء من الحقيقة والغفلة المقصودة عن اجزاء أخرى. وهنا يقوم الاعلام بدوره الاساس وطبق تخطيط مسبق ولأهداف ملحوظة بتقديم الجزء الذي يريده والذي يستفيد منه.

> • من تكتيكات الحرب الناعمة: الاستعانة بالشائعة لإثارة فكرة ما بعد تجميلها وجعلها مقبولة.

٨– الترويج لعملية التوقعات والتنبؤات التي تقرأ المستقبل وتوضح ما يحصل في ما يأتي من الأيام. وتبرز خطورة هذا التكتيك في أنه يقدم معلومات كاذبة إلا انها تساهم في التشكيك في قضايا مسلّمة على مستوى الأديان ذات علاقة بالوحي والغيب...

٩– الاستعانة بالنواحي ذات العلاقة بالبعد الجنسي عند الاشخاص بالاخص الشباب، وبالتالي جذبهم الى الافكار التي يريدها الخصم بعد تقديمها في اطار تلك العلاقة.

ويترتب على هذا الامر صرف انتباه الشاب عن القضايا والافكار الاساسية والحساسة.

١٠– الاستعانة بوسائل الاعلام لاغتيال الشخصيات الفكرية والثقافية والسلوكية.

١١– المبالغة في إعطاء موضوع أو قضية أكثر



مما تستحق من الأهمية مع العلم انها فكرة صغيرة لا بل سخيفة بعض الأوقات إلا أنها خطيرة على مستوى تهديم الأفكار والقيم.

١٢– العمل بالاستعانة بالمغالطات وفيها يعتمد على أدلة وشواهد تؤيد المطلوب وتتغاضى عن الأدلة الأخرى.

١٣– الخداع حيث يجد المخاطَب نفسه يقوم بالعمل الذي يريده العدو ويحصل ذلك بعد ان تتغير قناعات الشخص.

١٤– تعميم النماذج الغربية في مجالات متعددة كاللباس والمأكل والمنطق والاخلاق.

أدوات وأساليب الحرب الناعمة

تستخدم الولايات المتحدة في حربها الناعمة والذكية ادوات واساليب كثيرة ومتنوعة يصعب الاحاطة والاطلاع الكامل بشانها، فالولايات المتحدة دولة بحكم اهدافها السلطوية وسياستها العدوانية تسعى للهيمنة والسيطرة الكاملة على العالم واذلال البلدان الاخرى وجعلها تابعة لها وان كانت صديقة ومتحالفة معها، فيما يلي نذكر بعض ما تم التعرف عليه من ادوات واساليب تستخدمها الادارة الامريكية ومؤسساتها في حربها الناعمة في العالم بعد تصنيفها تحت العناوين التالية:

●● ١- مؤسسات الفكر و الرأي والسياسة الخارجية الأمريكية[(١)]

تعتبر مؤسسات الفكر والرأي (Think Tanks) من أهم المؤسسات التي تلعب دوراً بارز في صياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة بصفة عامة، وتجاه منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص. فقد قامت هذه المؤسسات ـ التي تَعتبر بمثابة مراكز بحثية مستقلة ـ بصياغة التعاطي الأمريكي مع العالم لفترة تقارب مئة عام، وعلي رغم الابتعاد النسبي عن أضواء وسائل الاعلام فإن مؤسسات الفكر و الرأي تؤثر على صانعي السياسة الخارجية للولايات المتحدة من خلال خمس طرق مختلفة:

١.توليد أفكار وخيارات مبتكرة في السياسة الخارجية:

تسعى مراكز البحث و الرأي الي توليد أفكار جديدة تبدل الطريقة التي ينظر بها صانعو السياسة الخارجية الى العالم و يستجيبون له، و من الممكن أن تؤدي هذه الأفكار الجديدة الي تغير في المصالح القومية الأمريكية و فهمها و التأثير في ترتيب الأولويات و توفر خرائط للعمل و حشد التحالفات السياسية و البيروقراطية و تشكيل حملات الانتخابات الرئاسية، وتمثل فترات انتقال الحكم مناسبات مثالية لرسم برامج عمل السياسة الخارجية حيث يطلب المرشحون الى الانتخابات المشورة من عدد كبير من المثقفين من أجل تحديد المواقف السياسية حول عدد من القضايا الداخلية و الخارجية .

٢.تأمين مجموعة جاهزة من الاختصاصيين للعمل في الحكومة: وتعتبر هذه الوظيفة التي تؤديها المراكز البحثية بالغة الأهمية في النظام السياسي الأمريكي، حيث أن انتقال السلطة في الولايات المتحدة يؤدي الي استبدال مئات الموظفين من الدرجة المتوسطة، أو من كبار الموظفين في السلطة التنفيذية. وتساعد مراكز الأبحاث وا لرأي الرؤساء و الوزراء على سد هذا الفراغ. فقد قام عل سبيل المثال الرئيس الأمريكي

---

(١) عمرو عبد العاطي صحيفة المؤتمر العراقي- ٥ حزيران ٢٠١٤.



جيمي كارتر بعد انتخابه في عام ١٩٧٦ بتعيين الكثير من خبراء مؤسسة بروكنجز و مجلس العلاقات الخارجية في حكومته، و بعدها بأربع سنوات توجه رونالد ريغان الي مؤسسات أخري لتشكيل هيئة خبرته و مستشاريه. فقد استعان خلال فترتيه الرئاستين بـ١٥٠ شخصاً من مؤسسة هيرتيج و مؤسسة هوفر و معهد انتربرايز الامريكي. كما اتبع الرئيس الأمريكي بوش الابن في تعيين الخبراء و المستشارين في حكومته السابقة و الحالية نفس النمط.

وإضافة الي تزويد الإدارات الجديدة بالخبراء فإنها تؤمن للمغادرين من مناصبهم الحكومية مواقع مؤسساتية يستطيعون فيها ممارسة ما اكتسبوه من خبرة و تبصر خلال خدمتهم في الحكومة، و الاستمرار في لعب دور مؤثر في النقاش حول السياسة الخارجية للولايات المتحدة. و تشكيل نوع من مؤسسة ظل غير رسمية للشؤون الخارجية. و تتميز الولايات المتحدة عن سواها من الدول بهذا الباب الدوار و هو من مصادر قوتها.

٣.توفير مكان للنقاش على مستوي رفيع: تلعب مؤسسات الفكر و الرأي دوراً في التوصل الى تفاهم مشترك إن لم يكن هناك إجماع حول خيارات السياسة الخارجية، و لا يمكن لأي مبادرة كبرى في السياسة الخارجية من الاستمرار ما لم تتمتع بقاعدة من التأييد الحاسم في أوساط جماعة المهتمين بالسياسة الخارجية. و توفر النشاطات التي تنظمها مؤسسات الفكر و الرأي الكبرى للرسميين الأمريكيين منابر غير حزبية لإعلان المبادرات الجديدة و شرح السياسة الحالية و إطلاق بالونات الاختبار لمعرفة ردود الفعل على الأفكار الجديدة. اما بالنسبة للشخصيات الأجنبية الزائرة فإن فرص المثول أمام جمهور مؤسسات الفكر و الرأي البارزين تؤمن الوصول الي أكثر القطاعات تأثيراً في مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية.

٤.تثقيف مواطني الولايات المتحدة عن العالم: تساعد مؤسسات الفكر والرأي في إثراء الثقافة المدنية الأمريكية عن طريق تعريف المواطن الامريكي بطبيعة العالم الذي يعيش فيه، وقد زاد تسارع نبرة العولمة من أهمية وظيفة التواصل مع الجمهور أكثر من أي وقت مضى، فمع ازدياد اندماج المجتمع أكثر باتت الأحداث و القوى العالمية تطال حياة المواطن الامريكي العادي و تؤثر فيه و لهذا أصبح للمواطن الامريكي العادي دور متنام في السياسة سواء كانت الداخلية أو الخارجية.

٥.وسيلة مكملة للجهود الرسمية للتوسط و حل النزاعات: تستطيع مراكز البحث و الرأي لعب دور نشيط في السياسة الخارجية للولايات المتحدة عن طريق رعايتها للحوارات الحساسة و تامين وساطة فريق ثالث بين الأطراف المتنازعة، و لقد سهل "معهد السلام الامريكي American Peace Institution" كجزء من المهمة المعهودة إليه من قبل الكونغرس مثل مفاوضات المسار الثاني فضلاً عن تدريب الرسميين الأمريكيين علي أعمال الوساطة بصورة نشيطة في الدبلوماسية الوقائية و في تدبر أمور النزاعات و حلها. و تشكل المبادرات غير الرسمية التي تطلقها مراكز البحث و الرأي مشاريع حساسة و لكنها تنطوي علي إمكانيات كبيرة لتحقيق السلام و المصالحة في مناطق النزاعات و الصراعات أو المعرضة لها، و في المجتمعات التي فيها حروب، أو من خلال كونها مكملة لجهود الحكومة الأمريكية أو كبديل



عنها حيث يكون الوجود الرسمي الامريكي مستحيلا.

- مؤسسة راند ترسم السياسة الامريكية تجاه الاسلام والجماعات الاسلامية[١]:

نشير هنا الى تقريرين مهمين صدرا عن "مؤسسة راند" في سياق الحرب الناعمة التي تشنها الولايات المتحدة على العالم الاسلامي بهدف التاثير على التيارات السياسية الفاعلة والراي العام فيها وتحقيق التغيير الفكري والسياسي فيها بما ينسجم مع رؤيتها الاستعمارية التوسعية :

- تقرير راند ٢٠٠٧، بناء شبكات مسلمة معتدلة[٢]

وقد صدر في اذار ٢٠٠٧ في (٢١٧ صفحة) تحت عنوان " بناء شبكات مسلمة معتدلة Building Moderate Muslim Networks " وهو محاولة زرع إسلام جديد بتفاصيل أمريكية أو " إسلام ليبرالي " استغرق اعداده ثلاث سنوات ، والمعروف ان تقارير هذه المؤسسة ترسم خطةُ للسياسية الإمريكية في التعامل مع الأحداث في العالم أجمع ، ومنها منطقة الشرق الأوسط .

التقرير لا تنبع خطورته من جرأته في طرح أفكار جديدة للتعامل مع "المسلمين" وتغيير معتقداتهم وثقافتهم من الداخل فقط تحت دعاوى "الاعتدال" بالمفهوم الأمريكي، وإنما يطرح الخبرات السابقة في التعامل مع الشيوعية للاستفادة منها في محاربة الإسلام والمسلمين وإنشاء مسلمين معتدلين، بل يحدد بدقة مدهشة صفات هؤلاء "المعتدلين" المطلوب التعاون معهم –بالمواصفات الأمريكية– بأنهم هؤلاء الليبراليين والعلمانيين الموالين للغرب والذين لا يؤمنون بالشريعة الإسلامية، ويطرح مقياسًا أمريكيًّا من عشرة نقاط ليحدد بمقتضاه كل شخص هل هو "معتدل" أم لا، ليطرح في النهاية –على الإدارة الأمريكية– خططًا لبناء هذه "الشبكات المعتدلة" التي تؤمن بالإسلام "التقليدي" أو "الصوفي" الذي لا يضر مصالح أمريكا ، خصوصًا في أطراف العالم الإسلامي (آسيا وأوروبا) .

الأكثر خطورة في تقرير مؤسسة "راند" –الذي غالبًا ما تظهر آثار تقاريرها في السياسة الأمريكية مثل "إشعال الصراع بين السنة والشيعة" أنه يدعو لما يسميه "ضبط الإسلام" نفسه – وليس "الإسلاميين" ليكون متمشيًا مع "الواقع المعاصر". ويدعو للدخول في بنيته التحتية بهدف تكرار ما فعله الغرب مع التجربة الشيوعية، وبالتالي لم يَعُد يتحدث عن ضبط "الإسلاميين" أو التفريق بين مسلم معتدل

---

(١) تأسست مؤسسة راند (مؤسسة الابحاث والتطوير) في ١٤ مايو ١٩٤٨ بإشراف سلاح الجو الأمريكي تحت اسم معهد راند « RAND Institute» على غرار بيت الخبرة البريطاني «Think Tank»، وساهم في حل كثير من المشكلات التي تعترض صناع القرار في القوات الجوية ، وارتأت الإدارة الأمريكية توسيع نشاطه ليشمل فروع القوات المسلحة كافة ومن ثم أجهزة الدولة كلها، فتحول ليحمل اسم مؤسسة راند « RAND Corporation» وما زالت تتلقى دعمها المالي من الحكومة والتبرعات، وذات تأثير نافذ في السياسات الأمريكية، وتقدم خدماتها لكل من القطاعين العام والخاص. ومقرها الرئيسي الآن سانتا مونيكا في كاليفورنيا، ويعمل فيها نحو ١٦٠٠ موظف معظمهم من الباحثين والأكاديميين، وتقوم بجمع أكبر قدر من المعلومات، حيث تتولى تحليلها؛ وإعداد تقارير عنها؛ وإجراء أبحاث حولها، تتركز حول الشؤون الدولية، والأمن القومي، والسلامة العامة، والإرهاب والأمن الداخلي، وتقدّمها إلى صناع القرار في الولايات المتحدة ، أي هي باختصار مؤسسة استخباراتية «مستقلة» تعمل في إطار مدني.

(٢) عَبْدالله بن محمد زُقَيْل.

ومسلم راديكالي، ولكن وضعهم في سلة واحدة!.
يذكر ان تقرير "راند" عام ٢٠٠٤ يشجع إدارة بوش على محاربة "الإسلاميين المتطرفين" عبر: خدمات علمانية (بديلة)، ويدعو لـ"الإسلام المدني"، بمعنى دعم جماعات المجتمع المسلم المدني التي تدافع عن "الاعتدال والحداثة"، وقطع الموارد عن المتطرفين، بمعنى التدخل في عمليتي التمويل وشبكة التمويل، بل وتربية كوادر مسلمة عسكرية علمانية في أمريكا تتفق مصالحها مع مصالح أمريكا للاستعانة بها في أوقات الحاجة، ولكن في التقرير الحالي " بناء شبكات مسلمة معتدلة "، يبدو أن الهدف يتعلق بتغيير الإسلام نفسه والمسلمين ككل.

من هو " المعتدل ".. أمريكيًا ؟

من يقرأ التقرير يلاحظ بوضوح أنه يخلط بين "الإسلاميين" و"الراديكاليين" و"المتطرفين"، ويطالب بدعم أو خلق تيار "اعتدال" ليبرالي مسلم جديد ، ويضع تعريفات محددة لهذا " الاعتدال الأمريكي " ، بل وشروط معينة من تنطبق عليه فهو " معتدل " ، ومن لا تنطبق عليه فهو متطرف، فالتيار (الإسلامي) المعتدل المقصود هو ذلك التيار الذي :

١ – يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.
٢ – يؤمن بحرية المرأة في اختيار "الرفيق"، وليس الزوج!
٣ – يؤمن بحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة.
٤ – يدعم التيارات الليبرالية.
٥ – يؤمن بتيارين دينيين إسلاميين فقط هما: "التيار الديني التقليدي" و"التيار الديني الصوفي".

ويلاحظ هنا أن التقرير يستشهد بمقولة لـ (دينس روس) يتحدث فيها عن ضرورة إنشاء ما يسميه (دعوة علمانية) !، والمقصود هو إنشاء مؤسسات علمانية تقدم نفس الخدمات التطوعية التي تقدمها المنظمات الإسلامية ، سواء كانت قوافل طبية أو كفالة يتيم أو دعم أسري وغيرها.

والدراسة تضع ١١ سؤالاً لمعرفة (المعتدل) – من وجهة النظر الأمريكية – وتكون بمثابة اختبار يعطى للشخص لمعرفة ما إذا كان معتدلاً أم لا ؟. وهذه المعايير هي :

١ – أن الغرب هو النموذج الاقرب للديمقراطية.
٢ – أنها تعني معارضة "مبادئ دولة إسلامية".
٣ – أن الخط الفاصل بين المسلم المعتدل والمسلم المتطرف هو تطبيق الشريعة.
٤ – أن المعتدل هو من يفسر واقع المرأة على أنه الواقع المعاصر، وليس ما كان عليه وضعها في عهد الرسول (ص).
٥ – هل تدعم وتوافق على العنف؟ وهل دعمته في حياتك من قبل أو وافقت عليه؟.
٦ – هل توافق على الديمقراطية بمعناها الواسع.. أي حقوق الإنسان الغربية (بما فيها الشذوذ وغيره)؟.
٧ – هل لديك أي استثناءات على هذه الديمقراطية (مثل حرية الفرد في تغيير دينه)؟
٨ – هل تؤمن بحق الإنسان في تغيير دينه؟.
٩ – هل تعتقد أن الدولة يجب أن تطبق الجانب الجنائي من الشريعة؟ وهل توافق على تطبيق الشريعة في جانبها المدني فقط (الأخلاق وغيره)؟، هل توافق على أن الشريعة يمكن أن تقبل تحت غطاء علماني (أي القبول بتشريعات أخرى من غير الشريعة)؟.
١٠– هل تعتقد أنه يمكن للأقليات أن تتولى

• يدعو تقرير "مؤسسة راند" الامريكية لما يسميه "ضبط الإسلام" نفسه - وليس "الإسلاميين"- ليكون متمشيًا مع "الواقع المعاصر".



المناصب العليا ؟ وهل يمكن لغير المسلم أن يبني بحرية معابده في الدول الإسلامية ؟.
وبحسب الإجابة على هذه الأسئلة سوف يتم تصنيفه هل هو معتدل (أمريكيًّا) أم متطرف ؟!

ويذكر التقرير ثلاثة أنواع ممن يسميهم (المعتدلين) في العالم الإسلامي، وهم :

١- العلماني الليبرالي الذي لا يؤمن بدور للدين.
٢- "أعداء المشايخ".. ويقصد بهم هنا من يسميهم التقرير " الأتاتوركيين " - أنصار العلمانية التركية - وبعض " التونسيين ".
٣- الإسلاميون الذين لا يرون مشكلة في تعارض الديمقراطية الغربية مع الإسلام.

الأطراف.. بدل المركز العربي للإسلام

ويركز التقرير على "أطراف" العالم الإسلامي وتجاهل "المركز" -يقصد به المنطقة العربية- بغرض دعم ما يسمونه " الاعتدال في أطراف العالم الإسلامي " خصوصًا في آسيا وأوروبا وغيرها.

أما الهدف فهو أن تخرج الأفكار الإسلامية المؤثرة على مجمل العالم الإسلامي من هذه الأطراف وليس من المركز (العربي) الذي أصبح ينتشر فيه "التطرف"، بل إن التقرير يطرح هنا طريقة غريبة في الحوار مع المسلمين بهدف تغييرهم تتلخص في: تغيير من نحاوره، وتحجيمه عن القيام بأعماله، أو "انتظار الفرصة المناسبة" بدون أن يحدد ما يعني بالفرصة المناسبة، ويركزعلى تجربة الأطراف في آسيا وأوروبا، ويطرح أسماء مؤسسات وأشخاص في آسيا وأوروبا "ينبغي" العمل معها ودعمها بالمال .

و يركز التقريرعلى أن الطريق الصحيح لمحاربة المسلمين هو بناء أرضية من المسلمين أنفسهم من أعداء التيار الإسلامي، مثلما حدث في أوروبا الشرقية وروسيا حينما تم بناء منظمات معادية للشيوعية من أبناء الدول الشيوعية نفسها. ومع أن الفصل الثالث من دراسة (راند) يركز على بحث أوجه التشابه أو الخلاف بين أسلحة الحرب الباردة في هدم الشيوعية، وأسلحة الحرب الحالية ضد الفكر الإسلامي، ويؤكد أن هناك أوجه تشابه أبرزها أن الصراع مع الشيوعية كان فكريًّا مثلما هو الحال مع العالم الإسلامي، فهو يعترف بأن عقبات هذه السياسة أعمق مع المسلمين.

الدراسة خطيرة ومليئة بالأفكار السامة التي تركز على " علمنة الإسلام " ، ومناصرة العلمانيين ودعمهم في المرحلة المقبلة، وتركزعلى أن " الهدف ليس طرح الصراع بين العالم الإسلامي والغرب ، وإنما بين العالم الإسلامي بعضه بعضًا"..

تقرير مؤسسة راند ٢٠٠٤، الإسلام المدني الديمقراطي: الحلفاء، والموارد والاستراتيجيات[1]

وكان قد صدر عن مؤسسة "راند" تقرير عام ٢٠٠٤ تحت عنوان "الإسلام الديمقراطي المدني ...الحلفاء، والموارد والاستراتيجيات "، وهي دراسة استراتيجية موجهة للإدارة في البيت الأبيض لكي تنفذها لمواجهة "الأصولية الإسلامية" قامت "شيريل برنارد" بإنجاز هذه الدراسة التي تم البحث فيها من أجل إدخال التغييرات المناسبة على الثقافة الإسلامية كي يمكن إدراجها ضمن ما يسمى بالمنظومة الديمقراطية الحديثة، وضمن قوانين السوق، تقديرا منها بأن العالم الإسلامي يعيش أزمة عميقة تمس طرق رد فعله ومسلكيات شعوبه ونخبه، التي أثرت سلبا على السلم العالمي.

(١) حسن المغاري / من أجل الاطلاع: www.rand.org تاريخ النشر: ٢٦ حزيران ٢٠٠٤.



التقرير يميز بين الإسلاميين ويصنفهم الى:
–الأصوليون: يرفضون القيم الديمقراطية والثقافية الغربية الحديثة. وهم يريدون دولة سلطوية، تقوم بتنزيل رؤاهم المتطرفة للتشريع والأخلاق الإسلامية. كما إنهم يعملون على استعمال الاختراعات والتقنيات الحديثة من أجل تحقيق هذا الهدف.
–التقليديون: يريدون مجتمعا محافظا، وهم متوجسون من الحداثة، والتجديد، والتغيير.
–الحداثيون: يريدون أن يصبح العالم الإسلامي جزءا من الحداثة الكونية. وهم يريدون تحديث وإصلاح الإسلام من أجل إلحاقه بالعصر الراهن.
–العلمانيون: يريدون العالم الإسلامي أن يقبل قسمة الكنيسة والدولة على طريقة الديمقراطيات الغربية المصنعة، مع إحالة الدين إلى المجال الخاص.

الهدف من الدراسة / التقرير:

إن الولايات المتحدة والغرب، ومن أجل التشجيع على التغيير الإيجابي نحو ديمقراطية أكبر في العالم الإسلامي، يحتاج أن يفكر بترو شديد في العناصر والتوجه والقوى، التي يريدون تقويتها في الإسلام؛ وكذلك في الماهية الحقيقية لأهداف وقيم حلفائهم ومرعييهم المحتملين؛ وفي ماهية التبعات المحتملة والناجمة عن دفع أجندة كل طرف منهم. إن مقاربة مندمجة مركبة من كل هذه العناصر هي التي من المرجح أن تكون الأكثر فائدة.

الوسائل:

دعم الحداثيين أولا:

– نشر وتوزيع أعمالهم بأسعار مدعومة.
– تشجيعهم على التأليف للجماهير والشباب.
– إدراج آرائهم في برامج تعليم التربية الإسلامية.
– منحهم أرضية مدنية.
– جعل آرائهم وأفكارهم في خصوص قضايا التأويل الأساسية للدين متيسرة لجمهور واسع، على حساب أفكار الأصوليين والتقليديين.
– وضع العلمانية والحداثة كخيار ثقافي بديل محتمل للشباب الإسلامي .
– تسهيل وتشجيع وعيهم بتاريخهم وثقافتهم السابقة غير الإسلامية، وذلك في الإعلام والمناهج التربوية للدولة المناسبة.
– المساعدة على إنشاء المؤسسات المدنية، وذلك من أجل تشجيع الثقافة المدنية وتوفير مساحات يتمكن فيها المواطن العادي من تثقيف نفسه عن الحياة السياسية ومن بلورة آرائه.

دعم التقليديين على حساب الأصوليين:

– الترويج للنقد الذي يقوم التقليديون لعنف الأصوليين وتطرفهم؛ وتشجيع الخلاف بين التقليديين والأصوليين.
– عدم التشجيع على تحالف التقليديين مع الأصوليين.
– التشجيع على التعاون بين الحداثيين والتقليديين القريبين من أطراف الطيف الحداثي.
– تكوين وتعليم التقليديين من أجل إكسابهم أدوات أحسن في نقاشهم ضد الأصوليين، عندما يكون ذلك مناسبا.وذلك أن الأصوليين وفي أغلب الحالات أقدر على الخطابة، بينما يمارس التقليديون "إسلاما شعبيا" لا يحسن التحدث.
– الزيادة من حضور وتأثير الحداثيين في مؤسسات التقليديين.
– التمييز بين مختلف قطاعات التقليديين. وتشجيع القطاعات الأكثر قربا من الحداثة، من مثل تشجيع المذهب الحنفي مقابل المذاهب



الأخرى. وحث أصحاب هذا المذهب على إصدار آراء دينية، وعلى ترويجها من أجل إضعاف سلطة الأحكام المتأثرة بالوهابية المتخلفة. وهذا الأمر مرتبط بالسياسة التمويلية: بحيث يقع توجه أموال الوهابيين لدعم المذهب الحنبلي التقليدي. كما إنه مرتبط بالسياسة المعرفية: وذلك أن أكثر مناطق العالم الإسلامي تخلفا ليست واعية بالتقدم، الذي حصل في تأويل التشريع الإسلامي.

- الترويج لقبول التصوف.

مواجهة الأصوليين ومعارضتهم:

- تحدي تأويلهم للإسلام وكشف عدم دقته.
- كشف علاقاتهم بالمجموعات والأعمال الخارجة عن القانون.
- التشهير بعواقب أعمالهم العنيفة.
- البرهنة على عجزهم عن إدارة الحكم من أجل بلوغ دولهم وأقوامهم تقدما إيجابيا.
- توجيه هذه الرسائل إلى الشباب خاصة، وإلى فئات المتدينين التقليديين، وإلى الأقليات المسلمة في الغرب، وإلى النساء.
- تجنب إبداء الاحترام أو التقدير للأعمال العنيفة، التي يقوم بها الأصوليون المتطرفون والإرهابيون. مع وصمهم بالجنون والجبن، لا بالأبطال الأشرار.
- تشجيع الصحافيين على البحث في مواضيع الفساد، والغرور، وسوء الأخلاق في دوائر الأصوليين الإرهابيين.
- تشجيع الانقسامات في صفوف الأصوليين.

الدعم الانتقائي للعلمانيين:

- تشجيع اعتبارهم الأصوليين كأعداء مشتركين، وتخذيل تحالفات العلمانيين مع القوى المعادية للولايات المتحدة المستندة إلى أيديولوجيات مثل القومية واليسارية.
- دعم الفكرة القائلة بأنه يمكن فصل الدين عن الدولة في الإسلام كذلك، وأن هذا لا يهدد العقيدة بل، وبالفعل، يمكن أن يقويها.

بعض ما جاء به التقرير من افتراءات ومدعيات:

- الإسلام دين وتعاليم تتفرع عنه تيارات تهدد السلام العالمي (ص ١).
- القرآن الكريم كتاب تاريخ وأنه لا يصلح تبنيه في القرن الحادي والعشرين (ص ٥ و٢٩).
- نظام العقوبات في القرآن نظام قاس وغير حضاري (ص ١٨).
- القرآن كتاب غامض ويحتوي على تعاليم غامضة (ص ١٨).
- هناك تهكم على النص القرآني (ص ٢٣) جمع القرآن كعملية تاريخية كانت عشوائية، وأن القرآن الذي يتداوله المسلمون حاليا قرآن ناقص وتنقصه سورتان (ص ٢٤).
- دحض الأحاديث النبوية: القول بأنها غير صالحة لهذا العصر.
- الإسلام هو سبب الحروب والتخلف والرجعية والفشل ومصدر الإرهاب والقتل.
- انتقاد الحكومة الأمريكية لتسامحها مع الحجاب، ودعوتها لانتهاج سياسة المنع كفرنسا (ص ١٤).
- مطالبة السعودية بالسماح ببناء كنائس ومعابد اليهود بدعوى حرية الأديان..
- الدعوة إلى تضخيم إخفاقات السعودية وإيران في تطبيق الشريعة الإسلامية (ص ٢٧).
- المجتمع المدني الديمقراطي لا يمكن أن يقبل بأحكام الشريعة الإسلامية (ص ٣٣)
- ضرورة عزل القوى الإسلامية المعارضة (الذين يعادون أمريكا وإسرائيل) في المنطقة عن التأثير في الأحداث.

٢- المؤسسات العلمية والخيرية:

هناك مجموعة مؤسسات علمية وخيرية امريكية ناشطة في مختلف بلدان العالم منذ عشرات السنين وهي في الحقيقة اذرع لتحقيق الاهداف الامريكية التوسعية والناهبة لثروات الشعوب ومقدراتها وترويج ثقافتها البعيدة عن المبادئ الانسانية الكريمة ، وللمثال نشير الى بعض هذه المؤسسات:

أ- مؤسسة روكفلر للابحاث

وهي منظمة خيرية خاصة مقرها في نيويورك أسسها جون روكفلر "الأب" ، جنبا إلى جنب مع ابنه جون روكفلر في مجال الأعمال الخيرية والمستشار الرئيسي غيتس فريدريك تايلور ، في ولاية نيويورك في ١٩١٣هدفها الأساسي التاريخي "تعزيز رفاه البشرية في جميع أنحاء العالم".تتضمن انجازاتها:الدعم المالي للتعليم في الولايات المتحدة " بدون تفرقة على أساس العرق أو الجنس أو العقيدة"، انشاء كلية جونز هوبكنز للصحة العامة و كلية هارفارد للصحة العامة أول معهدين من نوعيهما، تطوير لقاح مضاد للحمى الصفراء، تمويل التطوير الأولي لعلوم الاجتماع؛ تمويل عمل عشرات من الحائزين على جائزة نوبل.المساعدة في تأسيس المدرسة الجديدة، دعم إنشاء مجموعة كبيرة من المؤسسات الثقافية الأمريكية والدولية ؛ تمويل التنمية الزراعية لتوسيع نطاق إمدادات الغذاء في جميع أنحاء العالم.

على الرغم من أن مؤسسة روكفلر لم تعد أكبر مؤسسة من حيث الأصول ، الا ان تراث مؤسسة روكفلر البارز جعلها تصنف على أنها من بين المنظمات غير الحكومية الأكثر تأثيرا في العالم. بلغت أصولها بنهاية عام ٢٠٠٨ ، ٣,١ مليار دولار والتي كانت ٤,٦ مليار دولار في عام ٢٠٠٧ ، مع منح سنوية تصل الى ١٣٧ مليون دولار[١]

ان القوى الكبرى الفاعلة فى هذا العالم تضم مجموعة من العلماء وكبار رجال المال والصناعة وأباطرة الإعلام فى العالم (بقيادة روكفلر) يجمعهم جميعا أيديولوجية واحدة يعتنقونها ويروجون لها وتنفذها قوى مبثوثة فى أرجاء الدنيا عن جهل أو هوى أوعمالة ، مفاد هذه الأيدولوجية أن الموارد الطبيعية على الكرة الأرضية لا تكفى إلا لـ ٣,٨بليون نسمة وأنه لا بد من التخلص من العدد الباقى من الستة بليون نسمة (مجموع سكان العالم اليوم) وتوجد وثيقة خطيرة قدّمها هنرى كيسنجر (مستشار الأمن القومي) على شكل مذكرة إلى الرئيس رتشارد نيكسون .. تحت رقم(NSSM٢٠٠)، كانت سرية ولكن أصبح الآن أمرها معروفا، خلاصتها أن الزيادة السكانية المطّردة فى دول العالم الثالث تعتبر تهديدا للأمن القومي الأمريكى ،وأن الحروب والأوبئة الطبيعية وحدها لم تعد وسيلة ناجعة لوقف الانفجار السكاني، ولا بدّ من اللجوء لوسائل مستحدثة وأسلحة جديدة من بينها التحكم فى إنتاج الغذاء العالمى ، والتحكم تكنولوجيًا فى خصوبة النساء .. وتشمل القائمة مصر.

- **التيار الإسلامي المعتدل امريكيا هو التيار الذي يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية، ويدعم التيارات الليبرالية، ويؤمن بحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا، ويؤمن بالتيار الديني التقليدي والصوفي فقط.**

(١) مؤسسة المعرفة الكويتية.



إستطاعت أسرة روكفلر إنشاء علاقات وثيقة بالشخصيات المؤثرة فى الدوائر السياسية الحاكمة بتعيينهم مستشارين، وعلاقات وثيقة مع المرشحين للكونغرس من كلا الحزبين الأمريكيين .. وكان إسم وزير العدل نفسه على قائمة الذين يتناولون مبالغ كبيرة بصفة منتظمة نظير إستشارات مجهولة الهوية ولم يفلت من قبضة الكارتل الذى تقوده روكفلر فى أى وقت ثلاثة مناصب هامة بالنسبة لمصالحها: وزير العدل ، ووزير الخارجية والرئيس الأمريكي نفسه.

بالنسبة لروكفلر لا أحد يعرف على وجه اليقين حجم الأموال والأصول التى تملكها هذه الأسرة .. إن ما يُعرف منها شطر ضئيل من جبل هائل ، وحتى هذا الشطر الضئيل يتحايلون لكى لا تُدفع عنه الضرائب المستحقة للدولة .. ولكى يفعلوا هذا خصصوا أكثره لحساب المؤسسات الخيرية .. ومرة أخرى كانت الحكومة هى الأداة التى أستخدمت دائما لمنع المنافسة والحفاظ على المصالح الإحتكارية ..هى مسألة مخططة بإحكام كما يشرح لنا "فرديناند لوندبيرج " فهو يرى أن معظم المنح و (الصدقات الجارية) تجرى فى اتجاه الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية.. ويقول: " الشرط الأساسى الذى لا بد من توفره لدى الذين يتلقون المال هو أن يكونوا مقبولين (فكريا أو أيديولوجيّا) من جانب الواهب المانح، بهذه الطريقة تصبح المؤسسة قادرة على التأثير على البحث العلمى وعلى كثير من السياسات الجامعية .

ب – مشروع الجامعة الأمريكية خارج الولايات المتحدة

منذ تاسيس الولايات المتحدة أول أكاديمية للتعليم العالي في المنطقة عام ١٨٦٦ باسم "الكلية الإنجيلية السورية" ثم تاسيس الجامة الامريكية في القاهرة وافتتاحها عام ١٩٢٠ تاسست فروع اخرى في دبي، الشارقة، دهوك، السليمانية، الاردن، الكويت، اربيل، ولا شك ان الاهـداف التي تقف وراء هـذه المؤسسات التعليمية والتربوية العليا لا تخرج عن اهداف الحرب الامريكية الناعمة التي تشنها الولايات المتحدة على هذه البلدان لجعلها في قبضتها سياسيا وثقافيا واقتصاديا في الحاضر والمستقبل الى جانب النشاط التبشيري الذي يخدم المصالح الامريكية اللامشروعة في الهيمنة والنهب والتسلط والتحكم بمصير الشعوب الاخرى تحت عناوين مضللة وانتهازية من قبيل الديمقراطية والحرية ورعاية حقوق الانسان ، ويكفي لتوضيح ذلك ان نقرا المقال الاتي عن الاهداف الخفية من تاسيس الجامعة الامريكية في القاهرة فهي ذاتها متوخاة من تاسيس الجامعة الامريكية في البلدان الاخرى:

الجامعة الأمريكية بالقاهرة ... الأهداف الخفية.

اقتنع المبشرون بأن التعليم العالي لا يقل أهمية عن التعليم الابتدائي فبدا التركيز عليه لأنه سيساعدهم على الوصول إلى الطبقة المثقفة وعلى هذا الأساس أوجد المبشرون الأمريكيون الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة[١] في مخطط للانتشار في عواصم الدول الإسلامية المهمة.هذا ما أكدت عليه دراسة حديثة صدرت في القاهرة للدكتورة سهير البيلى الأستاذة بكلية التربية بجامعة طنطا تحت عنوان (أهداف الجامعة الأمريكية في القاهرة .. دراسة وثائقية منذ النشأة وحتى عام ١٩٨٠).وأشارت الدراسة إلى أن التفكير في إنشاء الجامعة الأمريكية بالقاهرة بدأ في عام ١٨٩٩ م تقريباً عندما نادى ثلاثة من مبشري الإرسالية الأمريكية

---

(١) أحمد غانم.



في مصر منهم "اندرو واطسن" الذي أصبح مؤسس الجامعة الأمريكية بعد ذلك بإقامة كلية بروتستانتية في القاهرة، حيث ذكر "فرنمان جوست" أن مؤسسة كهذه يمكنها أن تكون مركزا للمواجهة الفكرية مع الإسلام.

قام واطسن ورفاقه بتقديم وثيقة للقنصل الأمريكي في مصر حول الحاجة إلى إقامة مؤسسة للتعليم العالي ، وتم تشكيل لجنتين بالفعل لدراسة المشروع الأول عام ١٩٠٢ بطلب من هيئة الإرساليات الأجنبية للكنيسة المسيحية المتحدة في أمريكا التي قدمت تقريرها عام ١٩٠٨ مؤيدة إنشاء الجامعة تحت اسم "جامعة مسيحية لمصر" وصدقت اللجنة على المشروع عام ١٩١١.وفى عام ١٩١٣ جاءت لجنة ثانية من الهيئة كذلك وقدمت تقريرها ولخصت فيه أسباب إنشاء الجامعة وهي:

– عدم وجود جامعة مسيحية في منطقة شمال إفريقيا التي يوجد بها ٢٤ مليون نسمة على الأقل يتكلمون العربية وهم بحاجة إلى التعليم المسيحي لكي يشكل حياتهم اليومية ويعد قادتهم للمستقبل.

– المكانة الاستراتيجية لمصر باعتبارها مركزاً فكرياً للعالم الإسلامي مما يفرض على المسيحية أن تقدم أفضل ما لديها من التعليم المسيحي لتتحدى الإسلام في مركزه الفكري.

– إظهار شخصية المسيح للناس وإعدادهم مهنيا لكي تتحول بلادهم إلى مملكة للرب(!).

وقد هيأت الأوضاع الداخلية المصرية والوضع المسيحي النشط الأجواء لدعم مشروع الجامعة الأمريكية بالقاهرة ؛ فوجود الاحتلال الإنجليزي الذي عمل على تكوين نخبة تعمل في تعاون تام مع سلطات الاحتلال الذي قال عنه كرومر : "واجبنا الأول هو إقامة نظام يسمح لجمهور السكان بأن يكون محكومًا وفقا للأخلاق المسيحية ، ولذلك فإن الهدف تكوين طبقة من السادة وإن سياسة فرّق تسُد لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق التربية، والتحالف مع الصفوة أفضل بكثير من كسب الجماهير".

وتم اتخاذ الخطوات العملية لنشأة الجامعة الأمريكية والتي بدأت بجهود تشارلز واطسن للحصول على الاعتمادات المالية لإنشاء الجامعة ، خاصة من الأغنياء مؤيدي العمل التبشيري الذين أكد لهم واطسن مسيحية الجامعة التي "تمجد السيد المسيح في العالم الإسلامي"، وتم اختيار القاهرة مقراً للجامعة حسب قول واطسن : "إذا أردنا التأثير في الإسلام فإن أكبر مركز مؤثر يمكن البدء فيه هو مصر". وتم افتتاح الجامعة بمقرها الحالي بميدان التحرير في ٥ أكتوبر ١٩٢٠ م .

وانحصرت توجهات الجامعة الأساسية في التوجه الديني، والذي أكدت وثائق الجامعة أن الهدف منها هو "ضمان الشخصية المسيحية للجامعة وتأثيرها في الطلاب وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة، وذلك من خلال المقررات الدراسية والحياة الجامعية بغية تنمية الولاء المسيحي لديهم"، وأشارت أيضا إلى أن الجامعة ستكون "أداة الإرسالية الأمريكية لتنفيذ أهدافها المتعلقة بالتنصير والإصلاح الفكري والديني في مصر والبلدان المجاورة"،ولتكون جزءا من الوكالات التبشيرية لمواجهة الإسلام حيث ستكون الجامعة عامل تنوير –طبقًا للوثائق– للصفوة من رجال مصر بالفكر ونشر حقيقة المسيحية واستكمال السلم التعليمي المسيحي البروتستانتي لتكون الجامعة على قمته والتي يحتاج المسلمون لها لتهذيب أخلاقهم طبقاً لتعاليم المسيح . وجاء في رسالة من مؤسسها واطسن أن الجامعة يجب أن تلتزم بالخط المسيحي وأن تكون مسيحية بمعنى الكلمة في شخصيتها ، وهذه الجامعة لن تكون أي شيئ على الإطلاق إذا لم تخطط لإقامة مملكة المسيح

في مصر(!).
وتم تقسيم الجامعة الأمريكية إلى كلية الآداب والعلوم ومدرسة الدراسات الشرقية وكلية التربية للتأثير في التعليم المصري ومركز البحث الاجتماعي بهدف جمع وتحليل وتقويم المعلومات الخاصة بأوضاع مصر الاجتماعية والأقطار الشرق أوسطية ، وأخيراً معهد اللغة الإنجليزية.

لم تُخفِ الجامعة في بندها الثاني أن "تقديم التربية المسيحية لشباب مصر والأراضي المجاورة هو هدفها الرئيسي"، وقد ظلت الوجهة التبشيرية هي المحور الذي تدور حوله بقية الأهداف المعلنة من إعداد النخبة ونشر الثقافة الأمريكية وخدمة المجتمع المصري. وقد استطاعت الجامعة الأمريكية أن تحقق أغراض التبشير المسيحي من خلال الاجتماع الديني لبحث سلبيات وإيجابيات العمل في الجامعة يوميًا بين الطلاب وإدارة الجامعة ، ويشمل تلاوة الصلوات والشعائر وقراءة الإنجيل وعظات ، إضافة للقضايا التعليمية في الجامعة ويحضرها الطلبة المسلمون - الذين يمثلون ثلثي الطلاب - والنصارى على السواء، ولا تسمح إدارة الجامعة لأحد من الطلاب بترك ذلك الاجتماع حتى يوم الجمعة باستثناء شهر رمضان.

وهناك برنامج المناظرات الدينية بين بعض علماء الإسلام والمسيحية ومحاضرات لبعض المفكرين العلمانيين حول حقوق المرأة وغيرها وهي قضايا "مرتبطة بالتبشير الأمريكي، كما تضمن ذلك النشاط الثقافي عملاً تبشيريًا سافرًا كعرض الأفلام التبشيرية على الطلاب والحضور.وبخصوص المناهج الدراسية فقد جعلت الجامعة دراسة الإنجيل وما يتصل به من علم الأخلاق جزءاً من الدراسات الإجبارية طوال سنوات الدراسة.وقد حدد مفهوم التبشير الذي تقوم به الجامعة أنه "لا يعني إحداث تحول من ديانة إلى أخرى ، ولكن هو محاولة لأن يصل الناس إلى درجة التشبع بوجهات النظر والمفاهيم والمثاليات المسيحية.

وقد حاولت الجامعة أن تجعل الهدف التبشيري ونشر العقيدة المسيحية هي الشغل الشاغل لها من خلال المناخ الجامعي المتمثل في نشر الروح الديمقراطية أو ربط الطالب بأستاذه والروح الكنسية من خلال جو الجامعة، واشترطت على الطالب الذي لم يتوافق مع المبادئ والأهداف الأساسية للجامعة، وهي نشر تعاليم مبادئ السيد المسيح أن ينسحب من الجامعة وهذا يؤكد أن ممارسات الجامعة قائمة على الإجبار.

ويعد إعداد النخبة الحاكمة أحد الأهداف الرئيسية للجامعة، وهو ما يؤكد وجهة الجامعة في الهيمنة والسيطرة على مقدرات شعب مصر من خلال إعداد القادة وإمدادهم بالثقافة الغربية والقيم المسيحية والحياة الأمريكية مما يجعلهم ينتمون بعقلهم ووجدانهم إلى المجتمع الغربي، وبهذا تضمن أمريكا ولاء هؤلاء القادة لها وبالتالي الهيمنة على المجتمع المصري كله. وأكد "جون بادو" رئيس الجامعة الأمريكية عام ١٩٤٥ أن هدف الجامعة "نقل الثقافة والقيم الأمريكية إلى العالم العربي"، وتم ذلك عبر التعليم الحر والحفلات الموسيقية والمحاضرات والمنتديات الثقافية والسينما التعليمية والتي كانت تهدف جميعها لبسط الهيمنة الثقافية الغربية وبناء مجتمع تابع للغرب خاصة الولايات المتحدة عن طريق تربية الطلبة على فهم واضح للعالم الغربي وثقافته وقيمه. وفي عام ١٩٥١ تم تأسيس "مركز البحث الاجتماعي" الذي دعمته مؤسسة فورد لجمع وتحليل المعلومات التي تخص الظروف الاجتماعية في الشرق الأوسط، وكانت الأبحاث الاجتماعية والأنسانية هي الأساس في نشاط المركز مع التفكير في

الاقتصاد مستقبلاً وقد قام المركز بدور خطير في كشف دقائق الأمور والمشكلات الاجتماعية في مصر بما يمكن اعتباره أداة للتجسس على مقدرات الحياة الاجتماعية في مصر ودول الشرق الأوسط بما يمكن أمريكا من بسط الهيمنة الثقافية على المجتمع العربي.وذلك يحدد أهداف السياسة الأمريكية الاستراتيجية وهي حماية الأمن القومي الأمريكي الذي يشمل العالم كله، وأن تصبح مصر ركنا فاعلا في الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وإفراغ مصر والمنطقة العربية من القيادات القوية ومن مفاهيم خلق التبعية وفرض الهيمنة المعنوية والحضارية على المجتمع المصري.وكانت الجامعة الأمريكية بالقاهرة إحدى الآليات التي استخدمتها أمريكا لتحقيق تلك الأهداف حيث كانت – ولا تزال – تقوم بالدور الثقافي لتربية أجيال من الطلاب الأمريكيين لغة ووعياً وثقافة وقيمًا وسلوكًا ، وهؤلاء سيتولون المناصب القيادية في الدولة وبالتالي يسهمون في تأكيد واستمرارية تبعية المجتمع المصري للثقافات الغربية وخاصة الأمريكية منها ، وهو ما نلمسه في مجالات كثيرة كالتعليم والسياسة والاقتصاد.نؤكد على أن الدراسة – وهذا المقال تبع لها– لم تبحث في التحولات التي طرأت على الجامعة الأمريكية؛ والوثائق حتى١٩٨٠ تشكل سقف المرجعية في الاستشهادات وتاليًا التحليل ؛ ما يعني أن البحث يصدق عليه البحث التاريخي ولا ينفي بالضرورة وجود تغيرات طرأت على توجه الجامعة وأهدافها وطبيعة عملها.

الجامعة الأميركية في بيروت

كانت التدخلات الأميركية الأولى في الشرق الأوسط عبر منصرين بروتستانت قصدوا مدينة القدس، لكنهم بعد أن فشلوا في مهمتهم التنصيرية انسحبوا إلى جبل لبنان ليستقروا في بيروت، وهناك أسسوا أول أكاديمية للتعليم العالي في المنطقة عام ١٨٦٦، وكان اسمها آنذاك "الكلية الإنجيلية السورية"، لتتحول عام ١٩٢٠ إلى "الجامعة الأميركية ببيروت".

بدأ التدريس في الجامعة بطاقم من المؤسسين الأوائل من أساتذة ومتخصصين أميركيين يتقنون اللغة العربية إتقانا كاملا، وكانت تدرس مناهج باللغة العربية في كل العلوم، غير أن اللغة العربية تم التخلي عنها لاحقا لصالح اللغة الإنجليزية بحجة عجز العربية على مسايرة التطور المتسارع في مجال العلوم.

ويقول أستاذ الفلسفة السابق في الجامعة الأميركية محمود شريح إن هذه الأخيرة فقدت محتواها بعد تخليها عن التدريس بالعربية، مضيفا "أنت أصبحت مستغربا في حضارتك العربية".

• كان أحد الأهداف الرئيسية للجامعة الامريكية في القاهرة هو اعداد النخبة الحاكمة بهدف الهيمنة والسيطرة على مقدرات الشعب المصري من خلال إعداد القادة وإمدادهم بالثقافة الغربية والقيم المسيحية والحياة الأمريكية مما يجعلهم ينتمون بعقلهم ووجدانهم إلى المجتمع الغربي.

ورغم دورها التعليمي والتربوي، لم تكن الجامعة الأميركية بمنأى عن التأثير السياسي للولايات المتحدة، حيث تولى رئاستها عام ١٩٤٨ رجل أثيرت حوله الكثير من الشبهات، فقد كان له ارتباط بالحكومة الأميركية، وكان أحد عيونها وآذانها في الشرق الأوسط. وفي عام ١٩٨٤ تم اغتيال رئيس الجامعة الأميركية مالكوم كير، وذلك بعد



تفجيرين طالا مصالح أميركية في لبنان عام ١٩٨٣. ويقول رئيس الجامعة بيتر دورمان إن استهداف المصالح الأميركية بشكل كبير في ذلك الوقت كان بهدف تهديد الوجود الأميركي في المنطقة.

ومنذ تأسيسها عام ١٨٦٦ زاد عدد خريجي الجامعة بأكثر من ٦٤ ألفا جاؤوا من مئة دولة، وحاليا هناك ١٢٠ تخصصا، بينما بلغ عدد الطلاب حاليا في مختلف التخصصات ثمانية آلاف. ومعظم الأساتذة الذين يدرسون بالجامعة هم من اللبنانيين ثم الفلسطينيين والعرب وعدد من الأميركيين الذين يكونون في الغالب بمركز أستاذ زائر.

ورغم الظروف التي مرت عليها وما يثار من تساؤلات حول تأثرها بالسياسة الأميركية، تبقى الجامعة الأميركية مستمرة في أداء مهمتها، ويقول محمود شريح: لو كانت الجامعة الأميركية في بيروت تضر بالمصالح الأميركية لأغلقتها الولايات المتحدة.

٣- صناعة السينما والمسلسلات التلفزيونية:

هوليود..الوجه الآخر للصناعة الحربية الناعمة[١]

يمكننا أن نصف الولايات المتحدة، في شكل مثلث: الضلع الأول هو الضلع السياسي وعاصمته واشنطن، والضلع المالي وعاصمته نيويورك، أما الضلع الثالث فمقره لوس أنجلس ونواته مدينة هوليود للإنتاج والصناعة السينمائية. ثلاثية متناسقة جعلت السينما خادمة للقرار السياسي وللنفوذ المالي، فالإيديولوجية أولا، ونقصد بها إيديولوجية تفوق الحلم الأمريكي، ثم الترفيه

ثانيا. ويمكن القول بأن ما حققته استوديوهات هوليود في نشر ثقافة الرجل الأبيض الأمريكي يفوق وبكثير ما حققته أساطيل العم سام . فالسينما هي القوة الثقافية الناعمة التي تمكنت من أمركة المتفرج العالمي بغض النظر عن انتماءاته الجغرافية والعقدية واللغوية.

لقد أعادت ضجة إقصاء العنصر الأفرو أمريكي من تتويجات جوائز الأوسكار، ومقاطعتهم لها للموسم الثاني على التوالي سؤال علاقة السياسة بالفن؟ وعلاقة هوليود تحديدا والصناعة السينمائية بالإيديولوجية والسياسة؟ حيث بدا للعيان بأن الصناعة السينمائية الهوليودية هي مجرد امتداد لواشنطن عاصمة القرار السياسي الأمريكي ليس إلا، وبأن الصناعة السينمائية الترفيهية وخدمة قضايا الإنسان ومعالجة همومه الملحة اليومية والمعاشية ونشر رسائل المحبة والسلام والإخاء هي مجرد شعارات استهلاكية تتوارى إلى الوراء، في كون القضية أكبر من مجرد فن وشعارات إنسانية بريئة وبراقة. بل تتعداها إلى صناعة سينمائية ضخمة ترصد لها عشرات مليارات الدولار، وتعد من أهم مقومات الاقتصاد الأمريكي وصادرات العم سام. بل هي أهم منصات إطلاق صورايخ الحلم الأمريكي في صيغته الجديدة (العولمة) التي هي الوجه المقنّع لـ (الأمركة). وبذلك تغدو الصناعة السينمائية لا تقل إستراتيجية وأهمية من صناعة طائرات F١٦، والاختلاف على مستوى الاستعمال فقط ، فالثانية تستعمل في تدمير الأهداف العسكرية والبنية القتالية للعدو، بينما الاولى تستهدف نشر النموذج الأمريكي وثقافة التفوق الأمريكي في كل المجالات. باعتبار حضارته وثقافته هي أرقى ما وصلت إليه الإنسانية، وبتعبير "فوكوياما" أحد أهم منظري البنتاغون الأمريكي ان العم سام هو نهاية التاريخ وأقصى ما يمكن أن

(١) موقع المساء الراي الحر والخبر اليقين– ٢٠١٦/٣/٧.



تصل إليه البشرية، والحال أن النبش في علاقة هوليود بمصادر القرار بواشنطن ومؤسسة البنتاغون تحديدا، يظهر وبجلاء بأن هوليود مجرد ملحقة من ملحقات البنتاغون، صحيح أنها لا تعمل تحت إمرته المباشرة، بيد أنها تحظى بامتيازاته، سيما على مستوى الإنتاجات السينمائية الضخمة، وما يوفره لها البنتاغون من إغراءات على شكل معدات للإنتاج من أساطيل وحاملات طائرات وغواصات وطائرات حربية ومعدات عسكرية ضخمة. كلها بمثابة الجزرة التي تقدمها واشنطن لهوليود، من أجل فرض توجهاتها، والتي لا يمكن للمستثمر الهوليودي الباحث عن الكسب والمزيد من الإيرادات إلا أن يخضع لها. فالدولار الأخضر ليس مجرد عملة للتداول، بل هو رمز لإله خفي وعبادة يومية.

أخذت أشكال القوة الناعمة التي تمارسها هوليود[1] بعد أحداث سبتمبر أشكالا مختلفة تتمحور حول الحقد والتزييف لترسيخ النظرة الدونية عند الشعب الأمريكي الذي عاش ومازال تحت تأثير الصدمة، ويمكن إجمال الصورة التي يُنظر فيها نحو العربي، المسلم في هوليود بعده سمات، وهي: خائن مكار يتخلى عن دينه في أتفه المواقف، همجي شرير لا يتورع عن القتل وسفك دماء الأبرياء، غادر وعنيف محب للحرب، بربري وقاس ثري، الشخصيات العربية والمسلمة تتم تربيتها من الطفولة على حب القتل والعنف والتعذيب والانتقام، الأطفال يشجعون أباءهم على عمليات القتل، منبهر بالحضارة الغربية، عاشق للنساء والخمر والسهرات الحمراء.

إن تكرار إظهار العربي والمسلم بهذه الصورة يهدف إلى جعل المواطن الأمريكي يكره العربي حتى إن كان أمريكيا، وتلعب هوليود دوراً مهمًا في تشويه وتسويق الحقائق والافتراءات طالما لا يوجد صوت بديل، حيث ساعد انتشار مثل

(١) صحيفة البينة الجديدة العراقية .

هذه الأفلام على تأكيد الصورة النمطية عن العربي والمسلم ، نعم هوليود أوجدت صورة نمطية عن العربي عملت عليها منذ سنوات طويلة، ونحن عندما عرضنا قوتهم الناعمة على شاشاتنا سوّقنا كذبتهم بقصد ، وغابت شركات الإنتاج العريقة وظهرت بدلاً منها شركات تنتج مسلسلات وأفلاما ذات تاريخ منتهي الصلاحية.

وكنماذج لهذه الرؤية السوداء نشرت مجلة القدس العربي مضمون مجموعة من الافلام الامريكية منها:

١- فيلم سقوط الصقر الاسود.... black hawk down

الفيلم يدور حول أحداث واقعية وقعت في مقديشو في أثناء فترة الحرب الصومالية عام ١٩٩٣ م حيث أرادت القوات الأمريكية العاملة هناك القيام بعملية سريعة لأسر أحد قادة الحرب الصومال .....لكن بسبب خطأ ما تحولت هذه العملية إلى كابوس استمر ساعات طويلة قتل فيه ١٨ جنديا أمريكيا و جرح العشرات وأسقطت فيه طائرتا هيلوكبتر قبل أن يتم إنقاذهم في النهاية .....الفيلم بالغ في وحشية الصوماليين وجهلهم وجوعهم .

٢- فيلم ما وراء خطوط العدو... behinde the enemy line

طيار من القوات البحرية تسقط طائرته في منطقة العدو في أثناء الحرب البوسنية و يجرح و يسعى للمحافظة على حياته بعيداً عن القوات و الدوريات السرية و التي تحاول الأمساك به، في الوقت نفسه يقرر قائد الضابط المصاب بأن يعصي الأوامر و يقوم بمهمة عسكرية خاصة و يائسة من أجل أنقاذه وفيه يظهر اخلاص الامريكان ومساعدتهم للمسلمين البوسنيين



العزل من الصرب، وللاسف هذا هو عكس ما شاهدناه، الصرب ابادو البوسنيين ولم يتحرك الامريكان.
لكونهم مسلمين.

٣- فيلم قانون الاشتباك...rule of engagment

تتعرض السفارة الأمريكية في اليمن إلى حصار من قبل المتظاهرين الغاضبين ، فترسل الولايات المتحدة وحدة عسكرية من جنود البحرية بقيادة الكولونيل تيري تشيلدرس للسيطرة على الوضع و نقل السفير من مقره بأمان، وبعد نقله يتعرض ٣ من رجاله بالإضافة إلى ٨٠ رجلا و أمراة وطفلا للقتل عن طريق مدافع البحرية ، فيواجه محكمة عسكرية تتهمه بقتل مدنيين عزل من السلاح ... لكنه ينفي هذه التهمة بحجة أنهم قاموا بأطلاق النار ... ليكتشف فيما بعد أنه سيكون الضحية لحل هذه الأزمة الدبلوماسية ... و أن جميع الوثائق التي تبرئه تم التخلص منها ... لكنه لم ييأس و قرر المقاومة فيلجأ لصديقه القديم هايس هوجيس .
في البداية اصطحبت معي زميلي الهندي ولما شاهد الفيلم حسبه حقيقة ولكنه كذب يصور طفلة وامها والشعب اليمني مسلحون ويصوبون نيرانهم على امريكان

٤- فيلم الاكاذيب الحقيقية true lie

النجم أرنولد شوارزينيجر في دور عميل في الـ FBI يكتشف مخطط ارهابي يستهدف به تدمير الولايات المتحده الامريكيه عن طريق تفجير رؤوس نوويه استولى عليه الارهابيون، ولكن المشكله هي وقوع عائلته في ايدي الارهابيين حيث ينطلق في مغامرة من اجل انقاذ عائلته وايقاف الارهابيين عن تنفيذ مخططهم وسط جو مليء بالانفجارات والقتال ....الفيلم يظهر العرب كارهابين وثيران وقتلة.

٥- فيلم ثلاثة ملوك...the three kings

النجم جورج كلوني في دور قائد فرقه في الجيش الامريكي خلال حرب الخليج الاخيرة يعثر افراد فريقه على خريطة سرية تقود الى اماكن تخزين سبائك الذهب المسروقة من الكويت حيث يقرر الانطلاق برحله مع فرقته من اجل الاستيلاء على هذا الكنز، ولكنه يتعرض للهجوم من قبل القوات العراقية ويفقد اثنين من افراد فرقته حيث تقرر المعارضة مساعدتهم في الهرب من الجنود العراقيين ليغيروا بذلك هدفهم نحو مساعدة المدنيين من اجل الوصول الى اماكن آمنة على الحدود الايرانية وسط مغامرة مليئة بالاكشن ..الفيلم يظهر حماقة العراقيين والكيماوي والامريكان الابطال.

٦-الحصار...the siege

ادى انفجار اتوبيس في وسط نيويورك الى حالة من الفوضى والهلع بسبب التهديدات من الارهابيين الشرق اوسطيين الذين هددوا باعمال انتحارية اخرى ينطلق المخبر السري دينزل واشنطن برحلة للبحث عن الفاعل وايقاف تهديداته قبل ان تعلن حالة الطوارىء في ارجاء المدينة ويدخل الجيش المدينة ويحكمها بقوة السلاح بقيادة بروس ويلس وتحدث الكارثه الكبرى، الفيلم يشهد لبنانيين عرب يفجرون في وسط امريكا، ويتم حصارهم كحيوانات في سجون في وسط المدينة.

أفـلام هوليود تعادي العرب والمسلمين دون مبرر [1]

تعد وسائل الإعلام المرئية مثل الأفلام والبرامج التلفزيونية الأكثر شعبية، كما أن لها جمهورًا واسعًا ومتنوعًا، حيث تستهدف قلوب وعقول المشاهدين الذين يميلون إلى التعاطف مع الشخصيات والتأثر بما يشاهدون. ولا ينتهي تأثيرها سريعًا، لأن الناس يستبطنون المشاهد والأصوات التي شاهدوها. وقد أظهرت بعض الدراسات أن ذلك لا يؤثر فقط على تصورات المشاهدين ولكن على سلوكهم أيضًا، وخاصة في الفئات العمرية الأصغر سنًا.

وتعتبر هوليود عاصمة السينما في العالم، كما أنها أداة فعالة وقوية لتعميم الثقافة والقيم الأمريكية. وعندما يتعلق الأمر بالأفلام التي تتناول شخصيات عربية أو إسلامية، فقد أثبتت هوليود مرارًا أنها متلاعبة ومضللة ومنحازة، تقدم وتعزز الصور النمطية، التي تتماشى مع سياسات المستشرقين الأمريكيين العدوانية تجاه العرب والمسلمين. ونادرًا ما بذلت جهدًا لتعكس صورة أكثر موضوعية.

ففيلم "العاصفة والأسد" ١٩٧٥، و"تحت الحصار" ١٩٨٦، "مطلوب: حيًا أو ميتًا" ١٩٨٧، و"أكاذيب حقيقية" ١٩٩٤، و"الوطن" ٢٠١١–٢٠١٣، و"الحرب العالمية ٢٠١٣، و"سلاحف النينجا" ٢٠١٤، و"القناص الأمريكي" ٢٠١٤"؛ كلها أمثلة لأفلام وبرامج تلفزيونية ساهمت في تشويه صورة العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الرئيسة.

وقد فعل بعض تلك الأفلام، مثل: "أكاذيب حقيقية"، و"القناص الأمريكي" ذلك علنًا من خلال تقديم الشخصيات العربية بصورة غير حضارية، تظهرها عنيفة وبلا رحمة، والذين تكون نهايتهم القتل كجزء من النهاية "السعيدة". بينما فعلت الأفلام الأخرى ذلك بطريقة أكثر دهاءً، مثل فيلمي: "الحرب العالمية Z" و"سلاحف النينجا".

ففي فيلم "الحرب العالمية Z"، يتم تصوير الجيش الإسرائيلي ووكالاته "الأمنية" على أنهم حماة القدس، الذين بنوا جدار الفصل العنصري من أجل إبقاء كائنات الزومبي خلفه. بينما في الحقيقة، يعمل الجدار كحاجز عنصري، وهو أداة أساسية من أدوات سياسات الاحتلال الإسرائيلي التي تجرد ما يقرب من ٣ مليون فلسطيني في الضفة الغربية من حقوقهم وحرياتهم، لكن تصوير نفس الجدار في الفيلم على أنه أداة إيجابية وضرورية لخلاص البشرية، وأن الجنود الإسرائيليين هم الأبطال والحماة؛ هو تضليل للمشاهدين وتشويه للواقع.

> • هوليود.. أداة فعالة وقوية لتعميم الثقافة والقيم الأمريكية، وتقدم وتعزز الصور النمطية التي تتماشى مع سياسات المستشرقين الأمريكيين العدوانية تجاه العرب والمسلمين.

ويضفي الفيلم نوعًا من الشرعية على الاحتلال الإسرائيلي، من خلال خلق التعاطف والمشاعر الإيجابية تجاه الظالمين المتشددين والاحتلال الاستعماري الوحشي؛ في حين يشوه صورة أولئك الذين يعيشون خلف الجدار.

وبالمثل، يمجد فيلم "القناص الأمريكي" بالجنود الأمريكيين ويجرّح في العرب، حيث يعرض الجنود الأميركيين على أنهم أبطال، حماة، وفي بعض الأحيان ضحايا في العراق، في حين يتم عرض جميع العرب بأنهم متشددون ومسلحون، بما في ذلك النساء والأطفال، الذين

(١) ميدل إيست مونيتور ٣١ يناير ٢٠١٥.

يشاركون أيضًا في القتال؛ حيث لا يوجد مدنيون عراقيون في هذا الفيلم، باستثناء عائلة واحدة، التي قتلت على أيدي المسلحين العراقيين، بطبيعة الحال، وليس الجنود الأمريكيين.

وترسل هذه الأفلام رسالة خبيثة في البداية بأن قتل النساء والأطفال هو أمر لا مفر منه، وجزء من واجب الجندي في "الحماية". بينما تغيب المعضلة الأخلاقية حول هذه القضايا. فالقناص يطلق النار للقتل وليس لنزع السلاح، حتى عندما تكون الأهداف من النساء والأطفال. وعلاوة على ذلك، نلاحظ تشييئًا واضحًا للمسلحين العراقيين، مقابل الأنسنة للمسلحين الأمريكيين. فعندما يُقتل جندي أمريكي يتم تقريب الصورة من وجهه حتى نتمكن من استيعاب مشاعره ونتأثر بجروحه. ومع ذلك، عندما يُقتل مسلح عراقي، فإننا نرى فقط جسده وهو يسقط من بعيد. ليس هناك دم، ولا تعابير وجه، وبالتالي لا توجد أي مشاعر. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الجنود الأمريكيين ليسوا جنودًا فقط، فهم أزواج وآباء وأبناء، في حين أن المسلحين العراقيين هم مسلحون فقط.

فالـ "بطل" هو رجل استطاع تحقيق الرقم القياسي في عدد من قتلهم في العراق والذي يسميه زملاءه الـ "أسطورة". وهو لا يظهر أي ندم تجاه أولئك الذين قتلهم. الشيء الوحيد الذي يأسف له هو عدم تمكنه من قتل المزيد من العرب! لذا فليس من المستغرب أن يثير مثل هذا الفيلم ردود فعل معادية واسعة النطاق للعرب والمسلمين بين جمهور السينما في الولايات المتحدة؛ ووسائل الإعلام الاجتماعية التي عبر فيها الناس عن حماسهم لقتل العرب والمسلمين.

وحتى عندما يكون السياق ليس له علاقة بالعرب أو الفلسطينيين في شيء، تتعمد هوليود إدراج مؤشرات ثقافية عربية/إسلامية لا صلة لها بالموضوع تمامًا، التي غالبًا ما تخلق صلة زائفة بين العرب أو المسلمين وبين الشر.

ففي فيلم "سلاحف النينجا"، لم يكن هناك أي سبب منطقي لاستخدام الوشاح الفلسطيني كجزء من الزي الذي يرتديه جيش الشرير،على الرغم من أن الشخصيات لا يمكن أن تنتمي إلى العالم العربي المسلم جغرافيًا أو ثقافيًا أو اجتماعيًا أو سياسيًا؛ حيث كان من المفترض أصلًا أنهم يابانيون.

إن هذا التحريض ضد العرب والمسلمين يمكن أن يكون له نتائج وخيمة. حيث يتم تحويل مشاعر الكراهية والعداء تجاه العرب إلى أفعال في العديد من الأماكن حول العالم، ليس فقط على المستوى السياسي بل أيضًا اجتماعي وجسدي.

وسواء ما إذا كانت السينما تعكس حياتنا أم لا، فإن تأثيرها القوي علينا لا يمكن إنكاره. ويجدر بنا أن نتأمل في كلمات "مالكولم إكس" في هذا الصدد حينما قال: "إذا لم تكن حذرًا، فستجعلك الصحف (وسائل الإعلام) تكره المظلومين وتحب الظالمين". ويمكن إثبات صدق كلامه دون بذل الكثير من الجهد، فهوليود لديها الكثير من الأدلة على ذلك.

صور نمطية للعرب في «هوليود» [1]

إذا أردت أن تطلّ على السينما الأمريكية لترى كيف تصوِّر العرب ثمّ المسلمين في أفلامها، يمكنك قراءة كتاب (العرب الأشرار في السينما) الذي ألفه الناقد السينمائي جاك شاهين الأمريكي ذو الأصل اللبناني حيث قام بدراسة أكثر من ١٠٠٠ فيلم أمريكي على مدار القرن الماضي كله ليخرج بنتائج مذهلة تريك كيف تنظر هوليود إلى العرب عبر منظار ضيق وصغير. من ١٠٠٠ فيلم لم يضع جاك شاهين على قائمة

(١) عبد الرحمن ناصر – موقع ساسة بوست – ٨ أغسطس،٢٠١٥ .

الأفلام الإيجابية عن العرب سوى ١٢ فيلمًا. من بينها فيلم Three Kings وفيلم The ١٣th Warrior .

وخلال الحديث عن هذه الصور النمطية ستجد ترشيحات للكثير من الأفلام التي تدلل على هذه الصور النمطية:

١- البدوي الشرير في الصحراء القاحلة

«لقد أتيتُ من بلاد،من بلاد بعيدة جدًا، حيث تتجول قافلات الجمال، حيث يقطعون أذنك إن لم يعجبهم وجهك، هذا وحشي، لكن هذه هي بلادي»

هذه هي الأغنية الافتتاحية لفيلم الرسوم المتحركة Aladdin ربما لا يبدو الأمر مقصُودًا، لكنَّها تظلّ صورة متمثلة في العقلية الغربية للعرب باعتبارهم بدوًا يعيشون في صحراء قاحلة، والأمير هو المتحكم فيهم. فيلم علاء الدين إنتاج ١٩٩١، ربما تشعر أنّ التاريخ بعيد قليلًا، لكنَّك ستتعجب حين تعلم أنّ التاريخ البعيد كثيرًا يحمل نفس الصورة النمطية. في فيلم The Arab المنتج عام ١٩١٥ يحكي قصة شاب يسرق القوافل بصورة دائمة دون أن يستطيع أحد إيقافه، ثم ستكتشف بعد ذلك أن هذا الشاب هو ابن زعيم القبيلة العربية. في فيلم The Barbarian المنتج عام ١٩٣٣ يخبرك أنّ مرشد القافلة الذي يحاول دائمًا أن يتطفل على السيدة البيضاء الجميلة هو أمير لإحدى القبائل العربية.

٢- الشيخ العربي المحاط بالنساء والذي يعشق الأوروبيات

الشيخ العربي شهواني يحب النساء الأوروبيات، ينفق أمواله أو يقوم بعمل مواقف لا أخلاقية وخبيثة للفوز بامراة أوروبية تنضمّ إلى نسائه الكثيرات. هذه الصورة كانت موجودة منذ القدم في السينما الأمريكية، وتمّ تطويرها فيما بعد للشيخ الثري التافه (بعد اكتشاف النفط). يمكنك ملاحظة هذه الصورة النمطية بوضوح كامل في فيلم The sheik الذي خرج للسينما عام ١٩٢١ وفيلم The Son of the Sheik الذي تم إنتاجه عام ١٩٢٦.

يقول الأستاذ جاك شاهين بان من بين الألف فيلم التي شاهدها هناك ٣٠٠ فيلم تكرس لهذه الصورة النمطية عن العرب وشيوخ العرب.

٣- لذلك يمكن قتله بسهولة

العربي إنسانٌ سيء وغبي وليس صالحًا، ويمكن قتلهُ بسهولة. الأمريكيون هم الأقوياء الذين يمتلكون التكنولوجيا والسلاح. أما العرب فلا. يمكنك أن تستوضح هذه الصورة من خلال فيلم True Lies والذي يصور المقاومة الفلسطينية كمجموعة من الحمقى. الفيلم من أفلام الحركة مع بعض الكوميديا ولكنه يخرج بصورة مفادها أنّ البطل الأمريكي (أرنولد شوارزنيجر) سيستطيع القضاء على الحمقى العرب ببساطة لأنهم إرهابيون.

فيلم Rules of Engagement يظهر العرب كإرهابيين وغوغائيين، حتَّى الأطفال. يحاول المحامي الأمريكي الذي أرسل للتحقيق حول «جريمة» ارتكبتها البحريَّة الأمريكية في اليمنيين العُزَّل؛ يحاول المحامي أن يتعاطف مع القتلى النساء والأطفال والمشوهين ولكنَّه يعثر على أحد الشرائط المسجلة والتي يقول فيها المتحدث أنه يجب أن نقتل الأمريكيين كلهم المدنيين والعسكريين. هذه الصورة التي تطورت من شيخ القبيلة الشبق صاحب الأفكار الخبيثة والمغتصب والسارق الى العربي الإرهابي الذي سيفجر العالم لأنه يكرهه.

آخر هذه الأفلام التي تؤكد هذه الصورة فيلم American Sniper ٢٠١٤ الذي يعتمد على كتاب الجُندي الأمريكي كريس كايل والذي خدم في العراق وقتل أكثر من ١٦٠ شخصًا ووضعه هذا الرقم في مرتبة أحد أكثر القناصين فتكًا في





التاريخ الأمريكي. الجندي يعتبر أن ضحاياه متوحشون وأنه غير نادم على قتلهم. أثار الفيلم موجه من الاستياء حتى في الداخل الأمريكي باعتباره فيلمًا يغير في الحقائق التاريخية الخاصة بحرب العراق كما أنه يعزز من سياسات العنف تجاه العرب والمسلمين.

٤- الأثرياء التافهون والشهوانيون

بعد ثورة النفط في الخليج تحولت صُورة العربي الأمير الذي يسعى وراء الشقراوات الأوروبيات إلى العربي التافه المثير للضحك والثري ثراءً فاحشًا في آن واحد. يمكنك أن تلمس هذه الصورة في العديد من الأفلام كفيلم: Father of the Bride الثري العربي (الذي لا يترك زوجته تتحدث ويعاملها بسوء) يذهب لشراء البيت الذي يعجبه بأموال كثيرة للغاية وبطريقة مضحكة. الصورة تتكرر عن العربي الغني الشرير والتافه في فيلم Cannonball Run II الذي يصور الأمير بشكل كوميدي، وفي فيلم Protocol ١٩٨٤ وحتى في بعض أفلام جيمس بوند، تجد فيلم Never Say Never Again ١٩٨٣ الذي يصور الشخص العربي كشهواني خسيس يركض وراء الشقراوات ويحاول أن يوقعهنّ في حوزته.

٥- المرأة العربية من راقصة إلى إرهابية

كما تطورت صورة الأمير العربي المحاط بالنساء إلى الأمير العربي الثري التافه، تطورت كذلك صورة المرأة العربية التي غالبًا ما كانت تظهر كـ(حريم) لزعيم القبيلة أو للأمير أو للثري العربي، أو كراقصة من ضمن حاشيته. بدأت تظهر في الثمانينيات وما بعدها باعتبارها أيضًا تهديدًا إرهابيًا يمكنها أن تقتل وتفجر المدنيين ببساطة، يمكنك مشاهدة فيلم Death Before Dishonor لترى كيف تظهر المرأة العربية كقاتلة محترفة، وكذلك فيلم Never Say Never Again وفيلم The English Patient.

٦- العربي الذي يحاول أن يصلح نفسه يصبح عميلا لأمريكا!

كعربي أنتَ لستَ إنسانًا جيدًا أو صالحًا، ستصبح صالحًا فقط حين تصبح عميلًا لأمريكا تساعدها في القضاء على النظام الديكتاتوري الذي تعيشُ فيه أيضًا. هذا ما يقوله لك فيلم الحصار The Siege.

٧- الفلسطينيون إرهابيون ضد إسرائيل

الصورة النمطية التي تتكرر كثيرًا في السينما الأمريكية هي صورة الفلسطينيين كإرهابيين فقط يحاولون دومًا قتل الإسرائيليين المضطهدين بعنف شامل، يمكنك مشاهدة فيلم Cast a Giant Shadow لترى كيف يتم تكريس هذه الصورة منذ زمن بعيد. مؤخرًا ظهر للوجود فيلم Munish ٢٠٠٥ الذي يحكي قصة اختطاف إسرائيليين في ألمانيا من قبل فلسطينيين، حاول المخرج أن يقدم رؤية إنسانية للصراع ما أدى إلى انتقاده بشدة، رغم أنه أحد المخرجين المتعاطفين مع إسرائيل.

هوليود في خدمة البيت الأبيض[1]

المتابع للسينما الأمريكية يجد في خفاياها غزواً فكرياً مدروساً ومدعوماً من أعلى سلطة في أمريكا ، وأن هذا الغزو الفكري يخدم كافة المصالح الأمريكية المختلفة : السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية . وقد تنبه لخطورة هوليود الرئيس السوفييتي السابق ´خروتشوف ´ الذي قال بأنه´ يخشي هوليود أكثر من خشيته الصواريخ الأمريكية العابرة للقارات ´، وقد أدرك ذلك أيضاً الممثل الفرنسي العالمي ´ الان ديلون ´ فقال مخاطباً شعبه الفرنسي : ´ ألم أقل لكم منذ ثلاثين سنة إن أمريكا تغزونا بأفلامها ´ وفي هذا الصدد يذكر الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش – الأب – الذي أشرف على

(١) موقع مفكرة الاسلام ١٤٣٤هـ.



هندسة المراحل الأخيرة من الانهيار السوفييتي أن مدير شركة ´مترو جولدوين ماير´ كان يقول له : ´إن الهمبورجر والجينز وهوليود وشركات السجائر هي التي حسمت الحرب الباردة لصالح الولايات المتحدة الأمريكية´.

ولا غرو في أن أقول إن السينما الأمريكية ترافق السياسة الأمريكية الموجهة إلي العالم وكأن هوليود وزارة تابعة للبيت الأبيض لا يقل شأنها عن وزارة الخارجية أو عن البنتاجون.

وسوف أتحدث عن نموذجين للسينما الأمريكية يبرزان بوضوح معالم الغزو الفكري لهذه السينما: النموذج الأول خاص بفترة الثمانينيات ، والنموذج الثاني خاص بفترة السبعينيات ، والنموذجان لعبا دوراً خطيراً في تغيير بعض المفاهيم التي سادت في هذين العقدين .

النموذج الأول . . فيلم ´رامبو´

وهو فيلم مكون من ثلاثة أجزاء و ´رامبو´ اسم لبطل الفيلم ´ سلفستر ستالوني ´ و رامبو هذا جندي أمريكي عائد من حرب الفيتنام يحمل كل مرارة الهزيمة التي لحقت بالجنود الأمريكيين من قبل الشعب الفيتنامي المقاتل .

هدف الجزء الأول هو استعراض قوة الجندي الأمريكي، فكأن الفيلم يريد أن يقول للمشاهد إن صورة رامبو التي حملت كل معاني القوة هي الصورة الحقيقية للجندي الأمريكي ، وأن هزيمة أمريكا في فيتنام كانت نتيجة أخطاء سياسية وقعت بها الحكومة الأمريكية ، وليس نتيجة ضعف عسكري في الجيش الأمريكي .

وفي الجزء الثاني يعمل ´ رامبو ´ علي تحطيم أسطورة القوة الفيتنامية التي هزمت الجيش الأمريكي ، وتجري أحداث هذا الجزء من خلال عودة ´ رامبو ´ إلي فيتنام لتحرير الأسري الأمريكيين المحتجزين في أحد المعسكرات الفيتنامية ، ويعمل الفيلم على تشويه صورة الشعب الفيتنامي وقد تم ذلك من خلال فتاة فيتنامية تعمل لصالح الاستخبارات الأمريكية وقامت بمساعدة ´ رامبو ´ بتحرير الأسري الأمريكيين ، مما يوحي للمشاهد أن جزءاً من العشب الفيتنامي خائن لبلاده ، ومن خلال معاملة الجنود الفيتناميين البربرية للأسري الأمريكيين اضافة الى سذاجة القوة العسكرية للجنود الفيتناميين وهم يطاردون ´رامبو´ فلا يوجد لديهم خبرة عسكرية ولا قوة جسدية ، بالإضافة إلي خضوعهم المهين للضباط الروس الذين يسيطرون علي المعسكرات الفيتنامية .

كما يبرز رامبو قوة الجيش الأمريكي والجندي الأمريكي من خلال امتلاكه التكنولوجيا المتقدمة ، بخلاف المعسكر

• يستقبل العقل والدماغ البشري المعطيات الحسية والمواد والرسائل الإعلامية عن طريق وسائل الاتصال والإعلام المختلفة (تلفزيون ، إذاعة، فضائيات ، صحف ومطبوعات ومجلات، مواقع انترنت ، إعلانات ، أجهزة الاتصال الفردية الخلوي ، الخ) بمعدل معلومة وجزئية في الجرعة الواحدة(مليوني Beta باللغة العلمية) يدخل منها إلى الوعي نسبة قليلة جدا تقل عن ١٠٪ ويذهب القسم الباقي أي ٩٠٪ إلى اللاوعي محدثا أثاره البطيئة عبر عمليات التأثير وفتح قنوات وآليات الاتصال والتفاعل بين اللاوعي والوعي في أروقة وعوالم العقل الباطن.



الفيتنامي، الى جانب القوة الجسدية والخبرة العسكرية الفائقة التي يتمتع بها الجندي الأمريكي ، وقد تجسدت هذه المعاني في شخص ´ رامبو ´ وهو يجابه – بمفرده مئات الجنود الفيتناميين ، ومقاومته للضباط الروس ، التي انتهت بغلبته عليهم .

هذا ويحاول كاتب سيناريو فيلم ´ رامبو ´ الدخول في قضية صراع الشرق والغرب ، فالشرق هنا يمثله الفيتناميون الذين يؤمنون بالغيبيات والخرافات ، والغرب تمثله أمريكا التي لا تؤمن بالغيبيات أبداً ، وإنما تؤمن بالقوة المادية التي تحقق لها الحياة السعيدة والآمنة ، فالفتاة الفيتنامية كان في عنقها طوقاً يحمل خرزة زرقاء تعتقد بانها تجلب لها الحظ الحسن أي تؤمن بالغيبيات ولم ينفعها ذلك حيق قتلت اخيرا، بينما يحمل ´ رامبو ´ خنجراً صلبا براقا كرمز للقوة المادية.

ويسعى الجزء الثالث من الفيلم للتقليل من دور المجاهدين الافغان في المعارك الطويلة التي خاضوها أما الجنود الروس وأعطوا السوفيت درساً لن ينسوه، فكان لابد لأمريكا – عندئذ – أن تعمل علي تحويل هذه النظرة التي سادت في العالم إلي القوة الأمريكية حيث تدور أحداث هذا الجزء حول قيام ´ رامبو ´ بعملية إنقاذ ضابط أمريكي متعاون مع المجاهدين الأفغان وقع في أسر الجنود الروس وخلال العملية يبدي ´ رامبو ´ قوته الهائلة في مجابهة الجنود الروس وينتصر عليهم .

ولم يقبل الأمريكان المساواة في القوة مع المجاهدين الأفغان ، فعملوا علي أن يقدموا نموذجاً مضخماً للجندي الأمريكي ´ رامبو ´ بحيث يتهاوي أمامه الأفغاني ، وعندئذ تتلاشى صورة المجاهد الافغاني من مخيلة المشاهد ، لذا كانت الأحداث كلها منصبة علي إبراز قوة ´ رامبو ´ دونما إشارة إلي قوة المجاهدين الأفغان ومن المدهش أن يقدم صناع هوليود هذا لجزء من سلسلة أفلام ´ رامبو ´ هدية إلي الشعب الأفغاني ، فتخرج اللوحة الأخيرة من الفيلم وقد كتب فيها هذه العبارة : ´ هذا الفيلم هدية من الحكومة الأمريكية إلي شعب ´ أفغانستان ´ مع أن هذا الفيلم لم يبرز شيئاً من مأساة الشعب الأفغاني ، ولم يظهر جهادهم أو نضالهم ضد الروس ، وإنما كان الفيلم استعراضاً لعضلات الجندي الأمريكي!

النموذج الثاني: فيلم ' طائرة الرئيس الأولي '.

شهد عقد التسعينيات سقوط الاتحاد السوفييتي ، وبروز أمريكا نحو الواجهة دون منافس لها ، وانتقل المجتمع الدولي إلى نظام عالمي جديد تقوده أمريكا .

وتأدية دور القيادة الأمريكية للعالم يحتاج إلى إقناع شعوب العالم بأحقية أمريكا بهذه القيادة ، لذا كانت السينما الأمريكية ترى أن من الضروري قيامها بدور فعال في توجيه الشعوب والتأثير عليهم لإخضاعهم للقيادة العالمية الجديدة ، فكان فيلم´ طائرة الرئيس الأولي ´ الأخطر في هذا التوجيه والتأثير، وهو من الأفلام القليلة التي تناولت – بقوة – الهيمنة الأمريكية الجديدة علي العالم ، بكل مفردات الهيمنة كالقوة والغطرسة والسيطرة الكاملة على منافذ القارات الاستراتيجية والتكنولوجيا المتقدمة وأخذ دور القيادي الذي يصدر الأوامر.

الفيلم الذي تدور أحداثه حول قيام أمريكا وروسيا بخطف أحد رؤساء الدول التي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي بعد رفض هذا الرئيس الرضوخ لهما وتهديده لهما بالصواريخ النووية التي يمتلكها منذ زمن الاتحاد السوفييتي قبل تفككه ، ويتم الخطف بكوماندوز أمريكي يهبط من طائرة هيلوكبتر على قصر الرئيس ثم يوضع



الرئيس المخطوف في أحد السجون الروسية .
ويحتفل الرئيسان الأمريكي والروسي في موسكو بهذا الإنجاز الكبير وخلال عودة الرئيس الأمريكي يصعد معه إلي الطائرة الرئاسية مجموعة من الصحفيين المزيفين، وهم كوماندوز تابع للرئيس المخطوف ، يريدون القيام بعملية خطف مضادة للرئيس الأمريكي لإجبار روسيا علي إطلاق سراح الرئيس المسجون ، وحينما تحلق الطائرة في السماء يقوم هؤلاء الصحفيون باختطاف الطائرة الرئاسية ، ويحاولون الوصول إلي غرفة الرئيس الأمريكي ولكن حرس الرئيس ينجحون في تهريبه ، وذلك بوضعه في صندوق خاص لإسقاطه من الطائرة عن طريق المظلة ، ولكن الرئيس الأمريكي كان قد خرج من الصندوق دون علم الحرس بذلك ، ودخل في مخزن الطائرة الخاص بالحقائب، فيكتفي الخاطفون بحجز زوجة الرئيس الأمريكي وابنته، وبعد ذلك تتم المفاوضات بين الخاطفين والإدارة الأمريكية في واشنطن ، وخلال هذه المفاوضات يخرج الرئيس الأمريكي من مخبئه ويحاول القضاء علي الخاطفين، ولكنه يفشل في مهمته ويقع في أيدي الخاطفين ، فيطلبون منه التحدث مع الرئيس الروسي لإطلاق سراح الرئيس المسجون ، وخلال عملية إطلاق سراح الرئيس يقوم الرئيس الأمريكي بحركات بهلوانية في محاولة للتخلص من الخاطفين وينجح في ذلك ويقضي عليهم ويتصل بالرئيس الروسي ويطلب منه استرجاع الرئيس المسجون الذي كاد أن يصعد إلي الطائرة للعودة إلي بلاده ، وعندها يطلق حرس السجن النار عليه ويردونه قتيلاً ..
وبذلك تفشل عملية اختطاف الرئيس الأمريكي ، وفي الوقت نفسه يقتل الرئيس الذي خطف في البداية وينتهي الفيلم .
من عنوان الفيلم تبرز معالم الهيمنة الأمريكية علي العالم ، فالطائرة الأولي– وهي الطائرة الرئاسية الخاصة بالرئيس الأمريكي – تعني أنها الطائرة الأولي في العالم، ولا مجال لأي طائرة أخري للتنافس معها ، ليس لأنها طائرة الرئيس الأمريكي فحسب ، وإنما أيضا للتكنولوجيا المذهلة التي تتصف بها هذه الطائرة ، ففيها – مثلاً – أسلحة تكفي لغزو دولة ´ بنما ´ وهي تستطيع تفادي الصواريخ المضادة.

هوليود في خدمة الاستخبارات الأمريكية [1]

تعتبر صناعة السينما الأمريكية من أفضل الوسائل لترويج السياسة الأمريكية وكسب قلوب المواطنين، كما تستغل وكالة المخابرات الأمريكية المركزية CIAهذا المجال للدعاية لنشاطاتها التجسسية في الخارج، ولم يعد الأمر خافيا على أحد.
وظهر التعاون بين المؤسستين العسكرية والسينمائية منذ عام ١٩٩٦عندما أعلنت CIA أنها أنشأت مكتبا للتنسيق بين الوكالة وعالم الترفيه، وتقديم خبرة المستشارين من عملاء الوكالة لصناع السينما.
وقد أكدت (تريشيا جنكيز) مؤلفة كتاب "دور CIA في هوليود"، أن تدخّل الوكالة في صناعة الأفلام وصل لذروته خلال الحرب الباردة، حيث كان الهدف صياغة السياسة الخارجية الأمريكية بشكل يستطيع كسب القلوب والعقول في الخارج، من
خلال مركز أبحاث لمكافحة الأيديولوجية الشيوعية تابع لـ CIA، مهمته التفاوض من اجل شراء حقوق نصوص الروايات وتحويلها إلى أفلام للترويج للسياسة الأمريكية، وتعزيز صورة الحياة الأمريكية في العالم.

(١) موقع DW الالمانية نقلا عن مجلة القدس العربي.



وقد ركزت الأفلام على مدى "أخلاقية المنظمة السرية" التي نادرًا ما تخطأ، وتقديم المبررات لجميع عملياتها السرية غير الأخلاقية، في إطار صورة عامة كبيرة بأنه "لا أمن للولايات المتحدة من دون عمل جواسيس الوكالة".

خلال تلك الفترة أنتجت هوليود تحت رعاية CIA مجموعة من المسلسلات مثل: "اليس و٢٤ ساعة"، التي أعطت انطباعا بان عملاء الوكالة هم كائنات خارقة وغير عادية، وتوّجتها بفيلم "آرغو"الذي جاء وفقا للعديد من المحللين دعاية لا يمكن إنكارها لتجنيد عملاء جدد للوكالة.

وكشف (لويجي لوراسشي) رئيس إدارة الرقابة الأجنبية والمحلية على الأفلام الأمريكية في الخمسينيات، أنه كان يعمل أيضا لصالح الوكالة، وكان يرسل تقاريره عن الرقابة على الأفلام لتعزيز صورة الولايات المتحدة في الخارج أثناء الحرب الباردة.

ويقول (تيد جب) مؤلف كتاب "الحياة والموت السري في CIA "، إنه على مدار عقود الحرب الباردة لم تهتم CIA بتقديم ما يحسن صورتها في أفلام هوليود، بقدر ما كانت تهتم بتقديم صورة مثالية عن الحياة الأمريكية، ولكن مع نهاية الحرب الباردة أدركت أنها بحاجة إلى إصلاح شامل لصورتها دوليا، وأن التأييد الشعبي لميزانيتها أصبح يواجه خطرا كبيرا، ولذا فإنها بادرت إلى إنشاء مكتب التنسيق بينها وبين هوليود عام ١٩٩٦. لا شك أن صناعة السينما الأمريكية الضخمة تعتبر إحدى أقوى مؤسسات الإمبراطورية، والبوق الأكثر تأثيرا لنشر سياسات العم سام وثقافته وتقاليده التي ملأت العالم بالثقافة الاستهلاكية، ونشر المخاوف حول نهاية العالم، أو تصوير شعب ما بوصفه العدو الأول للمجتمع الأمريكي. وفي أفلام هوليود التي تترشح أو تنال أرفع جوائز السينما العالمية، غالباً ما يلاحظ فيها في الحرب على الإرهاب، قدرةCIA على قيادة المعارك النوعية لحماية أذرعها الأمنية الضاربة التي تصل إلى مكان يختبئ فيه من تسول له نفسه محاولة زعزعة أمن الأمريكي. ومن النماذج فيلم "زيرو دارك ثيرتي" فيلم ZERO DARK THIRTY الذي يؤرخ لجهود الاستخبارات الأمريكية عبر كافة أرجاء المعمورة لاعتقال أو قتل زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن. وفيلم "أرغو" الذي يدور حول محاولة قيام الاستخبارات الأمريكية بتهريب بعض أعضاء البعثة الدبلوماسية من سفارة الولايات المتحدة في طهران عقب اندلاع الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩، واقتحام الثوار لمقر السفارة واحتجاز رهائن بها لأكثر من عام. وفيلم "خزانة الألم" الذي يدور حول معاناة الجنود الأمريكيين في العراق من الهجمات الانتحارية التي تقوم بها الجماعات المتطرفة.

ويواصل صناع السينما الامريكية تشويه صورة العربي والمسلم، وكمثال تم تصوير فيلم (الاحتيال الأمريكي) الذي تدور أحداثه حول "فضيحة أبسكام"، وهي عملية خاصة نظمها مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI وقام بها عملاء سريون ينتحلون صفة شخصيات عربية بملابس تقليدية. وقد صور مكتب التحقيقات بالفيديو هؤلاء الأشخاص وهم يقدمون مظروفات تحتوي على مبالغ نقدية لأعضاء في مجلس الشيوخ ومسؤولين في الكونغرس للحصول على مساعدتهم في سلسلة من الأنشطة غير القانونية.

ما يعرض في هوليود هو سلاح من نوع آخر يهدف إلى تحقيق مفاهيم على شكل التنميط، وتشكيل صورة ذهنية واحدة تتلخص في العربي الإرهابي والمسلم القاتل، ما يجعل السينما المستوردة من هوليود غزوا ناعما للعقول قد لا ندرك خطورته، ولكن الجيل المقبل سيعيش

مرحلة من نكران الهوية، خاصة بعد تفتت البلاد العربية وتغلغل وسائل التواصل الحديثة. كل الشواهد الناتجة من هوليود تؤكد بلا شك وجود اتفاق على إظهار العربي والمسلم بصورة بشعة، قاتل، وضيع، جاهل، يسعى وراء الملذات.

والت ديزني قوة ناعمة تصنع العقول[1].

قدرته في التأثير على الصغار - بل وعلى الكبار- قد تفوق قدرة الوالدين! أما مهاراته في التعليم والتلقين فلن تجدها في أبرع المعلمين. يصل إلى كل أطفال العالم من حواضر أوربا وأمريكا مرورًا بالقرى والنجوع والوديان والبوادي العربية ..
غاب والت ديزني الرجل والشركة في آن واحد عن عالمنا قبل أربعة عقود، الا ان منتجاته من "ميكي ماوس" و"توم وجيري" و"لاين كنج" و"ديمبو" مازالت تأسر عقول صغارنا. ومازال فريق العمل في شركة والت ديزني المكون من ١٠٠ألف عامل يبيعون للعالم ما قيمته ١٢ مليار دولار من الأفلام والمسلسلات والألعاب، ولم يعودوا يخفون أهدافهم في صياغة عقول الناشئة حول العالم وفق النموذج الأمريكي، فأمريكا المكروهة عالميا في أمس الحاجة إلى "القوة الناعمة" التي تمثلها منتجات ديزني التي بدأت معادية لليهود ثم سقطت في أيديهم بعد صراع مرير مع مؤسسها. ومنذ ذلك الحين راحت ترمي العرب والمسلمين بكل نقيصة وتنفر العالم منهم.
وصف ديزني بأنه "المعلم الأعظم في هذا القرن" فما نوع التعليم الذي قدمه؟
سؤال أجاب عنه باحثان من أمريكا اللاتينية قبل أكثر من ربع قرن هما آريل دروفمان وأرماند ماتيلارت، بعد أن قاما بتحليل الكتب الهزلية لشركة ديزني فاكتشفا أن العنصرية والتحيز والجشع والعجرفة تخللت الهزليات التي تقدمها ديزني وتوزعها في جميع أنحاء العالم.
لم تبدأ ديزني يهودية الهوية والتوجه – كما هي اليوم – بل إن مؤسسها كان يدرك خطورة اليهود على الحياة الأمريكية وخاض معهم صراعًا انتهى إلى وقوع الشركة في أيديهم بعد وفاته.
عندما أنتج الشاب والت ديزني فيلم الرسوم المتحركة "الخنازير الثلاثة" أقام اليهود المسيطرون على هوليود الدنيا وشنوا حملة شعواء على ديزني لأن الفيلم حوى مشهدًا يتنكر فيه الذئب الشرير في هيئة بائع يهودي لكي يخدع الخنازير الصغيرة الطيبة ويقنعها بأن تسمح له بالدخول إلى بيتها. وبالرغم من استجابة ديزني لتلك الضغوط وحذفه لذلك المشهد، إلا أن اليهود أرادوا تأديبه فتآمروا مع جوزف روزنبرج المستشار المالي لـ"بنك أمريكا" لإغراء ديزني بالحصول على قروض ضخمة من ذلك البنك، وضيقوا عليه في توزيع إنتاجه، إذ كانوا يتحكمون في سوق الأفلام الأمريكي، فعجز ديزني عن سداد ديونه وأفلس.
مات ديزني عام ١٩٦٦م ووقعت الخلافات بين

> **• في إحصائية علمية : إن الجمهور يتعرض لوسائل الإعلام بمعدل ٣-٤ ساعات يوميا، أي ما يوازي ١٠٠٠ ساعة سنويا، مقابل ٨٠٠ ساعة يقضيها التلاميذ والطلاب في المدارس أو الجامعات، وهناك إحصائيات تقول أن المتلقي العربي يتعرض لـ٦ ساعات يومياً و١٥٠٠ ساعة سنوياً من مختلف أنواع الوسائل الإعلامية.**

(١) عبد الستار أبو حسين – موقع اسلام ويب ٢٠٠٥/٩/٢٥.



أفراد عائلته حول السيطرة على "عالم ديزني" وبدأ تسلل النفوذ اليهودي إلى شركة ديزني نفسها، وبعد ٢٠عامًا وقعت استوديوهات ديزني السينمائية تحت هيمنة اليهود، ومع بداية التسعينيات انضم "عالم ديزني" في كاليفورنيا إلى امبراطورية هوليود اليهودية. وهكذا تحولت ديزني إلى واحدة من أدوات النفوذ اليهودي.

تقف ديزني على رأس ما أسماه جوزيف ناي القوة الناعمة ويقصد بها قوة النموذج الأمريكي في الحياة الثقافية والاجتماعية والذي يعتمد على القيم والأسلوب الأمريكي في الحياة، ويتسلل إلى ثقافات الشعوب الأخرى وأخلاقها ورؤيتها للحياة، وهنا يأتي دور هوليود وديزني، وسي إن إن وغيرها من وسائل القوة الناعمة.

ناي لم يخالف الحقيقية فقدرة الفأر توم أو الفيل ديمبو، أو الأرنب أوزوالد على الترويج لأمريكا وإقناع الأجيال القادمة برسالتها السامية تفوق قدرة أي طائرة أو بارجة في إخضاع الشعوب لرغبات أمريكا.

واخيرا فان شركة ديزني انتجت كَمًّا من الأفلام والمسلسلات لم تبق للعرب فضيلة، وألصقت بهم كل الرذائل الكفيلة بتنفير الناس منهم وتحريضهم عليهم، فالعربي في أفلام ديزني إنسان متخلف وفظ، بلا أخلاق مهووس بالجنس، لا يشغله في الدنيا سوى الركض وراء النساء وجمع المال بوسائل غير شريفة، أما المسلم فهو شرير وجبان وإرهابي يحلم بتدمير العالم وإبادة الجنس الأبيض.

هذه الصفات المنفرة والقبيحة توزعت على أفلام ومسلسلات عدة منها: "كاظم"، "وعلاء الدين" ، و"في الجيش الآن" و"عودة جعفر"، و"والدة العريس"، و"عملية الكوندور".

وفي مقابل تشويه العربي والمسلم فإن ديزني تعلي من شأن اليهودي وكثيرًا ما تسمي أبطال أفلامها "ديفيد" وتظهر اليهود على أنهم رواد الصناعة والاختراع بل والزراعة .

ومنذ أن تولى اليهودي مايكل أرينز رئاسة ديزني عام ١٩٨٤م واستقدم معه فريقًا من المساعدين اليهود أصبح هذا التوجه أكثر فجاجة، وزادت جرعة العنف والخداع في الأفلام التي تقدم للأطفال، مثلما في فيلم "الأميرة والوحش" كما زادت جرعة العري والجنس عبر استعراضات الفتيات شبه العاريات.

الآثار السلبية لأفلام الكرتون على أطفالنا[1].

لقد أثّرت أفلام الكرتون سلبياً في الأخلاق، والهوية، والعقيدة والفطرة وذلك لامرين الأول: إن هذه الأفلام قد صُنعت لغيْر بلادنا، وفي غير بيئتنا، ولثقافةٍ غير ثقافتنا، وفي مجتمعات تختلف عن مجتمعاتنا.وأفلام الكرتون تُحاكي ثقافة أصحابها، فهي لحاجات الطفل الغربي والثقافة الغربية..

ولا يخفى أن بيننا وبينهم خلافاً ثقافياً، ولاسيما في كون الوحي أحد مصادر المعرفة في ثقافتنا الإسلامية، بينما لا نجد للغيب مكانة في بنائهم المعرفي، وقد اكتفوا بالتجربة والحس مصدراً وحيداً للمعرفة. فابتكروا العَلمنة في بلادهم وأعلنوها مرجعية ثقافية لأجيالهم.

وأما مجتمعاتنا الإسلامية فلم تظهر عليها الحاجة إلى العَلمانية، مع أن بنياننا الثقافي قد تغرّب بسبب بعد أكثر المجتمعات الإسلامية عن المفاهيم المعرفية الإسلامية، الأمر الذي

(١) د.عماد الدين الرشيد – أثر أفلام الكرتون في أطفالنا.



يستدعي حصول تصحيح فكري في عقل الأمة وبنائها المعرفي، ولا شك في أن العَلمانية ليست هي الحل.

والثاني: إن الكثير من المؤسسات التي اهتمت بدوبلاج الكرتون، وتعريبه، لم تُعرِّب الأخلاق ولا الافكار.. نشير باجمال الى هذا الدور السلبي :

١- دور أفلام الكرتون السلبي في الأخلاق:

أ- التعري: وهي منتشرة في الغرب إلى درجة أنها صارت عرفاً لديهم، هذه الحالة لاتجد لها أصولاً في منطقتنا، هذا العرف الغربي انعكس في أفلام الكرتون بصورة واضحة، كما في المسلسل المشهور (ساسوكي) و(فلنستون) الحجريون و(موكا موكا) ومن الجدير بالذكر أن خطاً من خطوط إنتاج الأفلام الجنسية الإباحية أصبح يعتمد على أسلوب الرسوم الكرتونية، وله شركات متخصصة ترعاه.!

ب- علاقات الصداقة: وأعني بها ما يسمى علاقات الحب(friendboy)، وهذا النوع من العلاقات بين المراهقين والمراهقات قد انتقل إلى كثير من المجتمعات العربية والإسلامية، وربما صار ظاهرة اجتماعية في بعض شرائح المجتمع، ولو تحت أسماء أخرى.والتربويون في المدارس يحسون بآثار ذلك السلبية على الطلبة والطالبات، ولاسيما في المدارس المختلطة.. وهذا لاشك من آثار الغزو الأخلاقي.

ومن الأعمال الكرتونية التي تظهر فيها علاقات الحب جزءاً أساسياً من تركيبها الدرامي: كرات التنين " دراغون بول "

و"كونان" المحقق الشهير أيضاً يقوم على علاقة غرامية تشكل قصة رديفة لقصص التحقيق المشوقة، و"البوكيمون" وتعني وحش الجيب، و(ديجيمون) الذي يعني وحوش الديجيتال، وشركات الدوبلاج عربته وسمّته أبطال الديجيتال.. لقد أثار هذا العمل منافسة تجارية بين شركة (سوني بلاي ستيشن) الشركة التي صنعته ونجحت اقتصادياً، وشركة أخرى يملكها رجل أعمال يهودي تضررت بهذا العمل هي (والت ديزني).

إن قصة مسلسل البوكيمون نبعت من حاجة لدى صانعيه، فالجميع يعلم أن اليابان خرجت مهزومة بعد الحرب العالمية الثانية، ومُنعت من العناية بالجيش والجوانب العسكرية، ومع تقدم الزمن خشي اليابانيون أن تموت الروح العسكرية عندهم؛ لأنها إذا ماتت فالمفاهيم الوطنية تموت معها، فابتكروا البوكيمون.. وهو يقوم على أساس استثمار اليَرقات في الطبيعة، وتحويلها إلى أسلحة، وكأنهم يقولون: إذا منعتنا أمريكا من الأسلحة فنستطيع بقدراتنا العلمية واهتمامنا بالهندسة الوراثية أن نصنع أسلحة من اليَرقات الموجودة في الطبيعة.. هذه فكرة تخدم عملية التربية الوطنية في اليابان.

وأما ما يتعلق بالفساد الأخلاقي في هذا العمل فهو لكثرة ما فيه من العلاقات الغرامية، وذلك لمعالجة مشكلة اجتماعية في اليابان وهي شدة حياء الذكور، قياساً على الإناث.! فالإناث هن اللاتي يشجعن الذكور على هذه العلاقات من أجل أن يتنشط الشباب ويكونوا أكثر تجاوباً مع الإناث. إذاً هم يحلون مشكلاتهم حسب ما يرون، ولم يدخلونا في حسابهم أصلاً.

إن المشكلة فيمن يعرضه على حاله كما جاء من بلد المنشأ، فهذا العمل ونحوه لم يُوجِّهْه صانعوه لنا، ولكننا بسبب إفراطنا في الإيمان بنظرية المؤامرة نتصور أن العالم متوجه إلينا يريد أن يغزونا في الأخلاق. إننا في حاجة إلى أن نوجد حلاً لمشكلة إعلام الطفل، وعلى رأس ذلك إيجاد الكرتون المحلي البديل.



٢- دور أفلام الكرتون السلبي في الهوية:

نقصد بالهوية السمة العامة للأمة وهي الاسلام فللمسلم ديناً وثقافةً، ولغيْر المسلم حضارةً وثقافة.. ومن أهم آثار أفلام الكرتون على الهوية:

أ- التمرد على القيم: وهو جزء من الثقافة الغربية، فكل جيل ينبغي أن يتمرد على قيم الأجيال السابقة؛ حتى تتصارع البشرية وتسير في الاتجاه الصحيح، حسب ما يتصورون، وهكذا يرون الحياة.

وقد انعكست هذه الفلسفة على صناعة الكرتون، فتجد في كل أفلام الكرتون تقريباً إشارة إلى التمرد على القيم السائدة؛ لأن الفضيلة الأولى في الغرب هي الحرية، وفي بلادنا العدل، فبناء على ذلك لابد عندهم من التمرد على القيم؛ لأن الحرية تقتضي أن يتخلص الناس من كل قيد، ولو كان قيم الأمة ..! وهذا الأمر لا يناسب بيئتنا، انهم ينطلقون من الذاتية؛ أي: (أنا أولاً، وبعد تحقيق ذاتي أسأل عن الناس..)

ومن الأعمال التي ظهر فيها التمرد على قيم الأمة ما يأتي:

١.القناع (musk)فهذا العمل انتشر بين الأطفال وشاع، وهو يسيء إلى القيم، ففيه أشياء محرجة، مثلاً يصدر البطل أصواتاً منكرة، ويشمم الناس رائحة جواربه، ويقوم بأفعال فيها نوع من الحرج اجتماعياً، كإخراج الريح.

٢.ريمي فيه أيضاً تحطيم للقيم، فريمي الذي يبحث عن أمه عندما يلتقي بها يتركها، ويبحث عن شيء جديد.. فأين قيمة الأسرة؟وما الذي يبحث عنه إذاً..؟؟

ب- ترسيخ حق اليهود: في نيسان١٩٩٦صدرت مقالة في أمريكا بمناسبة مرور ٥٠ سنة على تشكيل (توم وجيري)، وهما شخصيتان أنتجتهما شركة (تيرنر) اليهودية. وقال كاتب المقالة اليهودي: صَنَعْنا توم وجيري؛ لأننا كنا نريد أن نُكرس حق اليهود في فلسطين. ..فكل الناس يُفضلون صاحب البيت، ولا يفضلون الوافد، وهم أرادوا المشاهد باللاوعي أن يتقبل الوافد ويقدمه على صاحب البيت، وما الذي يربيه الناس في بيوتهم، القط أم الفأر..؟ طبعاً القط، لكن أرادوا أن يقدموا الفأر بصورة أفضل؛ ماكر، ذكي، شيطان، عفريت، يصنع المقالِب بصاحب الأرض، الذي هو القط، وحتى أصبح أصحاب البيت يطردون القط.!

ج- البحث عن الأرض بصيغة الأم:

وهي من العقائد اليهودية التي تبث في أفلام الكرتون، ففي كتبهم الدينية: "إن أمّكم الأرض.. " يعنون بذلك الأرض المقدسة ، لذلك كان الذي يبحث عنه ريمي الولد ليس الأم، بل الأرض، و(بمبم) يبحث عن أمه، (زينة ونحول) يبحث البطل عن أمه، (بيل وسباستيان) يبحث عن أمه..وعندما يلتقي معظم هؤلاء بأمهم الجسدية يتركونها.. إذاً مَن هي الأم..؟؟ إنها الأرض.!!

إنها تربية متأصلة عاشت عليها أجيال وأجيال، وطغت حتى وصلت إلى أن تكون صبغة للفكر والثقافة الغربية، وانعكست دعماً بلا حدود للدولة الغاصبة في فلسطين المحتلة، فليس الأمر كما نتصوره ببساطة، لا.. إنه عمق تربوي، قد ضرب جذوره في أصل العقل الغربي.

٣-دور أفلام الكرتون السلبي في العقيدة:

ان معظم الشركات المتخصصة في الكرتون شركات يملكها يهود مثل: (والت ديزني) (ورنر برذر) (تيرنر برذر)..إن دور اللوبي اليهودي في صناعة الكرتون والإعلام بالجملة

لم يعد خافياً، كما أن النسبة الكبرى من صناعة الإعلام هي في الغرب، وهذا ما يفسر ظهور أثر العهد القديم في أفلام الكرتون، كالإله (يهوا) مثلاً، الذي ورد ذكره كثيراً في التوراة.. وهو رب اليهود كما يزعمون، وهو عبارة عن شاب أمرد وسيم، جميل، خارق القدرات، وهو ما يعبّر عنه بـ(سوبر مان)، فهذه الشخصية تمثل هذا التصور العقدي عند اليهود.!

ومن أهم آثار أفلام الكرتون على العقيدة:

أ- تعدد الآلهة، وقد ظهر في بعض الأعمال الكرتونية مثل:(بوكاهانتس)و(هيفي كروكت). وخطورة هذا النوع من الأفلام والمسلسلات أنها تغرس في نفس الأطفال والناشئة أن هناك من يتصرف في الكون من الأبطال، والملوك والعباقرة غير الله عز وجل، فضلاً عن العبث بفطرتهم الإيمانية.

ب- تشويه القَدر: إن عقيدة الإيمان بالقَدر من أصول الدين وبعض مسلسلات الكرتون كمسلسل (ريمي) تشوّه ذلك، من خلال بيان أن القدر ضد الضعفاء من البشر. وهذا العبث في مفهوم القدر ينعكس على أصل الإيمان بالله؛ لأن الطفل سيشكك في عدله، وصواب أحكامه على عباده سبحانه وتعالى!

٤- دور أفلام الكرتون السلبي على الفطرة:

فالفطرة عنصر جمعي للبشر كافة؛ فربنا جمَعَنا بالفطرة، فبين البشر قاسم مشترك: كلنا نحب الخير، نحب الفضائل، نكرم الإنسان الصالح، لا نحب الإنسان السيئ، نحب الله ، فما من أحد بينه وبين الله خصومة في الأصل، إلا أن أفلام الكرتون تعبث بالفطرة، الأمر الذي يهدد المخلوق البشري في صحته النفسية، ويوقعه في صراعات مع نفسه وغيره، بدءاً من قوى الطبيعة التي خلقت له ومن أجل خدمته.

وقد تجلى هذا الدور السلبي في الأمور الآتية:

أ- العنف: وهو يُضعف مكامن الحس الجمالي لدى الإنسان، وينمي فيه غرائز العدوان، وتعد الولايات المتحدة أكبر مسوّق للعنف في أعمالها الفنية؛ سواءً الكرتونية أو الحقيقية، والسبب في ذلك أن ساستها يريدون أن يشكلوا قوة عسكرية، ومن هنا أخذت أمريكا تُوجّه أبناءها نحو العنف بشدة؛ لأنها تريد منهم أن يروا كيف يسيل الدم ولا يتأثرون؛ لأنها تطمح أن تكون أمة عسكرية، وقد علمتها (فيتنام) أنه ينبغي أن يُربّى الشعب تربية يحتمل هذا العنف الشديد، فاصطبغ ذلك في معظم أفلامهم، والمتابع للدراما الأمريكية يجدها دراما عنف. وتبعتها الأفلام اليابانية، من أجل ألا تموت الروح المعنوية لديهم، وهذا من آثار الحرب العالمية الثانية.

• المشاهدة التلفزيونية أو الاستماع والسماع الإذاعي أو التصفح الالكتروني الانترنتي يؤدي إلى حدوث آثار ومضاعفات هائلة في صوغ وتشكيل وتشويش أذهان الناس وتوجيه ميولها النفسية والجمالية والاستهلاكية، والأخطر من كل هذا برمجة وعيها الثقافي والديني والسياسي وخاصة الشرائح الرخوة الأكثر عرضة للتأثر - الأطفال والمراهقين والشباب...

ومن الأعمال التي قامت على العنف ما يأتي: (أبطال الديجيتال) و(القناص) و(النمر المقنع) و(ميغا مان) و(باتمان) و(إكس مان) وهو أمر خطير جداً على الأطفال، ولاسيما إذا قُدم



لهم على أنه سلوك الكبار، فالطفل مولع بمحاكاة الكبار في سلوكهم، ويؤسف أن يسقط عام١٩٩٣في الولايات المتحدة ٧٠٠٠ طفل يقتلهم أصدقاؤهم بعيارات نارية؛ أي: بمعدل ٢٠طفل يومياً، طفل بالمرحلة الابتدائية سرق مسدس أبيه، وجاء إلى المدرسة، وقتل أحد زملائه.!

ب- العبث الفطري، أي تشويه الفطرة السليمة التي خلق الله الإنسان عليها ، فمثلاً لنتصور الطفل الذي يركب الأرجوحة ويلهو بسعادة، ثم يتفاجأ بأن الأرجوحة تتحول إلى مخلوق يضمه ويخنقه، لنتصور الأثر السلبي على توازنه النفسي..لا شك في أن هذا الولد لن يتعرض في الليل للكوابيس فحسب، بل سيصاب بالتبول الليلي اللاإرادي.. وسيصاب بانفصام في الشخصية.. وربما سيصاب بالهلوسة.. وكل ذلك بسبب هذه الأفلام.

إذاً عندما يتم العبث بالفطرة، لن يثق الطفلُ بالمقعد الذي يجلس عليه، والسرير الذي ينام فيه.. وستصبح الشجرة الجميلة مصدر رعب له.. وكذلك ستصبح الأرجوحة التي هي محل تسليته وترفيهه.. وعندمت تتحول اليَرقات الصغيرة إلى كائنات مخاطية هلامية تريد أن تقضي على البشر جميعاً، سيكره الطفل الفراشات واليعاسيب و...إن الفطرة قريبة من أن تقرنَ الجمال بالخيْر والقبح بالشر، فتأتي أفلام الكَرتون السيئة فتجعل الأبطال الإيجابيين بصورة بشعة، والأبطال السلبيين بصورة جميلة جداً..

والطفل يحب الصورة الجميلة ويكره الشر، وهذا البطل الشرير السلبي في صورة جميلة جداً، فهل سيحب الشر من أجل جماله..؟ قد حصل ذلك.

ومن ذلك (إكس مِن) وظهر الأبطال الخيرون فيه بصورة قبيحة بشعة جداً، ولهم مظاهر مرعبة جداً، ولهم عين واحدة.. وظهر الشرير بصورة امرأة جميلة ومثيرة جداً..وفيلم (داي الشجاع) و (سبايدر مان) فيه شيء من ذلك، وفي (البوكيمون) ظهر الشريرون بصورة فتاة جميلة، شعرها مصبوغ بلون أحمر، وتصعد إلى السماء، وهذه فكرة سيئة؛ لأن السماء مكان للخيْر، فكيف يصعد الشر إلى السماء؛ فهو ينبغي أن يكون في باطن الأرض.. هذا هو القريب في النفس، فهذا لا شك عبث..

●● ٤- وسائل الاعلام وشبكة التواصل الاجتماعي.

الإعلام، قوة الضغط الناعمة[١]

تنبثق قوة الإعلام من تأثيره على بلورة (الفكر) الذي هو المُحرِّك لكل سلوكياتنا وتصرفاتنا؛ فبإمكان الآلة الإعلامية من تشكيل التصورات وتعديل القَناعات، بصرف النظر عن كونه تغييراً إيجابياً أو سلبياً، مقبولاً أو مرفوضاً، نافعاً أو ضاراً.

ويُعتبر التأثير المعرفي للإعلام أعمق أثراً من التأثير السلوكي؛ لأن التأثير المعرفي بعيد الجذور، يشمل الاعتقادات والآراء والهويات.. تلك التي تتأصل بدواخلنا وتتحكم بسلوكياتنا؛ بعكس التأثير السلوكي الذي يضمحل تدريجياً باضمحلال المؤثر.

والتأثير الإعلامي خفيّ في مضمونه، قوي في مُحصلته؛ الأمر الذي يصفه الخبراء بـ (قوة الضغط الناعمة) التي ترجع سطوتها من قدرة الإعلام على الاستمالة، والإقناع، والتنوع، والتكرار، والجاذبية، والإبهار، والانفتاح، وإشباع حاجات المُتَلقِّي، وقدرته على التغلغل في حياتنا، ومواكبته للأحداث التي تمر بنا، ومؤخراً قابليته لتفاعل المُتَلقي سواء على المواقع الإلكترونية أو الاتصالات الهاتفية المباشرة مع مقدمي البرامج الفضائية.

(١) خالد سعد النجار- موقع طريق الاسلام.



يقول د. سعيد صيني: "وقد وجدت دراسة تحليلية غربية؛ أن وسائل الإعلام تدفع الجمهور إلى تبني رأي معين من خلال إيهام المُتلقي بأن موقفها يمثل الرأي العام، فتصفه مثلاً بأنه يمثل (الموقف الوطني) أو (الإحساس العام) أو أن (معظم الناس يؤيدون)، أو من خلال اللجوء إلى التقاليد الاجتماعية، والادّعاء بأن الآراء الأخرى تخالف تقاليد المجتمع، وأنها آراء شاذة، أو عبر تقديم تفسيرات قانونية اجتهادية لتصبح أعمال أصحاب الآراء الأخرى وأنشطتهم خروجاً عن القانون، وإن كانت هذه التفسيرات غير مُسَلَّمة وقابلة للنقاش".

ويقول د. محمد الشواف: "ولقد أدركت الأمم المتقدمة سحر الإعــلام وسلطته الضاغطة المؤثرة، فأنفقت الملايين لتحقيق سياساتها من خلاله، وإقناع الجماهير بشرعية خططها وبرامجها من خلال عملية غسيل الدماغ الجماعية، وصارت وسائل الإعلام تقوم بجزء من عمل الجيوش، وأصبحت الحروب الإعلامية تكلف أحياناً أكثر من الحروب التقليدية. ورغم أن الصحافة تُسَمَّى السلطة الرابعة؛ إلا أنها باتت تنافس السلطات الثلاثة، بل يتم من خلالها التلاعب بتلك السلطات، وابتزازها أو الانقلاب عليها أحياناً؛ لأن أجهزة الاستخبارات في كثير من البلدان صارت هي من يؤسس الصحافة ويوجهها، لتحقق أغراضها من خلالها".

هناك أزمـات تواجه الإعـلام المعاصر اهمها (المصداقية) وتكمن خطورتها في اضطرار المتلقي إلى اللجوء إلى قنوات إعلامية خارجية بحثاً عن الحقيقة، وهذا يمثل بداية الانسلاخ الثقافي وفقد الثقة في ثقافته المحلية والقائمين على تسيير شؤونه، مع سهولة السقوط تحت تأثير أي إعلام معاد لعقيدته ولوطنه وتراثه الثقافي والحضاري.

ثم (الحيادية) حيث أصبح (الانحياز) السمة الغالبة، وأصبح نقل وتناول الخبر يعتمد على توجه وميول الوسيلة الإعلامية، وبعيداً عن الواقع والتوصيف الحقيقي... فجولة واحدة لتتبع حدث معين في بضعة وسائل إعلامية تجد العجب العجاب؛ حيث يظهر المجرم هنا بطلاً في قناة أخرى، والخاسر رابحاً، والأمر العادي عظيماً، والشيء العظيم تافهاً، وهذه تصف الهَبَّة الشعبية بأنها ثورة، وتلك تقول عنها أنه تمرد، وهنا يوصف استلام الجيش للسلطة على أنه بناء على رغبة الشعب، وهناك يوصف على أنه إنقلاب عسكري غاشم... كلٌ يوصف حسب الانتماء، ونوع التغطية، وموقف الوسيلة، والقائمين عليها من الحدث. والغريب في الأمر أن الجميع يدَّعي المهنية وإظهار الحقيقة، ويتحدث بحيادية وعدم انحياز، بل لقد تسربت آفة الانحياز إلى جمهور المُتلقّين، وصار تتبع أي قناة أو اختيار مطالعة صحيفة أو تفضيل موقع إلكتروني مبنياً على القناعات الشخصية، ومقياساً لتوجُّه الشخص الفكري والأيدلوجي والسياسي.

ومن أزمـات الإعـلام الراهنة (طغيان التربُّح على الرسالة)؛ وهذا الأمر تسبب في الجري وراء رغبات المُتلقي البسيط – بتسليط الأضواء على الغرائب وتأجيج الغرائز– لتحقيق أعلى نسبة مشاهدة ومشاركة، وبالتالي تدفق الإعلانات التي تمثل مواردها شريان الحياة بالنسبة للرافد الإعلامي. كل هذا أثَّر على المحتوى الإعلامي في ظاهرة يمكن أن يطلق عليها (الانفلات الإعلامي)؛ حيث أصبح الدور الدعائي لوسائل الإعلام أكبر من دورها التثقيفي والتنويري، مع عجزها عن الوفاء بالمعايير المهنية اللازمة، وإدارتها لمصالح نخبة ضيقة، وعدم خضوعها إلي أي نمط من أنماط التنظيم الذاتي للإعلام أو الرقابة على الأداء وضمان الجودة وغياب الرسالة الرصينة. وكانت المُحصِّلة: تسطيح المتلقين من خلال برامج سطحية تافهة، لا تهيّج



غرائز المتلقين فحسب؛ ولكن تمسح أدمغتهم، وتجعلهم عالة على مجتمعهم، وربما معاول لهدم بنيانه.

تاريخ تطور وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات .

– عام ١٤٣٨ اخترع غوتنبرغ مكبس الطباعة... وبدأ عصر الصحافة.

– عام ١٦٠٥ نشأت الدوريات الصحفية المتخصصة الأولى .

– عام ١٦٣١ اخترعت الصحف كوسائل جماهيرية وكانت صحيفة التايمز Times أول صحيفة.

– عام ١٦٦٠ نشأت الصحيفة اليومية الأولى في العالم وهي صحيفة المانية.

– عام ١٨٣٩ تم اختراع آلة التصوير الفوتغرافية التي حلت محل الرسم اليدوي.

– عام ١٨٩٥ ولدت آلة صناعة السينما مع الأخوة لوميير Lumiere .

– عام ١٨٧٦ تم اختراع التلغراف .

– عام ١٨٩٤ تم اختراع المذياع .

– عام ١٩١٧ استفادت الثورة الروسية من التلغراف لتذيع بياناتها عبره...

– عام ١٩٢٢ تأسست أول إذاعة في العالم واسمها " راديو لا " والراديو هو أول وسيلة اتصال في التاريخ تستطيع الوصول مباشرة إلى الجمهور الكبير...

– عام ١٩٢٣ تم اختراع كاميرا الفيديو .

– عام ١٩٢٣ تم اختراع التلفزيون أو نافذة العالم كما يسميه خبراء الإعلام وتطورت خطوطه إلى أن انتشر عام ١٩٤٨.

– عام ١٩٥١ تم اختراع الكومبيوتر (الحاسوب).

– عام ١٩٥٧ بدأ مشروع البحث المتقدم في وزارة الدفاع الأميركية بربط ٤ جامعات أميركية ببعضها بشبكة حواسيب لحاجات الجيش الأميركي،

– عام ١٩٦٨ أصبح التلفزيون بالألوان..

عام ١٩٨٠ بدأ الانترنت بالانتشار كوسيلة إعلام جماهيرية .

– عام ١٩٨٢ أرسلت أول رسالة بريد الكتروني Email على الشبكة.

– عام ١٩٨٩ تم ولادة شبكة الانترنت العالمية المسماة بلغة الكومبيوتر الويب Web التي تسمح بنقل الرسوم والنصوص والصور والبيانات عبر شاشة الكومبيوتر من خلال شبكات الهاتف ويستطيع أي مشترك موصول إلى الخادم الاستفادة منها، وتكون أما على الخط مباشرة أو عبر الأقراص الصلبة .

– عام ١٩٩٣ نشأت أول صحيفة الكترونية على شبكة الانترنت...

– عام ١٩٧٦ تم اختراع أول هاتف نقال.. وبلغ تطوره في الوقت الراهن إلى حد أن يزود بكاميرات تصوير بنقاء الكاميرات الرقمية ويمكنه التواصل مع شبكات الانترنت وإرسال واستقبال الرسائل النصية SMS والعديد من الخدمات المعلوماتية والإعلامية، وهو ما استفادت منه الحركات الشبابية الجديدة .

– عام ١٩٩٥ دخل موقع Classmate كاول شبكة اجتماعية انترنتية.

– عام ٢٠٠٢ انتشرت الشبكات الاجتماعية خاصة Face book .

– عام ٢٠٠٦ دخل موقع Twitter ومواقع استقبال وعرض الفيديو YouTube وحازت على الإقبال الجماهيري .

تقييم أهل الخبرة لوظائف وأدوار وسائل الاتصال والإعلام والمعلومات[1]

جمعنا مجموعة تقييمات وملاحظات أثبتها خبراء الإعلام والاتصال حول وظائف وسائل الاعلام وتأثيراتها على الجمهور ودور الدول والحكومات فيها، وراعينا فيها اخذ وجهتي النظر الفرنسية والأميركية لوجود الاختلاف بينهما (استقينا آراء المفكر الفرنسي "فرنسيس بال" والمفكر الأميركي "بروس بمبر"):

١ – إن وسائل الاتصال هي تقنيات تتخذ قيمتها في حقل استخدامها، فالتقنية محايدة ولا تفرض على الإنسان الاتصال الإعلامي ولا الأخذ بآرائها ومعلوماتها، هي وسائط تقترح والإنسان يحدد كيفية الاستفادة والتدبر، في حين يخالف هذا الاتجاه الخبراء الأميركيون الذين يعتبرون أن الوسيلة الإعلامية رسالة بذاتها لأنها تخلق أوضاعا وحاجات لمجرد اتصالها بالأنساق الفردية والاجتماعية.

٢ – أن وسائل الاتصال والأعلام تتعرض دائما للتغير والتشعب وغالبا ما تغير اتجاهها، وهي وسائل تفاجئنا على الدوام ذلك أن استخدامها نادرا ما يتطابق مع تصور مخترعيها، تماما كما حصل مع الشبكات الاجتماعية على الانترنت التي استعملت للتحريض السياسي في حين إنها نشأت لغايات اجتماعية وطلابية وشبابية

٣ – أن وسائل الاتصال هي وسائل خادمة وليست سيدة ولا قائدة والاختيار الشخصي للفرد أو للمجتمع هو الذي يجعل منها سيدة ويجعلنا عبيدا أمامها.

٤ – أن وسائل الاتصال والإعلام أصبحت صناعة وسوق وإنتاج، وهي تخضع لقوانين هذه الصناعة ولمعادلات السوق، وتنشد قبل أي شيء تحقيق الربح المادي لتمويل حركتها في تقديم الخدمات الإعلامية كسلع ترفيهية أو ثقافية أو سياسية، وبالتالي فهي مؤسسات تجهد لتلبية رغبات الممولين ومستهلكي خدماتها، وليس للقيم والمعايير والمبادئ إلا دور ثانوي.

٥ – على الرغم من أن وسائل الاتصال والإعلام هي أجهزة لترميم الفكر والتفكير، ولكن بعضها خطر لأنها تقدم فكرا وثقافة مشتتة ومتناثرة لا تصنع انساقا من الوعي والمعارف المتكاملة، وخاصة الثقافة التلفزيونية والشبكية الانترنتية، فهي ثقافة عولمية متشظية تشكل تحديا لكل الثقافات والهويات المحلية والإقليمية.

٦ – تتداخل البيئة الاجتماعية والشخصية لكل متلق مع درجة وكيفية تفاعله مع منتجات وسائل الإعلام والمعلومات، حتى أن شخصين يحملان أفكارا وقيمة متطابقة ويتعرضان للمعلومات ذاتها قد تتكون لديهما معارف مختلفة وقد يتصرفان بصورة مختلفة.

٧ – توصلت بعض الدراسات إلى أن وسائل الإعلام والاتصال

> **• تتحكم الولايات المتحدة بما يُقارب (٦٥٪) من المادة الإعلامية على المستوى العالمي، بفعل التطور النوعي والتشابك الحاصل في وسائل إعلامها، التي تتجاوز(٢٠٠) شركة إعلامية توزِّعُ على الصعيد الدولي ما لا يقل عن (٢٠٠،٠٠٠) ساعة سنوياً من المواد الإعلامية. بحيث أنّ "وكالة يونايتد برس "United Press الأخبارية وحدها تُمدُّ أكثر من (٢٠٠) محطة تلفازية في (٧٠) دولة بالتقارير والأخبار المصوَّرة.**

(١) الحرب الناعمة المفهوم– النشأة– وسبل المواجهة ص٢٠.



وخاصة الجيل الرابع (الفضائيات والهواتف النقالة والانـتـرنـت) قضت على مركزية المعلومات، وساهمت في تعزيز النزعات والاتجـاهــات الـفـرديـة وأدت إلى تقليص وأحيانا إلغاء دور الجغرافيا والحدود الإقليمية ومؤسسات القطاع العام، والأخطر تشتيت وتمزيق مجالات وانساق المفاهيم والمشاعر العامة.

٨ – وعلـى الـرغـم مـن كـل هـذه الـتـحـولات استنتجت الأبحاث أن وسائل الإعلام التقليدية التابعة للمؤسسات الحكومية والقوى والتيارات السياسية سيبقى لها اليد الطولى في الاستثمار والتوظيف الأمثل لوسائل ووسائط الإعلام بحكم تفرغها وخبرتها وتخصصها .

٩ – أدى التنوع الهائل في مصادر ووسائل الإعـلام والاتصال إلى توسيع الخيارات لدى الجمهور المستفيد (المشاهدين أو المستمعين أو المتصفحين للانترنت) لدرجة المزاجية والعبثية وخاصة بين الأفراد العوام والأميين وغير المتعلمين، فقد أصبحوا انتقائيين جدا في اختيارهم للقنوات والمواقع والصحف .

١٠ – ترضي الصحف التقليدية اهتمام الافراد ذوي الحنكة والمعرفة المسبقة، لأنها صحف ورقية تتيح تحكما اكبر من الناحية العملية وتسمح بقصد وتركيز اكبر، في حين لا تحوز الصحف على اهتمام الأفــراد الأقـل معرفة وحنكة .

١١ – تعد الدوافع والفئات العمرية للمستفيدين من وسائل الإعلام من أبرز العوامل المؤثرة في توجيه سلوكهم، وقد دلت الدراسات أن الشباب والمراهقين يفضلون الانترنت لأنه الأكثر تمردا وتحرراً على سلطة الأهل والمجتمع..

في حين يفضل الكبار وذوي الخبرة وسائل الإعـلام التقليدية كالصحف والتلفزيونات المعروفة والموثوقة لديهم .

١٢ – أثبت الباحث الخبير في شؤون المعلومات والإعــلام "انطوني دونز"أن الشخص الملتزم التزاما كليا بشخصية أو قضية أو موضوع معين ليس لديه الدافع والرغبة الكبيرة للحصول على المزيد من المعلومات، لان أي معلومات جديدة لن تغير من تفضيلاته وخياراته، في حين أن الشخص غير الملتزم قد يحجم عن الاستفادة والتأثر بهذه المعلومات نتيجة تشككه بهذه المعلومات بالنظر إلى حالة التضارب الحاصلة في السوق الإعـلامـي وعـدم توفر الوقت لديه لإجراء الأبحاث ومعالجة المعلومات فيلجأ إلى وسطاء المعلومات الأقرب إلى الوثاقة من وجهة نظره، وبالعموم القاعدة هي أن الجمهور الملتزم يبحث غالبا عن ما يرسخ معتقداته لأنه يتشكك بكل المصادر التي تخالف هذه المعتقدات .

١٣ – اختبر الأميركيون تأثير شبكات الانترنت الاجتماعية والشبابية عام ١٩٩٨ في اندونيسيا مـع ثـورة الشباب والجماهير لإطـاحـة نظام سوهارتو، ولاحظوا قدرتها على تأمين التعبئة والحشد، فقاموا بتوفير بوابات الخدمة على الشبكة servers خـارج سيطرة الحكومة الاندونيسية، وقد أدت شبكة الانترنت دورا في تأجيج الاحتجاجات وتحريك الرأي العام الذي احتل الساحات والشوارع وحاصر البرلمان ومقرات الحكومة.

١٤ – كما لاحظ الخبراء الأمريكان إمكانيات كبيرة لان تتحول وسائل الإعلام والاتصال إلى أدوات وأسلحة بيد حركات وتنظيمات مناهضة للغرب، كما لاحظوا استخدام تنظيم القاعدة وطـالـبـان لـهـذه الوسائل وجعلها في صلب نشاطها السري والإعلامي.

١٥ – يختلف تـأثـير وسـائل الإعــلام حسب سيطرة وتحكم الدولة بقطاع الاتصال والإعلام والمعلومات وطريقة أدارتـهـا لـه والضوابط القانونية والإجرائية التي تضعها، وتستطيع



عن طريق ضبط بوابات الانترنت الحد من تأثيره على شعبها .

١٦ – إن تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والجيل الرابع خاصة أدت إلى تحولات وتبدلات في العلاقات من النمط والمشهد القروي والريفي نحو المشهد الاجتماعي المدني والصناعي، وهذا ما أدى إلى انهيار وتفكك الروابط الأسرية، وبروز التوترات العرقية والاثنية والمذهبية والثقافية، وتشظي وتداعي التماسك التنظيمي للمؤسسات السياسية والجماعات التقليدية، وبالمقابل برزت الجماعات الشبكية الافتراضية غير الواقعية أو ما سمي بـ جيل الانترنت و facebook" ..

١٧ – تعتبر وسائل الأعلام الانترنتية الشبكية facebook وtwitter الأكثر استقطابا لمستخدمي الانترنت، وبحسب بعض الإحصاءات فأنها تحوز على نسبة ٦٦٪ من المتصفحين ، كما أنها أثبتت فعاليتها في الحشد والتعبئة بما يفوق وسائل الإعلام التقليدية خاصة في وقت الأزمات والطوارئ، فهي شبكات متمردة تستيقظ فجأة بزخم وقدرة حشد عالية وسريعة، وتستطيع تنظيم احتجاجات واضطرابات، ولكنها في نهاية المطاف شبكات ذات روابط سطحية ولا تصنع جماعات سياسية وفكرية منظمة ومتماسكة على المدى البعيد ..

١٨– وعلى ضوئه اعتبر الخبراء أن ليس بإمكان الدول العظمى أو غيرها عن طريق سيطرتها على الانترنت أن تحدث انقلابا أو ثورة في دولة معادية لها، لان التماسك التنظيمي وأنماط الاتصال الذي توفره شبكات الإعلام والانترنت والمعلومات التي تتسم باللامركزية والركاكة والسطحية والعاطفية لأنها منتجة عبر مسارات فردية ولا يمكن أن تعوض المزايا البديلة والجدية لنمط العلاقات التنظيمية والنفسية والإدارية الذي تقدمه النخب والقادة للجماهير.. ولكنها قد تساهم في تعبئة الجمهور نحو تحركات مطلبية قطاعية أو تحركات إصلاحية سياسية غير جذرية، أو حتى قد تصل لصناعة تمرد مدني، وقد تساهم في نقل صورة حية عن حركة الاحتجاجات أو الاضطرابات الطلابية والشبابية والشعبية وتضخيمها عبر شبكات الانترنت باعتبارها وسائل بعيدة نسبياً عن سيطرة الحكومات، وهذا يختلف بين دولة وأخرى حسب النظام الإعلامي والاتصالي والمعلوماتي الذي تعتمده، وبالمقابل فان هذه التحركات عرضة للاستغلال والتلاعب من قبل أجهزة الاستخبارات للتخريب والتأثير السياسي.

وهذا ما استنتجه الباحث الكندي "ماكسيمان فورت" في دراسته للحالة الإيرانية عندما حاولت أميركا والغرب القيام بثورة مضادة للثورة الإسلامية في إيران معتمدة على شبكات Twitter على الانترنت ..فتبين أن عدد الذين قاموا بهذه الثورة اقل من الفتيان والمراهقين والشباب، والكثير من المواد والصور عن إيران كانت وهمية ومزورة قامت بنشرها جهات مخابراتية أمريكية وإسرائيلية، فكان نصيبها الفشل والتشتت بعد أسابيع من الضخ لمعلومات كاذبة ومغلوطة.

قناة الحرة... محاولة لتحسين صورة امريكا عند العرب

في البداية من المهم التأكيد على أن قناة الحرة ليست مشروعا منفردا ولكنها جزء من خطة إعلامية كبيرة أطلق عليها الساسة الأمريكيون برنامج "الدبلوماسية الشعبية" والمسؤول عن تطبيق هذا البرنامج هي وزارة الخارجية الأمريكية وبدأت هذه الخطة بعد احداث١١ أيلول٢٠٠١ للاجابة على سؤال لماذا يكرهوننا



؟.. هكذا يقول المستشار كريستوفر روس المكلف من الرئيس الأمريكي باطلاق قناة الحرة والاشراف العام على برنامج الدبلوماسية الشعبية، ويضيف روس: كان من الضروري بث هذه القناة بعد ما لاحظناه في استطلاعات الرأي العام التي تقول أن الشعوب العربية تتصور أن أمريكا تعيش حياة مفتوحة منحلة ومعادية لكل العقائد الدينية وان هدف أمريكا هو الحرب. وهذا يعني أن الشارع العربي تحول إلى ظاهرة يجب الاهتمام بفهمها والبحث عن اسباب معارضته لنا.ولقد اختار بوش كريستوفر روس بالذات لهذه المهمة لاجادته اللغة العربية بحكم عمله كدبلوماسي في عدد كبير من الدول العربية.وأصبحت إجادة العربية هي أول شرط في قبول الراغبين في العمل بقناة الحرة اذ لابد أن يشعر المشاهد العربي أن من يتحدث إليه هو واحد من مجتمعه العربي باعتبار أن ذلك خطوة مهمة علي طريق الاقناع. ومن شروط العمل أيضا في قناة الحرة الولاء والاقتناع الكامل بسياسة امريكا في منطقة الشرق الأوسط بالاضافة لتقبل فكرة التطبيع مع اسرائيل.

ويقول الدكتور محمود خليل استاذ الإعلام بجامعة القاهرة أن قناة الحرة تمثل هجمة كبيرة علي الفكر العربي فهي تبث ارسالها دون تشفير ليراها الجميع وتحاول أن تقدم برامج سياسية واخبارية ويستخدمون ألفاظا بديلة لألفاظ أخرى مثل لفظ "العمليات الارهابية" كبديل لكلمة "المقاومة" سواء العراقية أو الفلسطينية وهي كلمة تعني أنهم اصحاب حق..و"قوات التحالف" بدلا من "قوات الاحتلال الامريكي" للعراق.وبصفة عامة فانك عندما تتابع هذه القناة تجد انها بعيدة تماما عن الحرية والديمقراطية والموضوعية والحياد، واحيانا يحاولون بث أخبار حقيقية قريبة للحياد في محاولة لكسب الجمهور العربي وتضليله من خلال خلط الأكاذيب بالحقائق.

وهناك برنامج حقق بعض الصدى بمجرد عرضه وهو برنامج "الاتجاهات الأربعة" الذي يقدمه اللبناني اليهودي "سام منسي" وأولى حلقات هذا البرنامج بدأت مع اليوم الأول لبث القناة وكانت الحلقة محاولة لمعرفة مدى تقبل العالم العربي لقناة الحرة وحاول موفق حرب (مدير القناة) ابراز الجوانب الايجابية للقناة وحرصها على نشر الحرية في العالم العربي وانتهت الحلقة بالتأكيد على أن كراهية امريكا وسياستها قائمة على اسباب موضوعية لا يمكن لبوش تجاهلها وهي التوحد مع اسرائيل في الاهداف والوسائل واستخدام العنف والقوة المفرطة، وان اقصى ما تستطيع القناة القيام به هو تغليب الاخبار الصادقة كما تفعل الاذاعة البريطانية لان اقناع العرب بحب امريكا هو نوع من السذاجة ومهمة صعبة جدا، أيضا تحرص قناة الحرة على تقديم برامج ثقافية وسياحية كثيرة عن كل الدول العربية ،ويحرص العديد من السياسيين العرب الذين يطلب منهم المشاركة في الاحاديث الهاتفية أو اللقاءات التليفزيونية على أن يكون حديثهم علي الهواء مباشرة حتي لا يتم العبث بأي كلام يقولونه من خلال المونتاج وهذا يعكس عدم ثقتهم في القناة.

وقد استبدل موفق حرب اسم القناة المقترح وهو تلفزيون الشرق الاوسط باسم الحرة قائلا : أن هذا الاسم سيساعدنا اكثر على تسويق امريكا بفكرها وسياستها

ويقول الدكتور صفوت العالم الاستاذ بكلية الاعلام جامعة القاهرة: لاول مرة تدعم الحكومة الامريكية الاعلام فالقانون الامريكي يمنع هذا الدعم، وقد وجه أحد الصحفيين سؤالا لبوش حول هذا الموضوع وكانت اجابته أن

القانون يمنع الدعم للاعلام الداخلي اما الاعلام الخارجي فهو يهدف لتحسين صورة امريكا عند العرب[1] عن طريق الاقناع والحوار مع الاخر والقانون لا يمانع في ذلك.

المشروع خطة كبيرة للتأثير على عقول العالم العربي لكن توجه القناة لن يخدمها خاصة وسط عداء المواطن العربي لسياسة امريكا، كما أن فكرة محاولة الحرة تحسين صورة امريكا عند العرب وترويج سياستها واقناع الاخرين بها من الصعب على الحرة القيام بها أن لم يكن من المستحيل.

قناة الحرة الأمريكية في عيون الخبراء[2]

بحسب خبراء ومحللين، فإن إطلاق قناة "الحرة" يأتي في إطار سعي الإدارة الأمريكية لتفعيل مبادرتها لإقامة "الشرق الأوسط الكبير"، مؤكدين أن هذه القناة قد جاءت لتسويق السياسات الأمريكية في منطقة الشرق والعالم، في إطار خطة لفرض الهيمنة الأمريكية ونظام القطبية الأحادية وتحرير العالم العربي والإسلامي من قيمه الذاتية، وإنتاج نسخ عربية جديدة تتماشى مع العولمة الأمريكية من خلال بث القيم ووجهات النظر الأمريكية بين الأغاني والسطور، وهو ما يزيد من خطورتها الإعلامية .

وقد استهلت القناة إرسالها بحوار مع الرئيس الأمريكي جورج بوش أذيع في ١٥/٢/٢٠٠٤م، تحدث فيه عن مشروعه لـ" نشر الديمقراطية في العالم العربي"، وكان بوش قد أعلن في يناير ٢٠٠٤ م أن أمريكا والعالم الغربي "ارتكبا خطأ كبيراً على مدى ٦٠ عاماً مضت عندما غضت النظر عن غياب الديمقراطية في الشرق الأوسط بهدف المحافظة على مصالح آنية".

وقال نورمان باتيز (رئيس إدارة لجنة الشرق الأوسط في مجلس الأمناء للبث في الشرق الأوسط التي تشرف على المحطة التليفزيونية) : "سنكون مميزين مثل عمود من نور في سوق إعلامي تهيمن عليه الإثارة والتشويه"، في إشارة منه إلى قناة "الجزيرة" التي تعمل على"استعداء الرأي العام العربي" عليها و"الترويج لأفكار الجماعات المتطرفة" من خلال بثها تسجيلات صوتية لزعماء تنظيم القاعدة.

> • انّ إنفراد الولايات المتحدّة بصعيد العلاقات الدولية دون موازنٍ كُفؤ، قد أفضى إلى قيامها بتوجيه معظم مقدراتها المادية نحو تعميم نموذجها الثقافي تحديداً على نحوٍ عالمي.

ويعمل بالقناة فريق يضم نحو ٢٠٠ صحفي وإعلامي عربي، معظمهم صحفيين لبنانيين، ومصريين وأردنيين وسوريين وفلسطينيين، إضافة إلى قطري وجزائري وعراقية، ويدير القناة الصحفي اللبناني الأصل "موفق حرب" (٣٦ عاماً) الذي عمل رئيسا لمكتب صحيفة "الحياة" اللندنية بواشنطن، كما عمل مديراً للقسم الإخباري في إذاعة "سوا" الأمريكية الموجهة للعرب".

ويشرف عليها مجلس أمناء (٤ جمهوريين و٤ ديمقراطيين، إضافة إلى وزير الخارجية بحكم منصبه) عبارة عن وكالة أمريكية مستقلة للبث الدولي حول العالم تشرف أيضاً على شبكة إذاعات "صوت أمريكا".

وتعد "الحرة" أكبر مشروع إعلامي- سياسي غربي موجه للعرب منذ إطلاق القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" في عام

(١) صحيفة الوحدة السورية-٢٦ أيار، ٢٠١٦.

(٢) موقع مسلم - من القاهرة همام عبدالمعبود - ١٤٢٤/١٢/٢٩ هـ.



١٩٣٤م، و"صوت أمريكا" باللغة العربية في عام ١٩٤٢م، بكلفة تأسيسية تتجاوز ٤٠٠ مليون دولار، وبتخصيص مبلغ ٦٢ مليون دولار كميزانية لعامها الأول، فيما تعكف إدارة المحطة على افتتاح مكاتب لها في بغداد بتكلفة ٤٠ مليون دولار سيتم اقتطاعها من الأموال المخصصة لإعادة إعمار العراق.

وكانت الإدارة الأمريكية قد أطلقت في أعقاب أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م إذاعة "سوا" الناطقة بالعربية والموجهة للعالم العربي، والتي لعبت دوراً في الحرب الإعلامية الأمريكية التي رافقت الحملة العسكرية على العراق، وكانت تبثُ برامجها وأخبارها للعراقيين من على متن سفينة عسكرية في الخليج العربي.

وتعود فكرة إذاعة سوا إلى ما قبل أحداث سبتمبر، وكان نورمان باتيز (المدير التنفيذي لـ"ويست ورد وان التي تعد أكبر شركة إذاعية في الولايات المتحدة) هو صاحب الفكرة لكسب جمهور الشباب العربي عبر استخدام برامج شبيهة ببرامج الإعلانات التجارية الهادفة إلى ترويج سلعة ما، ولكن في حالة "سوا" تصبح الأخبار والقيم الأمريكية هما السلعتين موضوع الإعلان. وتهدف "سوا" إلى تقريب وجهات النظر العربية الأمريكية، وتوضيح السياسات الأمريكية تجاه المنطقة وقد استهلت إذاعة "سوا" بثها المباشر في آذار ٢٠٠٢م، وحظيت بموافقة (عمان والكويت ودبي وأبو ظبي) لاستقبال إرسالها، وإعادة بثه .وتُعد إذاعة سوا واحدة من الخدمات الدولية الأمريكية التي يشرف عليها ويمولها مجلس أمناء الإذاعات الدولية الأمريكية، وقد رصد لها ٣٥ مليون دولار.

كما أطلقت الإدارة الأمريكية أيضاً مجلة "هاي" العربية الموجهة للشباب العربي دون سن الثلاثين، وبشكل خاص لطلاب الجامعات، ووزعت من هذه المجلة عشرات الآلاف من النسخ بأسعار زهيدة، في محاولة منها لاستهداف عقول الشباب العرب.

وقد أشارت صحيفة نيويورك تايمز في موقعها على الإنترنت في ٢٠٠٣/١٢/١٧ م إلى أن خبراء من منطقة الشرق الأوسط يشكّون في إمكانية أن تؤتي هذه القناة ثمارها، بين جمهورها المستهدف الذي وصفته بـ"المتشكك دائماً في كل ما هو أمريكي" وقال إدوارد دجيريجيان (المنصب لتقييم جهود العلاقات الأمريكية العامة في الدول الإسلامية): "نشك في إمكانية عبور حاجز المصداقية التي يمكن أن تتمتع بها القناة بينما ستكون خاضعة لإدارة الدولة".

وكان مجلس النواب الأمريكي قد صوت على قانون يهدف إلى الترويج للبث الإذاعي والتلفزيوني الأمريكي باتجاه الدول الإسلامية لمواجهة المشاعر المعادية لواشنطن التي ازدادت حدتها منذ بداية حربها على ما تسميه الإرهاب في أكتوبر ٢٠٠١م.

والمحطة الجديدة، سوف تخاطب الإنسان العربي في منزله على مدار الأربع والعشرين ساعة، في أحدث وأكبر غزو ثقافي للعقل العربي، وبهدف تحسين صورة الاحتلال الأمريكي في العراق، وتغيير مسار التفكير العربي، وفي سياق استطلاع آراء الخبراء والمحللين حول قناة "الحرة "، التقى مراسل "المسلم" بالقاهرة بالدكتور عبد الله الأشعل (خبير القانون الدولي) حيث قال: "أتوقع لهذه القناة الفشل الذريع؛ لأن الشعوب العربية المستهدفة على وعي بنوايا ومقاصد صناع القرار بالإدارة الأمريكية المتحيزة و المتغطرسة".

وحول استهلال القناة برامجها ببعض البرامج الرياضية والفنية والأغاني ومحاولة البعد قدر الإمكان عن السياسة ، قال " هذا مخطط كبير هدفه عمل غسيل مخ للعقل العربي، ومحاولة مسخ شخصيته ومن ثم فهو يعتمد على قاعدة



استدراج المشاهد العربي لجعله يتقبل القناة، ويعتقد أنها محايدة أو مهنية، وليست بوقاً لقوات الاحتلال، ثم تقوم القناة بدس السم في العسل ...هذه القناة ليست إعلامية بالمفهوم الإعلامي، وإنما هي بوق للدعاية للاحتلال الأمريكي في العراق، وللدعاية للنموذج والأفكار الأمريكية التي تريد الترويج لها في المنطقة بهدف عمل قاعدة إعلامية لهذا النموذج تمهيداً لفرضه على الأنظمة العربية".

وقال الأستاذ صلاح عبد المقصود (وكيل نقابة الصحفيين المصريين، ومدير مركز الإعلام العربي للبحوث والنشر) " لقد تابعنا خلال المدة الأخيرة الجهود المشبوهة لإدارة التضليل الإعلامي التي كانت تابعة لوزارة الإعلام فانتقلت تبعيتها لوزارة الخارجية بهدف توظيف الإعلام لخدمة أهدافها في المنطقة بكل الوسائل، وذلك عن طريق شراء الذمم والأقلام، بل وصل الأمر لدرجة صناعة عملاء للفكر الأمريكي، وهذه الإدارة تنفق مئات الملايين على عملائها من الكتاب والصحفيين والإعلاميين لتسويق السياسة الأمريكية في مختلف مناطق العالم... في تقديري أن أمريكا تحاول من خلال هذه القناة (الحرة) أن تنشر ثقافتها ونموذجها للتغيير للضغط على الحكومات والأنظمة العربية للتحول ناحية مزيد من الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان ولتنفيذ مطالبها ".

شبكات التواصل الإجتماعي منصات للحرب الأميركية الناعمة[1]

أحدثت وسائل التواصل الاجتماعي ثورةً في عوالم الاتّصال والتواصل والمعلومات، ومسّت بقوةٍ بمنظومات القيم الاجتماعية والثقافية، وتدخلت على نطاق واسع في تغيير البنى والمؤسسات السياسية، وفي التلاعب بموازين القوى السائدة، فقد أجمع خبراء الاتّصالات على أنّ دخول أدوات الاتّصال الجديدة إلى مجتمع ما، يؤدّي حتمًا إلى تعديلات وتأثيرات في منظومة القيم، وسلّم الأولويات، وتغيرات في درجات القيم، تبعًا لدرجات التفاعل ومناهج التعامل والتكييف التي يتّخذها كلُّ مجتمعٍ تّجاه هذه الأدوات.

لقد بلغ عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي[2] في العالَم اليوم ٣ مليار مستخدم يملكون ٣ مليار حِساب وصفحة، ولا تزال هذه الوسائل تلقى الرواج والإنتشار السريع لأنها أصبحت "موضة العصر" أولاً، ولأن هناك من وضع الخطط لنشرها عن طريق توفيرها بأسعار زهيدة الثمن ثانياً.

يختلف تعامل الدول والمجتمعات مع هذه الأدوات التواصلية من دولة لأخرى، وذلك حسب نظامها السياسي، وأيديولوجيتها، ودرجة حساسيتها الثقافية والسياسية، إلّا أنّ هناك شبه إجماع من الدول المناوئة والمناهضة للغطرسة الأميركية على أنّ هذه الأدوات التي تحمل البُعدَ التقني والتكنولوجي، وترفع الشعار الإنساني للتواصل الاجتماعي، ما هي إلا جزءٌ عضويٌّ من القوة الناعمة الأميركية، وعلى صلة بنظرية الأمن القومي الأميركي.

ولعل رغبة الإدارة الأميركية في بسط منظومة قيمها الثقافية والسياسية على مجتمعات وشعوب الدول الأخرى في الدول المناوئة للسياسات الأميركية تحت شعار الليبرالية أوضح من أن تحتاج إلى دليل، وهي تستهدف بنحو خاص الفئات غير الصلبة، أو المسماة بـ(الفئات اللينة والرخوة) وهم الشباب والطلاب

(١) كتاب شبكات التواصل الاجتماعي – مركز الحرب الناعمة للدراسات ٢٠١٦.

(٢) شميدت أريك، وكوهين غارد- العصر الرقمي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١١م، ص ٣ – ٨.

والنساء والأطفال، لتأسيس جيل وتيار متأمرك داخل هذه المجتمعات، بهدف إثارة البلبلة والتناقضات، واستدراجهم واستقطابهم للدفاع عن القيم الأميركية بوجه أبناء مجتمعهم الآخرين، عن طريق برامج للتلاعب الناعم بجداول الأعمال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وصولًا إلى إحداث تحوّلات وانقلابات سياسية واستراتيجية ناعمة، دل على ذلك برامج وورش تدريب الناشطين على استراتيجية الثورات الملونّة[١] والناعمة تحت ستار رفع المطالب والشعارات السياسية والثقافية.

إنّ ما نسرده، في سياق هذا البحث، ليس نظريةَ مؤامرة، بل ستتضح معالمه بناءً على مجموعة من الوثائق الرسمية الأميركية، حيث سنقوم بتحديد الموقف الصحيح من انتشار هذه الأدوات، من خلال دراسة وتقييم النقاط الإيجابية والسلبية، بناءً لدراسات وأبحاث علمية نشرتها مراكز دراسات وجامعات غربية وآسيوية، واستطلاعات رأي ميدانية.

ولا بد في البداية من الإضاءة على النصوص المؤسِّسة لعلاقة شركات قطاع تكنولوجيا الاتّصالات بالإعلام في نظرية الأمن القومي الأميركي، فهي، برأينا، الرابط الأقوى والأشد للدخول إلى علاقة الحرب الناعمة بشبكات التواصل الاجتماعي، وهو ما أكّده إريك شميدت Eric Schmidt مدير شركة غوغل Google العالمية وهي الشركة الأضخم بين شركات الاتّصالات الأميركية في نظرية: "التكنولوجيا السياسية Political Technology، التي تعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي .

فقد أورد تقرير نشره مجلس الاستخبارات القومية الأميركية NIC، عام ٢٠٠٩م، تحت عنوان: "إتجاهات عالمية ٢٠٣٠، عوالم بديلة" أنّ الفرد الرقمي المُستخدِم لوسائل َالتواصل الاجتماعي[٢] وشبكات الإنترنت سيتحول إلى عنصر فاعل، ولاعب مؤثِّر في اللعبة السياسية المحليّة، وإلى شريكٍ في رسم خارطة القوى الجيوسياسية الدوليةً[٣] . وقد توقع التقرير "أنْ تواجه الولايات المتحدة الأميركية تغييرات معقدة ومتسارعة في بيئة الأمن القومي من خلال التحدّي الذي تفرضه بعض الدول وبعض الفاعلين غير الحكوميِّين، إضافة إلى اتّجاهات عالمية أخرى تعمل على منافستها وتتحدّى مصالحها".

وأشارت وثيقة الاستخبارات القومية The National Intelligence Strategy للعام ٢٠١٠ م إلى ضرورة الاستثمار في حقل

---

(١) الثورة الملونة، مصطلح يطلق على أعمال الحركات والعصيان المدني وأعمال الشغب أو الحركات المطلبية في بعض الدول وخاصة المناوئة منها للغرب كالدول الشيوعية السابقة في وسط وشرق أوروبا ووسط آسيا، ولبنان وإيران في بداية القرن الحادي والعشرين. استخدم المشاركون في هذه الثورات المقاومة السلمية والاحتجاجات والمظاهرات مع استخدام وشاح ذو لون محدد أو زهرة كرمز. ومنها ثورة الورد (أو ثورة الزهور أو الثورة الوردية) في جورجيا والثورة البرتقالية أو ثورة البرتقال في أوكرانيا وثورة التوليب (أو ثورة السوسن أو ثورة الزنبق أو ثورة الأقحوان أو الثورة الزهرية) في قيرغيزيا وثورة الأرز في لبنان. وقد أطلق البعض اسم الثورة الزرقاء على المطالبة عام ٢٠٠٥ بمشاركة المرأة في الحياة السياسية في الكويت. وأطلق اسم ثورة الزعفران على تحرك المعارضة في بورما أو ميانمار عام ٢٠٠٧. وأطلق على أعمال الشغب في التبت عام ٢٠٠٨ اسم الثورة القرمزية/ الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٢) شميدت أريك، وكوهين غارد- العصر الرقمي، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١١م، ص ٣ – ٨ .

(٣) التقرير باللغة الانكليزية متوفر على موقع مجلس الاستخبارات القومية وقد نشرته صحيفة الغد الاردنية في ٨حلقات ٢٠١٣.

شبكات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ، وما يهمّنا في هذه الوثيقة المقطعَيْن الآتيَّيْن:

المقطع الأول: يلعب المجتمع الاستخباراتي دورًا هامًا في زيادة أمن الإنترنت عبر زيادة القدرة على كشف نشاطات المنافسين ونقاط ضعفهم ونواياهم، وعبر حشد المزيد من الموارد لكشف وتفكيك التهديدات الإنترنتية وتوسيع شبكات التواصل الاجتماعي.

المقطع الثاني: ينبغي تحقيق التواصل في الخبرات ذات الصلة مع المجتمع الاستخباراتي ومؤسسات الاستخبارات التابعة للحلفاء والمجتمع الأكاديمي والتكنولوجي.

وفي مجال آخر، صرّح جوزيف ناي Joseph Nye، مُنظِّر استراتيجية: "القوة الناعمة" Soft Power، بأن القوة السيبرانية(الالكترونية) Cyber Power ، كما يُسمّيها في احدى مقالاته، ستلعب دورًا محوريًا في تمكين الإدارة الأميركية من الهيمنة على العالَم[1] . هذه "القوة الناعمة" هي نفسها السلاح الأقوى استعمالًا في جبهات "الحرب الناعمة"، ومن هنا دخلت القوة الناعمة إلى عالَم الحروب بالتناغم مع القوة الصلبة العسكرية بعد الاندماج الحاصل بينهما في إطار القوة الذكية[2] .

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ملف وسائل التواصل الاجتماعي وتحدياتها الثقافية والسياسية والأمنية على مجتمعنا، وبيان عناصر الربط مع نظرية الحرب الناعمة الأميركية، وبحث سُبل الإستفادة من تجارب الدول والمجتمعات الأخرى، وجلاء الموقف العملي من هذه الأدوات، فضلًا عن التمهيد لبحوث مستقبلية في مجال تطبيقات مقاومة الحرب الناعمة على وسائل التواصل، وترشيد استخدام هذه الوسائل بالطرق الآمنة، بالإضافة إلى دراسة امكانية تحويل نفس هذه التهديدات إلى فرص، عن طريق نشر القيم والأفكار وبث الفكر الإسلامي الأصيل، ولغرض تقديم إحصاءات ونتائج تحليلية تتّصل بتأثّر منظومة القيم في مجتمعنا وبيئتنا بهذه الوسائل الناعمة.

إنّ رسالة هذه الدراسة بحثيةُ تعريفيةٌ من جهة، وتحذيرية تدق جرس الإنذار لوضع الجميع أمام مسؤولياته تجاه هذا الخطر الجديد المُعقّد من جهة أخرى.

> • **يعتبر باحثون أنّ (العولمة) مرادفة للحرب الناعمة. وتُعتبر تهديداً للدول الضعيفة واللاعبين المنفعلين على الساحة الدولية وهي نوع من السلطة الجديدة.**

لقد استعنّا بدراسات وتقارير وتحقيقات متنوعة، وقمنا بغربلتها للتأكد من درجة موثوقيّتها، مع الاحتفاظ بتوثيق المصادر لأجل الدقة والأمانة العلمية، مع إدراكنا بأن كلّ معلومة أو خبر يتم نشره في وسائل الإعلام، يخضع عادة في تحريره إلى سياسة تحريرية تختلف فيما بينها حسب أجندة الجهة المُموِّلة. وهو ما تطلَّبَ جهدًا مضاعفًا في عمليات التأكّد من صحة المعلومات والأخبار والدراسات.

والحقيقة الأساسية التي ينبغي إدراكها بقوة هي أنه بمجرد أنْ ينفصل المُستخدِم للشبكات عن بيئته الإنسانية والاجتماعية: الأسرة، الحي السكني، المدرسة، المسجد، الجماعة الدينية والسياسية، النادي الثقافي،... ويلتحق بصورة منتظمة بعالَم وسائل وشبكات التواصل

(١) القوة السيبرانية هي قوة شبكات الإنترنت الممتدّة حول العالَم التي يستخدمها ما لا يقل عن نصف سكان العالَم.

(٢) ناي، جوزيف، القوة الناعمة، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٧م، ص ٢٠ – ٢١.

الاجتماعي، سواء عبر الشبكة الإلكترونية أو عبر الهاتف الجوال الذكي، يصبح فريسةً وهدفًا لبنك الأهداف الأميركية والصهيونية.

وبلغة التكنولوجيا، فإنّه بمجرد أنْ يُصبِح للمُستخدِم حساب Account على الشبكة، حتى لو كان هذا الحساب افتراضياً باسم مستعار ووهمي، تنشأ له هوية رقمية ومنصة إلكترونية، تخدم في نهاية المطاف أهداف المجمع الإلكتروني الأميركي، الذي تديره غرفة عمليات مشتركة بين فروع الإدارة الأميركية، خاصة وكالة الأمن القومي الأميركية NSA ووزارة الخارجية والبنتاغون.

خلاصة القول أنّ أيّ مُستخدِم للشبكات الاجتماعية يصبح هدفًا ضمن شبكة الرصد والتجسس الأميركية، كما إنه يُدخِلُ نفسَه طواعية، وعن رغبة وانجذاب، إلى دائرة تأثير ونفوذ القوة الناعمة الأميركية. وها هو "هنري كيسنجر"الشخصية الأميركية الأكثر تعبيراً عن الرؤية الدولية لأميركا يقول "الثورة في عالم الاتصالات والمعلوماتية هي الأولى في التاريخ في إيصال هذا العدد الكبير من الأفراد والسيرفرات إلى أداة التواصل نفسها وترجمة وتعقب تحركاتهم بلغة تكنولوجية واحدة[١].

لقد توصّل إلى هذه النتيجة المئات من الخبراء والكتاب والباحثين، ووردت في مئات الدراسات والأبحاث والمقالات الغربية والشرقية على السواء، إنّ ما ذكرته بعض الصحف والجامعات الأميركية حول مخاطر وسائل التواصل الاجتماعي يفوق ما قد يقوله أيُّ طرف على عداء مع أميركا.

وبناءً على ذلك نطرح فرضيات وتساؤلات البحث وفق التصور الآتي:

الفرضية الأولى: تقوم على إثبات ارتباط شركات ومواقع التواصل الاجتماعي[٢] بالحكومة الأمريكية ومصالحها واستخباراتها.

الفرضية الثانية: تقوم على إثبات جهود الإدارة الأميركية والصهيونية لاختراق منظومة الاتصالات والانترنت وشبكات وحسابات التواصل الاجتماعي في لبنان.

الفرضية الثالثة: تقوم على وجود مصلحة عقلائية في ترشيد التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي بغض النظر عن أية مؤامرة أو حسابات سياسية أو أمنية.

في اثبات الفرضية الأولى لن نتحدّث في بحثنا عن نظرية المؤامرة، بل سنقوم باستعراض الوثائق والمستندات، والدراسات الأميركية والغربية، التي تؤكد مقولة عالم الألسنيات اللغوية المفكر الأميركي "نعوم تشومسكي" في ثنائية: "التخطيط والتوظيف" لناحية العلاقة العضوية بين الشركات التكنولوجية والإعلامية الدولية، غوغل وفيسبوك وتويتر وواتس أب وغيرها، وبين الوظائف والاستخدامات السياسية لدوائر صنع القرار الأميركي والغربي، فلا مجال للحيادية والفصل بين مخططات الشركات الدولية وبين التوظيف السياسي الدولي، فهما وجهان لعملة واحدة. ويكفي أنْ نشير في هذا المجال، إلى عبارة الرئيس الأميركي باراك أوباما، وهو يقول بكل تفاخر: إنّ أميركا أصبحت "أمة غوغل وفيسبوك [٣]".

---

(١) النظام العالمي، هنري كيسنجر، ترجمة فاضل جكتر، دار الكتاب العربي ٢٠١٤ - ط١ ص ٣٣٣.

(٢) بحث تحت عنوان: «استراتيجية الاستخبارات القومية لأميركا»، إعداد حسين علي باكير، نشر مركز قناة الجزيرة، بتاريخ ١٠ نوفمبر ٢٠٠٩م.

(٣) خطاب حالة الاتّحاد ، منشور في ٢٥ يناير٢٠١١، موقع وزارة الخارجية الأميركية.

لقد أصبحت منتجات فيسبوك وغوغل وواتس آب هي أهم صادرات وأدوات القوة الناعمة الأميركية للسيطرة في إطار استراتيجيات الهيمنة السياسية والثقافية والاقتصادية. وهنا نشير إلى تصريح "أليك روس" مستشار وزارة الخارجية الأميركية لشؤون التكنولوجيا، ما يؤكّد هذه المعادلة: "لقد أصبحت الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي بمثابة تشي غيفارا القرن ٢١، فهي اليوم تُحرِّك الشعوب بعيدًا عن البنى والمؤسسات والمنظومات الثقافية والسياسية التقليدية[١] "

ولشبكات التواصل الاجتماعي مهمّات تجسُّسية واسعة، لم يعرف التاريخ لها مثيلًا، وها هو "جوليان أسانج" مسرّب وثائق ويكيليكس الشهيرة يقول: "إنّ شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت هي أضخم وأخطر جهاز تجسس واستخبارات ابتكره الإنسان، وعرفته البشرية منذ فجر التاريخ" لأن الإنسان المُستخدِم للشبكة يتبرع مجانًا بوضع المعلومات والمعطيات والصور والفيديو والتعليقات والآراء عن نفسه وعن دائرة زملائه ومحيطه الاجتماعي، وهي غالبًا ما تكون مهمة ومفيدة وموثوقة.

وقد كشفت وثائق سرية حصلت عليها صحيفة نيويورك تايمز عن قيام وكالة الأمن القومي بجمع أعداد هائلة من الصور من رسائل البريد الإلكتروني، والرسائل النصية، ووسائل الإعلام الاجتماعي، والمؤتمرات الفيديوية، ونماذج أخرى للتواصل، وذلك بهدف التعرف على الوجوه، ووفقًا للصحيفة، فإن من بين ملايين الصور التي تقوم الوكالة بجمعها يوميًّا هنالك حوالي ٥٥٠٠٠ صورة ذات جودة ووضوح تجعلها صالحة لغايات التعرّف على الوجوه[٢].

بالنسبة للفرضية الثانية نسال: هل يُعقل أنْ تتدخل الإدارة الأميركية لاختراق شبكات الاتّصالات الكوبية بطريقة سرية، واختراق المجتمع والنظام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وفي سوريا، وفي مصر وتونس وفي عشرات البلدان الأخرى، وتترك هذا الاستثمار في مواجهة حزب الله وبيئته الحاضنه في لبنان؟.

وهل من المنطقي أنْ تترك الأجهزة الأميركية والصهيونية هذا البنك الذي يضم في الحدّ الأدنى حوالي ٣٥٠ ألف مستخدم لشبكات التواصل الاجتماعي؟ وهل يُعقل أنْ تترك الاستفادة من حوالي نصف مليون خط هاتف خليوي محمول، نصفها تقريبًا تستخدم تطبيقات whatts App؟

في مجال الفرضية الثالثة نقول: إنّ الحقائق العلمية البحتة تكشف أن استخدام هذه الأدوات تؤدّي، بمعزل عن أيِّ تخطيطٍ سياسيٍّ دوليٍّ، إلى أضرار وآثار سلبية هائلة ناجمة عن الإدمان وسوء الاستخدام، على مستوى إضعاف الذكاء والقدرات التحليلية، واضطرابات المشاعر، وتقويض العلاقات الاجتماعية، وتفكيك الحياة الأسرية، وزيادة النمط الاستهلاكي والتدخين والكحول والجرائم المعلوماتية، وغيرها من الأضرار.

من هنا تتركز تساؤلات البحث حول الرابط والاستدلال المنطقي بشقيّه: البرهاني والتجريبي الاستقرائي بين وسائل التواصل الاجتماعي وبين أهداف الحرب الناعمة الأميركية – الصهيونية

---

(١) مقابلة أجراها موقع النشرة مع أليك روس مستشار وزارة الخارجية الأميركية لشؤون التكنولوجيا، مارسيل عيراني، بيروت في١/١٢/ ٢٠١٢.

(٢) تقرير تحت عنوان: «أميركا تجمع ملايين الصور يوميًّا من مواقع التواصل للتعرف على الوجوه» نشرته قناة المنار بتاريخ ٥/٦/٢٠١٤.



على محور المقاومة، بالإضافة إلى بحث إمكانية ترشيد استخدام هذه الوسائل بصورة إيجابية مفيدة في جبهتنا الداخلية، بعيدًا عن مؤثرات القوة الناعمة الأميركية.

الدبلوماسية الرقمية القوة الناعمة الجديدة[١]

تأتي هذه المقالة استكمالا لسابقتها حول "المعرفات الوهمية، والحروب الرقمية"، تلك الحروب المعنية بالدرجة الرئيسة بالسيطرة على العقول والقلوب، على الإنسان كيف يفكر، وماذا يفعل، وسيفعل، أكثر من كونها حروبا لعمليات التجسس المباشر، أو التخريب للبرمجيات وخلافه، وإن كانت هذه الأخيرة داخلة ضمنها، لكن ما يعنينا في هذا المقام هو ما ركزت عليه هيلاري كلينتون في كتابها الأخير "خيارات صعبة" بوصفها لهذه الحروب الرقمية الموجهة للتحكم في الوعي الشعبي في الدول الأجنبية، وتسيير الرأي العام فيها بما يخدم الأجندة الأمريكية بأنها "دبلوماسية رقمية" و"الدبلوماسية الرقمية" مصطلح، أصنفه بأنه دعائي للتغطية والتلطيف على الاسم الحقيقي العدائي، المرعب، والأكثر مناسبة للفعل المقصود، ألا وهو "الحرب الرقمية". وقد يسأل أحدهم: لماذا تسميها حربا، فيما تراها هيلاري أنها نوع من أنواع العمل الدبلوماسي؟ الحقيقة أن "الحرب" ليست سوى أداة من أدوات السياسة تماما كما هي "الدبلوماسية". والحرب أنواع، فهناك الحرب العسكرية المتعارف عليها – وهي بالمناسبة نوعان: حرب عسكرية عنيفة، وحرب عسكرية غير عنيفة، كالإعلان عن صفقات التسليح، والمناورات العسكرية المعلنة، والتجارب الصاروخية وخلافها–، وهناك الحروب التجارية، أو الحرب الاقتصادية، والحرب الدعائية، والحرب الأيديولوجية – وإن كان بعض الباحثين يصنفها ضمن الحرب الدعائية – وغيرها، إلا أننا في القرن ٢١ أصبح لدينا نوع جديد من الحروب، يدعى بـ"الحرب الرقمية" أو الـ "Digital War" أستطيع أن أقسم هذه الحرب إلى قسمين:

الأول: تلك التي تستهدف البرمجيات والتطبيقات وقواعد البيانات وشبكات الاتصالات والأجهزة الحاسوبية، بما فيها أجهزة وأنظمة الملاحة، والطاقة، والمياه، والمصارف وغيرها. والتعامل مع هذه الحرب تعامل تقني، هندسي، برمجي، رياضي، بحت.

الثاني: وهو الأخطر، يستهدف الوعي الإنساني والإدراك البشري والرأي العام الشعبي .. وهذا النوع كان في ما مضى "دعائي" بحت، تحت ما يسمى بحقل "الإعلام السياسي" .. أما اليوم، فقد أضحى تخصصا مزيجا بين "الدعاية" Propaganda، و"علوم الحاسب والمعلومات Computer and Information Since".

وكنت قد تطرقت إلى ما قامت وتقوم به وزارة الخارجية الأمريكية من تخطيط، وتبن، وتنفيذ، لعدد من الدورات التدريبية التقنية لمن تسميهم "الناشطين الاجتماعيين" لتدريبهم على الاستخدام الأمثل لوسائل التواصل الاجتماعية عبر شبكة الإنترنت، وتلقنهم الدروس في كيفية "التخفي" عن الأجهزة الأمنية في بلادهم، و"الهروب" ومحو الأثر كي يصعب تتبعهم، وعلى تنمية قدراتهم ومهاراتهم في "اختراق الجدر النارية"، و"تجاوز الحجب والرقابة"، وصولا إلى "التخطيط ورسم المظاهرات الشعبية، والتنسيق بين الحشود المتظاهرة لمواجهة الحملات الأمنية خلال وقت الأزمات" – In

---

(١) الهتلان بوست – عماد المديفر– كاتب سعودي، ماجستير (الدعاية السياسية والإعلام) ٢٠١٥/١/٧.



real time during crises– حيث تشرح كلينتون في كتابها جزءا مهما من سياسات دولتها المتبعة لتحقيق ما تراه يخدم المصالح الوطنية الأمريكية .

ويضيف الكاتب : إن هذه الجهود التي تحدثت عنها كلينتون في كتابها التي تقول أنها تخولهم "للتكيف الأمثل مع القرن الـ ٢١" تنحصر في استغلال شبكة الإنترنت لتحقيق اختراقات فاعلة داخل الدول الأجنبية عبر شعوبها، وتسييرهم بما يتسق والأهداف الاستراتيجية الأمريكية، وذلك عبر صناعة عدد من "النجوم الشعبيين"، أو تجنيد وتوظيف من لهم شعبية أصلا، وقبول داخل بيئاتهم، أو من تسميهم "النشطاء"، سواء أكانوا شبابا وفتيات، أو حتى ممن يعتبرون من "الدعاة" و"الحقوقيين" ونحوهم.

تقول كلينتون: "هذه الأجندة التقنية أضحت جزءا من الجهود التي تبذلها وزارة الخارجية، والسياسة الخارجية الأمريكية للدخول في القرن ٢١ ... إنها القوة في العالم الشبكي"، فعلى ماذا تعتمد هذه القوة يا ترى؟

إن "مفهوم الشبكية هذا مرتبط ببنية شبكة الإنترنت ذاتها، إنها أكبر من مجرد كونها شبكة إنترنت" إن هذا المفهوم يتعاطى ويتفاعل ويشير إلى "التعاون الجماعي، والتواصل بين أفراد المجتمع" داخل مجموعاتهم المتجانسة، أو التي تقوم بتكوين وتكييف هذا التجانس فيما بينها، وصولا حتى إلى القدرة على إدارة "الصراع بين التيارات داخل المجتمعات". فعالم الشبكات هذا يتميز بالتنوع والعالمية" أي أنه يربط بين المجموعات المتجانسة عالميا متجاوزا الحدود، حتى وإن كانت هذه المجموعات في دول مختلفة، ما يمكن من "التوسعية، والفرص من خلال هذا الترابط العالمي" .. إنها العولمة بكل تجلياتها.

أقرت كلينتون إذن بأن "الأجندة التقنية" هي في قائمة أولويات وزارتها السابقة، لكن السؤال الذي يتبادر للأذهان، أي قسم في وزارة الخارجية يتولى التعاطي مع مثل هذه العمليات الحساسة والخطيرة؟

لقد أنشأت الولايات المتحدة عام ١٩٥٣ وبقرار من الرئيس "أيزنهاور" وكالة المعلومات الأمريكية المتخصصة بممارسة العمليات الدبلوماسية الشعبية الأمريكية، التي تم إنشاؤها تحت مسمى (هيئة خدمات المعلومات الأمريكية .S.Information Services) ثم قام الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" بتغيير اسمها عام ١٩٧٨ إلى (هيئة الاتصال الدولي International Communication Agency) وفي عام ١٩٨٢ قام الرئيس "ريغان" بإعادة الاسم مرة أخرى ليصبح "الوكالة الأمريكية للمعلومات"، وهو ما يدلل بشكل جلي على الاهتمام المباشر والمراجعة المستمرة لعمل هذه الوكالة من أعلى سلطة في الدولة، لما لها من فوائد ملموسة في عمليات اتخاذ القرارات، وتنفيذ السياسات على الأرض، إذ يأتي في مقدمة أهداف تأسيس هذه الوكالة حسب ما هو معلن: "التعريف بالقيم الأمريكية وضمان معرفة الشعوب لها، وشرح السياسات الأمريكية بصورة مفهومة لشعوب الدول الأخرى، وعزل المتطرفين الكارهين للولايات المتحدة، وتقديم النصح للرئيس الأمريكي والسياسيين بشأن اتجاهات الجمهور في الدول الأخرى، خاصة تلك التي لها تأثير مباشر في فاعلية السياسة

• حينما ينفصل المُستخدِم لشبكات التواصَل الاجتماعي عن بيئته الإنسانية والاجتماعية يصبح فريسةً وهدفًا لبنك الأهداف الأميركية والصهيونية.



الأمريكية، ومساعدة أفراد الشعب الأمريكي على بناء علاقات طويلة المدى مع أقرانهم في الدول الأخرى، ومحاولة الوصول إلى مفاهيم مشتركة عبر ممارسة الدبلوماسية الشعبية "الدبلوماسية العامة" والتوجه بالحوار نحو القطاعات غير الحكومية". وقد جرى إدماج هذه الوكالة فيما بعد بوزارة الخارجية الأمريكية لأهداف لوجستية، تساعدها على تخطي الكثير من العقبات. ويبدو أنها المعنية بما تسميه كلينتون "الدبلوماسية الرقمية".

شبكة الإنترنت المظلمة[(١)].

ما لا يدركه العديد منا هو أن تلك الشبكة العنكبوتية التي نستخدمها للتواصل مع الآخرين، وللحصول على المعلومة المفيدة، وللالتحاق بمؤسسات التعليم، ولممارسة الأنشطة التجارية والمالية المشروعة، ليست سوى واجهة تخفي وراءها شبكتين أخريين على درجة عالية جدا من الخطورة وهما: الشابكة المظلمة Dark Internet والشابكة العميقة Deep Internet . وبداية معرفتنا بهاتين الشبكتين كانت في شهر أغسطس ٢٠١٥، عندما تداولت وسائل الإعلام الغربية خبر سرقة مجموعة من القراصنة الإلكترونيين كميات ضخمة من المعلومات والملفات من موقع أميركي شهير على شبكة الإنترنت للتعارف بين الرجال والنساء، ثم قام هؤلاء القراصنة بحفظ تلك المعلومات والملفات فيما يسمى بالشابكة العميقة، مهددين باستخراجها وفضح مستخدمي الموقع.

والشابكة العميقة هي مجموعة من المواقع الإلكترونية المنظورة أمام مستخدمي الإنترنت، ولكنها تخفي عنوانها الإلكتروني، IP الخاص بها، مما يجعل من الصعب جداً تتبع أماكن وجود جهاز الحاسوب الرئيسي الذي يدير تلك المواقع، وبالتالي معرفة أصحابها. كما أن تلك المواقع لا يستطيع أحد العثور عليها في محركات البحث على الشابكة. ومن أشهر المواقع الإلكترونية التي تستخدم تقنية الشابكة=الإنترنت العميقة موقع (طريق الحرير)، وهو موقع بيع وشراء المخدرات. وفي الوقت نفسه، قد يستخدم الإنترنت العميقة أفراد بعض المجتمعات التي تعاني من الحكم الشمولي والديكتاتورية والظلم، وذلك للتواصل فيما بينهم وبين أفراد من خارج دولهم، وذلك في محاولة للتعبير عن آرائهم بعيداً عن السلطة الحاكمة.

وتُعتبر الشابكة المظلمة جزءاً من الشابكة العميقة، وهي تعني الشبكات وقواعد المعلومات والمواقع، والتي من المستحيل الوصول إليها وغير منظورة أصلاً أمامنا، وذلك لأسباب ذات تقنية على درجة عالية من التقدم والتعقيد، أو لأنها مصممة أصلاً للاستخدام من قبل مجموعة محددة من الأشخاص. وفي كلتا الحالتين، فإن الشابكة العميقة والشابكة المظلمة هما عالم خطير وسري إلكتروني يتم استخدامهما من قبل أشخاص لا يريدون الظهور علناً، كما يحرصون على عدم تتبع أماكن وجودهم.

وبطبيعة الحال ينتمي غالبية هؤلاء الأفراد للجماعات الإرهابية التي تعمل في الخفاء للتواصل بين أفرادها ونقل المعلومات الخاصة بالأنشطة الإرهابية بعيداً عن أعين الجهات الأمنية. وقد قامت الحكومة البريطانية أواخر العام الماضي بتأسيس وحدة خاصة بالجرائم الإلكترونية مهمتها الوحيدة هي تتبع مواقع ومستخدمي شبكة الشابكة المظلمة، ويشمل ذلك الجماعات الإرهابية والمنظمات الإجرامية وعصابات تهريب البشر.

وبالتالي نحن لم نعد أمام خطر تمثله بعض

---

(١) د. عبدالله محمد الشيبة – موقع نقطة واول السطر – ٢٠١٦/٤/١١.



مواقع التواصل الاجتماعي التي تستخدمها الجماعات الإرهابية لترغيب انضمام الأفراد لها فقط، بل أصبحنا أمـام خطر مضاعف تمثله تلك المواقع المكشوفة أمام أولياء الأمور، إضافة للمواقع غير المنظورة أمامنا والموجودة في شبكة الإنترنت المظلمة، والتي يستخدمها أعضاء الجماعات الإرهابية لنقل التوجيهات والمعلومات بطريقة من المستحيل مراقبتها من قبل غالبية الجهات الأمنية، فما بالنا بإمكانات وقدرات الآباء والأمهات العاديين. ولذلك أرى أنه من الضروري جداً قيام وسائل الإعلام الوطنية والمؤسسات التعليمية بإعداد وتنفيذ حملة توعية مستمرة تكشف مخاطر مواقع الشابكة المظلمة واالشابكة العميقة للشباب والأطفال خاصة، وأولياء الأمور عامة، حتى نعلم كيف نتعامل مع الخطر الكامن قبل الخطر المكشوف للجماعات الإرهابية.

●● ٥- عمليات التجسس وجمع المعلومات:

اخطر برنامج تجسس رقمي يُشّغل من قبل وكالة NSA منذ ٢٠٠٧

في يونيو ٢٠١٣، سرّب إدوارد سنودين Snowdenوهو عميل متعاقد مع وكالة الأمن القومي NSA، مستندات تصف برنامج "بريسم PRISM" بأنه برنامج يتيح مراقبة معمقة للاتصالات الحية والمعلومات المخزنة. ويمكّن من استهداف أي عميل لشركة منخرطة في البرنامج له اتصالات تتضمن محتويات وبخاصة بأشخاص خارج الولايات المتحدة. البيانات التي يقال أن بريسم يمكِّن من الحصول عليها تتضمن: رسائل البريد الإلكتروني، ومحادثات الفيديو والصوت، والصور، والاتصالات الصوتية ببرتوكول الإنترنت، وعمليات نقل الملفات، وإخطارات الولوج وتفاصيل الشبكات الاجتماعية.

وقد خوّل البرنامج وكالة NSAاختراق الرسائل الالكترونية، والأحاديث الالكترونية الشات والمكالمات الصوتية وغيرها من الوثائق لأشخاص في الخارج وفي الداخل الاميركي. وكشفت الوثائق المسرّبة أن NSA كانت قادرة على الدخول مباشرة إلى الخوادم الخاصة لكل من مزوّدي الخدمات الأميركية: مايكروسوفت، ياهو، غوغل، آبل، فيسبوك، يوتيوب، سكايب، AOL ، وبالتوك. وبالإضافة إلى التواصل الالكتروني والملفات المحفوظة داخل خوادم أجهزة الكومبيوتر، وكشفت التسريبات أيضاً أن الوكالة كانت تتجسس على الاتصالات الهاتفية لعشرات ملايين الأميركيين من حاملي خطوط شركة فيريزون للاتصالات.

> **• لقد خوّل البرنامج " بريسم" وكالة NSA اختراق الرسائل الالكترونية، والشات والمكالمات الصوتية وغيرها من الوثائق لأشخاص خارج وداخل الولايات المتحدة.**

ردود فعل دولية : قال "تونيو بورغ" المتحدث باسم المفوضية الأوروبية في البرلمان الأوروبي أن المفوضية ستطالب "بالتزام واضح من قبل الولايات المتحدة بشأن احترام الحق الأساسي لجميع المواطنين الأوروبيين بحماية معطياتهم الشخصية." وأشار إلى وجوب تمتع الأوروبيين بنفس الحقوق التي يتمتع بها المواطنون الأمريكيون.

يذكر أن المشروع بدأ في سنة ٢٠٠٧ و بسرية تامة، و أول من شارك به كان شركة مايكروسوفت ، ثم ياهو في ٢٠٠٨، ثم غوغل



و فيسبوك و بالتوك في ٢٠٠٩، ثم يوتيوب في ٢٠١٠ و سكايب و AOL في ٢٠١١ و في النهاية آبل في ٢٠١٢. و المشروع مستمر بالتوسع ليضم شركات أخرى و منها دروب بوكس بحسب الوثيقة، وهو ما يثير قلق المستخدمين بشكل كبير حتى أنه أعتبر (أكبر فضيحة في تاريخ الإنترنت.)

و أكثر ما يثير الجدل هو أن هذا البرنامج يمكن وكالات الإستخبارات على الحصول على ما تريد من معلومات بدون مذكرة أو تصريح رسمي و بدون الحاجة إلى إذن من الشركات المشاركة بالمشروع، مما يعد خرقاً كبيراً للخصوصية.

يذكر ان "سنودن" سرّب معلومات سريّة للغاية تشير إلى أن وكالة NSA متورطة بأكثر من ٦١ الف عملية قرصنة على شركات وأشخاص وحكومات[١].

يعد برنامج PRISM وريث لتاريخ من التحالفات الاستخباراتية مع حوالى ١٠٠ شركة أمريكية موثوق بها منذ السبعينيات، وتشير التقارير بأن هذا البرنامج يعد الأحدث في برامج التجسس حتى الآن. وربما يكون الأول من نوعه. وتتباهى وكالة الأمن القومي بسرقة أسرار وفك شفرات.

وقد حاول الرئيس الأميركي باراك أوباما امتصاص صدمة حلفائه على "فضيحة التجسس" بقوله بأنهم "يتجسسون أيضا، فدعونا نتحاور.." الملاحظ لغاية الآن من ردود فعل المسؤولين الأمريكيين على فضحية التجسس هو أنهم يبررون هذا الفعل ضمن سياق "مكافحة الإرهاب" على خلفية هجمات سبتمبر ٢٠٠١، وبالتالي، فإن ما تقوم به وكالة الاستخبارات الامريكية يستند إلى القول الدارج في السياسة الميكافيلية وهي "الغاية تبرر الوسيلة". لهذا نرى الادارة الأمريكية تصرّح بأنها تقوم بعملية مراجعة شاملة لأساليب جمع المعلومات الاستخباراتية؛ وبنفس الوقت تقوم بتذكير أصدقائها وحلفائها بأهمّيّة التجسّس الذي تشاركهم فيه.

لاتزال فضيحة التجسس "برنامج بريزم" محط اهتمام العديد من الحكومات ووسائل الإعلام العالمية والكثير من المنظمات الحقوقية التي أدانت مثل هكذا أعمال باعتبارها انتهاك سافر للحريات التي تروج لها الاداره الأمريكية، ويرى بعض المراقبين ان هذه الفضيحة وبالإضافة الى ما ترتب من انتقادات داخلية ربما ستسهم بخلق أزمة دبلوماسية بين الولايات المتحدة وبعض دول العالم ومنها حلفاء امريكا التي أثبتت الوثائق أنهم كانوا من ضمن المشمولين بهذا المشروع.

يذكر ان صحيفة "الجارديان" البريطانية نشرت خريطة عالمية توضح نطاق برنامج التجسس بريزم على دول العالم من خلال نظام الألوان، وتبين أن الدول المظللة بالأخضر هي الدول (الأقل تعرضًا للمراقبة) ثم بعد ذلك الأصفر يليه البرتقالي إلى الأحمر وهي الدول الأكثر المراقبة. وتكشف خريطة الحرارة الموجودة على الخريطة مقدار البيانات التي يتم جمعها من جميع أنحاء العالم في ٢٠٠٧ حيث كانت إيران هي البلد الذي جمع منه أكبر قدر من التقارير (١٤ مليار تقرير) تليها باكستان (١٣,٥ مليار تقرير) ثم

---

(١) اعترفت الحكومة الامريكية باستخدامها برنامج PRISM على اكثر من ٣٥ دولة لكنها نفت أن يكون البرنامج للتجسس على المواطنين في داخل امريكا وكعادتها تصرح أنه يهدف فقط الى التجسس على الموجودين خارج الولايات المتحدة الامريكية والمشروع مبني أصليا من أجل حماية المواطينها من الإرهاب (وهذا الأمر إعتادت أمريكا قوله عندما يكشف عنها مشروع خارق للخصوصية أو القانون) – معهد العربية للدراسات.



الاردن (١٢,٧ مليار تقرير) ومصر (٧,٦مليار تقرير) والهند (٦,٣ مليار تقرير).

واضافت صحيفة واشنطن بوست ان موظفا سابقا في الاستخبارات "عمل مباشرة على هذه البرامج ويعلم بمدى قدراتها المخيفة" هو من سرب المعلومات. ونقلت عن الموظف قوله ان هذه البرامج "بوسعها ان تتابع افكار الشخص وهو يطبع الكلمات على الشاشة امامه".

لقد أدرك العالم مبكرًا ما تفعله أمريكا بشركات الانترنت لديها[١] لكن ما لم يكن يدركه هو حجم الرغبة الامريكية في الذهاب بعيدا في ملف التجسس. لقد سبق للبرلمان الأوروبي سنة ٢٠٠٠ ان اصدر تقريرا يتهم فيه الولايات المتحدة بمراقبة المكالمات، والفاكسات، والبريد الإلكتروني لشركات أوروبية من خلال برنامج تجسس يسمى "إيشلون"، وردًا على الاتهامات الأوروبية، أعلنت الولايات المتحدة إنهاء العمل بالبرنامج تماما في سبتمبر ٢٠٠٢. لكن بدا ان انهاء واشنطن العمل بالبرنامج كان لكونها كانت تمتلك أدوات تجسسية أخرى!

يظهر أن الولايات المتحدة تطبق سيطرتها التجسسية على العالم "مواطنين ومسؤولين"، لكن ما يدعو إلى الريبة أن المسؤولين الامريكيين لم يظهروا ندما كافيا على ما فعلوه، بل إن "نيويورك تايمز" نقلت في احد تقاريرها تأكيد أن المسؤولين الأمريكيين يرون ضرورة مواصلة التجسس على الدول!

في هذا السياق كتبت صحيفة التحرير المصرية الالكترونية[٢] : قليل من الناس يفهمون حقًا ما تقوم به وكالة NSA على أرض الواقع، لذا فقد خرج الجنرال "مايكل هايدن" (المدير السابق لـ CIA ، NSA) ليكشف الحقيقة التى تضمنت اعترافه بفضائح التجسس علنًا حيث قال في تصريحات نشرها موقع "CNN Money"، خلال مشاركته في مؤتمر الأمن السيبراتي في ميامي الأمريكية " نحن نسرق أشياء الآخرين على الإنترنت". وأضاف " حكومة كل بلد تتجسس على الناس والحكومات الأخرى، ولكن جواسيس أمريكا هم الأفضل".

وقد توالت التقارير التي تؤكد ان عمليات التجسس الامريكي لم تقتصر على الاوروبيين وحدهم، بل استهدفت منظمات الامم المتحدة نفسها وهو ما أشار إليه العميل الأميركي السابق "توماس دريك" وخبير شؤون الاستخبارات النمساوي "سيجفريد بيير".

• سرّب "سنودن" معلومات سريّة للغاية تشير إلى أن وكالة NSA متورطة بأكثر من ٦١ الف عملية قرصنة على شركات وأشخاص وحكومات.

• المدير السابق لـ CIA ، NSA «مايكل هايدن» : نحن نسرق أشياء الآخرين على الإنترنت، وحكومة كل بلد تتجسس على الناس والحكومات الأخرى، ولكن جواسيس أمريكا هم الأفضل!

(١) معهد العربية للدراسات - الاختراق المعلوماتي والتجسس الأمريكي على العالم... الأبعاد والتداعيات- خالد وليد محمود.

(٢) صحيفة التحرير ٢٠١٦/١/١٤.



تجسس NSA على ١٨١ مليون رسالة إلكترونية وملفات صوتية ومرئية خلال شهر واحد[١]

أفادت صحيفة «واشنطن بوست» نقلا عن وثائق حصلت عليها من المستشار السابق للوكالة "إدوارد سنودن" أن البرنامج المعروف باسم «ماسكيولار» الذي تطبقه الوكالة بالتعاون مع «هيئة الاتصالات الحكومية» البريطانية المسؤولة عن التنصت الإلكتروني، يسمح للوكالتين باعتراض البيانات عن كابلات الألياف البصرية التي تستخدمها شركتا الإنترنت العملاقتان(جوجل و ياهو) وبحسب إحدى الوثائق السرية المسربة، فقد جرى جمع نحو ١٨١ مليون بيان خلال شهر كانون الثاني وحده، من ضمنها بيانات رسائل إلكترونية ونصوص وملفات صوتية وأشرطة فيديو. وتشير الوثيقة إلى أن عمليات الاعتراض تجري خارج الولايات المتحدة، وبفضل تعاون مزود اتصالات لم يكشف عن اسمه. وتسمح ممارسة NSA أنشطتها خارج الولايات المتحدة، بالتحرك ضمن هامش أوسع منه داخل البلاد، حيث يتحتم عليها الحصول على قرارات قضائية قبل القيام بعمليات اعتراض مماثلة.

وقد أكد المسؤول القانوني في محرك «غوغل»، ديفيد دراموند، أن مجموعته غير ضالعة في أي عمليات اعتراض. وقال في بيان «إننا قلقون منذ زمن طويل حيال احتمال وجود هذا النوع من المراقبة، ولذلك عملنا بشكل متواصل على توسيع الترميز ليشمل عددا متزايدا من خدمات (غوغل) وروابطها، ولا سيما الروابط المدرجة في الرسم الذي نشرته «واشنطن بوست»». وتابع: «إننا لا نسمح بالدخول إلى أنظمتنا لأي حكومة، بما في ذلك الحكومة الأميركية. ومدى عمليات الاعتراض التي تقوم بها الحكومة انطلاقا من شبكاتنا الخاصة من الألياف البصرية يثير صدمتنا».

---

(١) صحيفة الشرق الاوسط – ٢٠١٣/١١/١.

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

الفصل الثاني :

القوة الناعمة لدى بعض البلدان

المبحث الاول: القوة الناعمة المصرية[1]

(١) د. مصطفى اللباد - صحيفة الجريدة الكويتية

يطول الحديث دائماً عن مصر وقوتها الناعمة، ويبدو أن هناك اتفاقاً عاماً بين المثقفين المصريين على أفضلية القوة الناعمة لرفد الدور المصري في المنطقة، وبشكل يعيد النقاش في أغلب الحالات إلى المرتكزات الأساسية لنظرية 'القوة الناعمة' التي صاغها جوزيف ناي. تتحدد مراكز الدول في النظام الدولي والإقليمي طبقاً لنظرية 'القوة الناعمة'، عبر قياس مجموعة من العوامل من أهمها: الدفاع، والاقتصاد، والتكنولوجيا، والتعاون الدولي، والمساحة الجغرافية، وعدد السكان، والديمقراطية، واللغة، والثقافة، والتاريخ المشترك، وكما يتضح فإن عناصر القوة الصلبة مثل القدرات الدفاعية والاقتصادية والتكنولوجيا والتعاون الدولي يمكن قياسها وفقاً لبيانات إحصائية متوافرة، مثلما يمكن معرفة المساحة الجغرافية للدول المختلفة وعدد السكان فيها، ولكن عنصر الديمقراطية وجاذبيتها لا يمكن قياسها وفقاً لبيانات إحصائية، كما أن عامل اللغة وتأثيرها على الرأي العام الإقليمي هو عامل حاسم في توجيه الرسائل السياسية والثقافية، والمثال الساطع هنا هو قدرة مصر على مخاطبة أوسع الشرائح السكانية باللغة العربية، مثلما تملك مصر تاريخاً مشتركاً مع المنطقة، واستمر الدور المصري قائماً طوال التاريخ وتتوج دوماً بالأبعاد الثقافية قبل العناصر العسكرية والاقتصادية.

صاغت الثقافة المصرية في العصر الحديث جانباً كبيراً من وعي ووجدان الشعوب العربية عبر أعلامها في الأدب والفنون والثقافة، ورموزها الفكرية في العلوم الطبيعية والإنسانية، وعندما نقارن إمكانات مصر- رغم تراجع مكانتها الإقليمية وغياب عناصر قوتها الصلبة- مع إمكانات 'إسرائيل' مثلاً وبالتحديد في عوامل اللغة وتأثيرها على الإقليم، والعوامل الثقافية والتاريخ المشترك، نجد أن 'إسرائيل' لا تملك تاريخاً مشتركاً مع شعوب المنطقة، ولا حتى لغة مشتركة، ناهيك عن عدم وجود عوامل ثقافية غالبة لديها. وبالتالي فحتى لو امتلكت 'إسرائيل' آلاف الرؤوس النووية، واستمرت ترسخ في تحالفاتها الدولية وقدراتها العسكرية والتكنولوجية فلا يمكن قبولها في الإقليم بمعطيات العلوم السياسية والمواقف الفكرية، كما لا يمكن لدولة الاحتلال الصهيوني أن تنافس مصر في الأبعاد الثلاثة المذكورة.

تملك مصر بفضل حيوية سكانها ومثقفيها



أكثرية عناصر القوة الناعمة في الإقليم حتى الآن، ففيها يتم إنتاج أكبر عدد من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية- مع الاعـتراف بـتراجـع مستواهـا، مثلما تملك مصر أكبر عدد من الكتب والمقالات العلمية المنشورة، مع التنويه بأن الكثير منها لم يعد في مستوى الإنتاج الفكري في السابق، وأن كتب الدجل والشعوذة تنتشر انتشاراً غير مسبوق على الأرصفة، وبالرغم من عوامل التراجع الكثيرة فمازالت اللهجة المصرية هي أوسع اللهجات العربية انتشاراً، وينتمي أغلب الحائزين على الجوائز الأدبية والفنية في المنطقة إلى مصر، وفي أرض الكنانة يعقد عدد كبير من الأنشطة الثقافية في الوطن العربي- حتى مع عشوائية الكثير منها و'الشللية' المهيمنة عليها، وأخيراً فإن مصر تجتذب سنوياً أكبر عدد من السياح العرب مقارنة بغيرها من الدول العربية.

وبالتوازي مع إخفاقات النظام السياسي المصري اقتصادياً وتكنولوجياً، بحيث يتردى الوضع سنة بعد أخرى بشكل ملحوظ، لا يتبق من مكانة مصر الإقليمية إلا عناصر 'القوة الناعمة'، وأساسها هو القبول المتبقي للثقافة المصرية لدى شعوب المنطقة، ومع صعود أدوار إقليمية وهبوط أخرى، وهو جدل تاريخي يظل محتدماً طالما بقي التاريخ وبقيت الدول، لا يصح ولا يستقيم الانحدار بالدبلوماسية العامة المصرية إلى مستوى الحملات الإعلامية الركيكة، قصيرة النفس والنظر، وثقيلة الظل.

يقول منطق التنافس الإقليمي إن البقاء في حلبة التنافس يتطلب توافر ثلاثة شروط أساسية هي: أولاً، توافر حد أدنى من الصمود في وجه الضغوط الدولية، وثانياً، تبني الأجندة الوطنية قبل أجندات القوى الأخرى، وثالثاً، تغليب اعتبارات المصلحة الوطنية المصرية على ما سواها من اعتبارات، ولذلك لن تتمكن الحملات الإعلامية ضد المنافسين الإقليميين، مع عدم توافر الشروط الثلاثة، من إعادة الدور المصري إلى سابق عهده، لكنها ستبدد البقية الباقية من عناصر 'القوة الناعمة' المصرية في الإقليم، لأنها تفتقر إلى المكون الأساسي للقوة المصرية الناعمة: خفة الظل!

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

المبحث الثاني: القوة الناعمة التركية الجديدة[١]

(١) د. باسم الطويسي - جريدة الغد الاردنية-٦ تشرين الأول ٢٠٠٩.

بعد تهيئة سياسية جريئة؛ نلاحظ أن الانعطاف الاستراتيجي في السياسة الخارجية التركية أخذ منذ سنوات بالدخول في لعبة التنافس على استخدام وتوظيف القوة الناعمة في مخاطبة الرأي العام العربي، وذلك باستخدام أدوات الإعلام والثقافة والدبلوماسية الناعمة.

الأسبوع الماضي أطلقت "الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون التركية " قناة تلفزيونية جديدة (TRT٧) ناطقة باللغة العربية لتكون القناة الأخيرة في سلسلة قنوات رسمية موجهة من دول كبرى وإقليمية هدفها التحدث للرأي العام العربي.

خلال حرب غزة الأخيرة صعد نجم النخبة التركية الحاكمة، وكانت الأكثر قرباً من وجدان



الشارع العربي ووعيه بل أن الحدة التي خاطب فيها أوردغـان إسرائيل والـرأي العام الدولي كانت صادمة للعرب أنفسهم ، كان اروDغـان بطل تمرين تعبوي واسع ومفاجئ بأسلحة الدبلوماسية الناعمة

في حين شكلت ردود الفعل الـتـي أثـارتـهـا المسلسلات الدرامية التركية التي بثتها قنوات عربية بسخاء ومن خـلال نسخ مدبلجة منذ عدة سنوات قليلة حالة من الإثـارة والنقاش العام ونسبة مشاهدة عالية وحالة تماهي مع الأبطال والبطلات، من منظور إعلامي يمكن أن نفسر ذلك بما تقدمه هذه الدراما من رومانسية عالية ونمط حياة مختلف فيه درجة من الانفتاح وفي مخيلة المشاهد صفة المجتمع المسلم، لكنها كالعادة موجة إعلامية تتلاشى إذ لم تكن خلفها إرادة سياسية.

وإذا ما عدنا إلى القناة الجديدة التي لن تكتفي بتقديم نمط الحـيـاة التركية الـذي يجمع بين التقاليد والانفتاح الغربي في مجتمع إسلامي عملي، ولن تكتفي أيضاً بعرض الطبيعة في هـذا البلد الشاسع والمتنوع بل سوف تقدم صوت تركيا الرسمي، فـان من المتوقع أن تكون هذه القناة رأس حربة موجه من عناصر القوة الناعمة الجديدة التي تحتاجها التحولات الاستراتيجية التركية في المجال العربي وأهم أهدافها بناء صورة ذهنية جديدة تحل مكان صورة تركيا العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في الذاكرة والمخيلة العربية.

من الأهـداف الأخـرى للقوة الناعمة التركية تسويق نمط حياة جديد وسط المجتمعات العربية يجمع بين التقاليد الإسلامية والقيم الغربية بـالإضافة إلى الترويج لقيم سياسية جديدة، إذا ما علمنا أن تجربة الإسلاميين الأتـراك في الحكم تثير إعجاب نخبة واسعة من قادة الـرأي وحتى داخـل المجتمعات السياسية العربية.

الميلاد الجديد للدولة التركية يعني من زاوية أخرى، ربما هي الأهم، أن الدولة التركية تتأهل لـدور كبير منتظر على الصعيد الدولي والإقـلـيـمـي، تبدو ملامحه في الالتقاء تارة والتقاطع تارة أخــرى مـع أفـكـار ومـشـاريـع غربية وإقـلـيـمـيـة طـالـمـاً اسـتـبـقـت نـقـاشـاً ولم تـر الـنـور، لقد مـارس حزب العدالة والـتـنـمـيـة خـلال وجـوده في السلطة سياسة خارجية إقليمية ودولـيـة تتحلى بالكثير من التوازن والانضباط ، ويكفي أن نراجع مواقف تركيا السياسية منذ عام ٢٠٠٢ حيال القضايا الشرق أوسطية.

• تـمـلـك مصـر أكـثـريـة عـنـاصـر الـقـوة الـنـاعـمـة في الإقـلـيـم، ففيها يتم إنـتـاج أكـبـر عـدد من الأفـلام السينمائية والمـسـلـسـلات التلفزيونية، وتملك أكـبـر عـدد من الـكـتـب والمـقـالات العلمية المنشورة.

الـدور المقبل لتركيا الجديـدة لن يعتمد على القوة الصلبة وحدها، بل ان أهم مفصل فيه كما يبدو سيكون في كفاءة استخدام القوة الناعمة من خلال الدبلوماسية الناعمة والدبلوماسية الشعبية والثقافة والإعلام، والمهمة التركية لن تكتفي برسم صورة جديدة للأتراك ودولتهم بل ستتجسد في نشر قيم سياسية وثقافية جديدة تدشن البنية التحتية للشرق الأوسط الجديد الذي يعتقد الكثيرون أنه فكرة قيلت وماتت.

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊



المبحث الثالث: القوّة الناعمة السعودية [١]

(١) يوسف أحمد – صحيفة الرياض السعودية – ١١ فبراير ٢٠٠٨م.

استخدمت أوروبا سلاح (القوة الناعمة) حتى قبل ظهور هذا المصطلح عبر وسائل متعددة، مثل حملات التبشير، والتطبيب، والصلات الثقافية بين الشرق والغرب على مستوى الشعوب، والبعثات التعليمية، والاستشراق، ثم الاذاعات الموجهّة للشرق، كأدوات فعّالة لفهم الشعوب، والتأثير عليها، وكسب تعاطف شعوبها.

ثم تطوّر مفهوم القوّة الناعمة، وتم تحديث أساليبه ليصبح في يد الدول الغربية سلاحاً أكثر فتكاً وتأثيراً.. بل وتحوّل إلى علم وفن يُدرّس في الجامعات، وأصبح سياسة مُعلنة لتلك الدول، كان آخر تقليعاتها إحداث منصب سياسي رفيع، في وزارة الخارجية الأمريكية، باسم (مساعد وزير للدبلوماسية العامة).

اننا نتذكر عندما ضرب الإرهاب أمريكا، فإنها لم تكتف باستخدام آلتها العسكرية لضرب أفغانستان وطالبان والعراق، بل تعدى ذلك إلى إطلاق مختلف أنواع أسلحة القوة (الناعمة) للتأثير على دول وشعوب المنطقة، ومن ذلك: إطلاق مشروعات الحريّات المدنية، ونشر الديموقراطية على الطريقة الأمريكية، وتبني سياسة الفوضى الخلاّقة، وتقديم المساعدات المادية، وإطلاق المحطات التلفزيونية والإذاعية مثل (سوا) و(الحرّة) والسماح للبعثات الطلابية بالعودة إلى أراضيها من الدول التي ترى أن من مصلحتها استمالة شعوبها على المدى البعيد، وكذلك مضاعفة نشاطات سفاراتها في الخارج.

إن المملكة السعودية تتوفر على قوة ناعمة هائلة، ولكنها لم تستغلها الاستغلال الأمثل.. ومن الأمثلة على ضعف استغلال قوتنا الناعمة، أنه بالرغم من أنه تربطنا علاقات استراتيجية وسياسية وعسكرية واقتصادية مع الولايات المتحدة منذ أكثر من (٧٠) عاماً، وأكبر شريك تجاري للمملكة منذ نصف قرن، إلا أن العلاقات مازالت (محصورة) على المستوى الرسمي، وفي (البيت الأبيض) تحديداً، ولم نستغل هذه العلاقة، والنفوذ المترتب عليها، لبناء أواصر وصلات حقيقية على مستوى المؤسسات التشريعية (الكونغرس)، أو المؤسسات الثقافية، والقوى الشعبية، ومختلف فعاليات المجتمع المدني، كما تفعل إسرائيل عبر أقوى جماعة ضغط (إيباك).

مثال آخر: كم أنفقت المملكة سخياً عبر السنين على الدول الأخرى، ومع ذلك لم تؤت هذه المساعدات أُكلها بما يتناسب مع حجم ما أُنفق، والسبب أن أغلبها كان مساعدات مادية مباشرة، وربما تستقر نسبة منها في جيوب من لا يستحقها، أو تضيع في دهاليز بيروقرطيات تلك الدول التي لم يُعرف عنها الكفاءة.. بينما دول أخرى جَنتء مكاسب سياسية هائلة، عندما وجهت مساعداتها عبر مؤسسات مشتركة، وتعاون مشترك، وفي سياق برامج محددة، ومشروعات معروفة كالصحة والتعليم والإسكان والتنمية والبُنى التحتية والمرافق..

والآن، ما الذي يمكن عمله لتفعيل القوة الناعمة السعودية؟

لدى المملكة مخزوناً هائلاً من القوّة الناعمة التي لم تُستثمر بعد، وتنتظر من صانع القرار السعودي إقرار إستراتيجيّة شاملة لهذا الغرض، ففي الفضاء الإسلامي، الذي لا يمكن أن ينافس المملكة أحد عليه، ويُعد أقوى أداة ناعمة كونها



حاضنة لقبلة المسلمين، التي يتجه إليها – يوميّاً – أكثر من مليار ونصف مسلم في صلواتهم خمس مرات، وفيها الحرمان الشريفان، ويحج إليها ويعتمر ملايين المسلمين سنويّاً، وهي مركز قوة الأغلبيّة السُنيّة في العالم الإسلامي.. ومع كل هذه المقوّمات والمزايا، إلا أن المملكة لم تستثمر هذه القوّة بما يتناسب مع هذه المزايا.. فالحج والعمرة ما زالا هاجساً أمنيّاً، وعبئاً إنفاقيّاً، ومشكلة (لوجستيّة)، أكثر من كونهما فرصة سياسية، وميزة اقتصاديّة، وقيمة ثقافيّة مُضافة، وبعداً أيدلوجّياً عميقاً للقوة السعوديّة الناعمة.

صحيح، أن هناك جهوداً لا تُنكر مثل الاستقبال الرسمي لكبار الضيوف، وندوة الحج الكبرى، ولكنها ما زالت محدودة المدّة والمدى والعدد والانتشار ونوعيّة الفعاليّات.. والمأمول أن يكون الحج والعمرة والزيارة مناسبات تستثمر الدولة فيها هذه القوّة بأبعادها الدينيّة والاستثماريّة والثقافيّة والاقتصاد المعرفي، لخدمة أهداف ومصالح المملكة العليا مع الدول الإسلامية على المدى البعيد.

وفي المجال الثقافي والإعلامّي، فإنهما معين لا ينضب إذا أُحسن التخطيط لهما، وتمت إدارتهما بطرق غير تقليديّة، وأُنفق عليهما بسخاء، يمكّنهما من إحداث التأثير المطلوب منهما على شعوب الدول المُستهدفة، وعلى المدى المتوسط والبعيد.. ومن الوسائل المحققّة لهذا الهدف إطلاق قنوات فضائيّة موجّهة للعالم، يكون منطلقها البرامجي (السعوديّة في عيون الآخرين) وليس في عيوننا في الداخل، وبإعلام مهنيّ واحترافي هدفه مخاطبة الآخرين، وليس أنفسنا.. وكذلك إنشاء (مراكز ثقافية) دائمة، مُلحقة بالسفارات السعوديّة في الخارج، لتكون حلقة وصل وحوار دائم بين حضارات وثقافات وشعوب دول العالم مع المملكة، خاصة في الدول التي يهّم المملكة أن يكون لها حضور دائم ومؤثّر في سياستها وتوجهّات شعوبها، وكذا توسيع وظيفة إذاعة (القرآن الكريم)، لتكون محطّة إسلاميّة ذات برامج دينيّة ودعويّة متنوّعة، ويشارك في دوراتها البرامجية أفضل الدعاة والفقهاء وأهل الفتيا الثقاة والمعتدلين، وتعمل على نشر ثقافة إسلاميّة (عالميّة) التوجّه، تعتمد على مبدأ الوسطيّة والتسامح والحوار مع الآخر.

ويندرج تحت هذه المنظومة، التي تحتاج إلى مزيد من التوسّع والدعم والإنفاق، الجوائز النوعية التي تقدّم للمبرزين من أنحاء العالم الإسلامي، والفعاليّات الخارجيّة مثل: معارض الكتب، والأسبوعيات الثقافيّة، وبرامج تبادل الزيارات على مستوى الوفود الشبابيّة والطلابيّة من مختلف أنحاء العالم، وعلى مستوى المثقفيّن والأدباء والنخب السياسّية.. ويرتبط بهذا البعد، أهمية الاهتمام بنشر اللغة العربية وتدريسها، من خلال المنح المجانية سواء داخل المملكة، أو عبر المراكز الثقافيّة في الخارج.. وكذا الأمر بالنسبة للمجال السياحي، الذي بدأت بُنيته التحتيّة تتشكّل مؤخراً، عبر الهيئة العليا للسياحة، التي لابد أن تأخذ بالاعتبار تصميم برامج سياحّية ذات

• تمتلك السعودية أقوى أداة ناعمة، كونها حاضنة لقبلة المسلمين، والحرمين الشريفين ويحج إليها ويعتمر ملايين المسلمين سنويّاً.

• بامكان السعودية استثمار الحج والعمرة لخدمة اهدافها ومصالحها العليا مع الدول الاسلامية.



طابع إسلامي، تكون موجّهة لفئات معينة من رعايا العالم الإسلامي، وبرامج أخرى موجّهة للعالم الغربي.

وفي المجال الدبلوماسي.. لقد تغيرّ التعريف التقليدي للسفير من كونه يمثّل رئيس الدولة في الشؤون السياسّية الثنائيّة المباشرة، إلى سفير يمثّل الدولة كجسم بمختلف مصالحها الاقتصاديّة والثقافيّة والسياسّية، ومن هنا، تأتي أهمية الانعتاق من الإسار التقليدي في نشاط السفارات، وفي اختيار السفراء، وضرورة العمل على (انتقائهم) من الأجيال الشابّة والمتعلّمة والمؤهلّة، التي تُتقن لغات الدول المُستهدفة ولغة العصر، وقادرة على (تسويق) القوّة الناعمة السعودية، وفقاً لطبيعة البلد المستهدف.. وكذا الأمر بالنسبة لمباني السفارات لتكون منصات تعبّر عن دور المملكة الحيّوي في العالم، وتخدم مصالحها الإستراتيجيّة، في عالم العولمة والانفتاح والانفجار المعلوماتي.

وفي دهاليز المنظمّات الدوليّة، أننا – على استحياء – في استثمار القوّة الناعمة السعوديّة، عندما تكون مقاّر تلك المنظمّات الإقليميّة أو الإسلامية لدينا، مثل: رابطة العالم الإسلامي، ومنظمّة المؤتمر الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية.

وفي مجال العمالة الوافدة، فإنها ذراع ينبغي ألاّ يُستهان بقدرته على بسط القوّة الناعمة السعوديّة، وخصوصاً بين الفئات المتعلّمة والماهرة من هذه العمالة، فالمعلوم أن (٧) ملايين وافد من أطباء ومهندسين ومعلوماتيّين ومحامين وأساتذة جامعات ومدرسين وإعلاميّين ومثقفيّن يمكن أن يكونوا أدوات ناعمة داعمة للقوة السعوديّة حول العالم، إذا أمكن احتواؤهم ضمن برامج ومناشط موجّهة لهم، ولأفراد أسرهم .

وفي المجال التعليمي، ينبغي أن نتوسّع في برامج المنح لأبناء العالم الإسلامي والأقليّات المسلمة، فهؤلاء سوف يكونون سفراء لنا في بلادهم، فالبعثات التعليميّة والمنح الدراسيّة والتدريبيّة أدوات طالما استخدمتها الدول المتقدمة لبسط نفوذها الناعم في العالم، فهؤلاء هم قيادات المستقبل في بلدانهم.

وفي مجال العمل الخيري والإغاثي والإنساني والتطوعي، فإن هذه – أيضاً – أذرعة تستخدمها جميع الدول لمدّ نفوذها الناعم عبر القارات، وهناك أعمال تطوعية مؤسسيّة ناجحة ومؤثّرة اضطلع بها المجتمع المدني بدعم مباشر من حكوماتهم مثل: (أطباء بلا حدود)، و(محامون بلا حدود)، ومنظمة (Oxfam).

ولا ينبغي علينا في المملكة، وكنتيجة لرّد فعل أحداث سبتمبر، أن (ننكفىء) على أنفسنا في الداخل بحجة إيثار السلامة ودفع الحرج، بل على العكس من ذلك، فالأمر – الآن – أصبح أكثر إلحاحاً من ذي قبل للانطلاق والتوسع في المجالات الخيريّة والإنسانيّة والتطوعيّة والإغاثيّة حول العالم، ولكن عبر عمل مؤسسّي منظّم ومُراقب ومُحكم وموثوق بمن يقوم على شأنه، وليس نشاطاً فرديّاً كثير الأخطاء والزلاّت والإحراج السياسي، كما كان في السابق، عندما تُرك الحبل على القارب..

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

جيش الفضاء " الإلكتروني " الإيراني[1]

تحاول النخب السياسية والعسكرية ، إضافة إلى الإعلام الإيراني إبراز قوة الجيش الفضاء الافتراضي" الالكتروني " الإيراني باعتباره من أقوى الجيوش الالكترونية على المستوى العالمي ، وأنه جيش لا يقهر بحكم امتلاكه للكفاءات والخبرات، وقد أعلن قائد حرس الثورة الاسلامية اللواء جعفري" إيران ستستخدم كل أسلحتها في حربها ضد أعداء الثورة بما فيها الالكترونية ". في هذا الاطار اعترفت إسرائيل " أنّ الإيرانيين يملكون سجلاً حافلاً من الانجازات في مجال الحرب الإلكترونيّة، حيث تمكّنوا من تحقيق انجاز وصف بالمذهل تمثل في إبطال عمل هيئة القيادة التي تتحكم في تشغيل وتوجيه الطائرات بدون طيار الأميركيّة العاملة في العراق، مع العلم أنّ مقر هذه الهيئة موجود في قاعدة عسكرية داخل الولايات المتحدة، ونقلت وسائل الاعلام الإيرانية اعتراف اسرائيل أنّ أيّ حرب إلكترونيّة تُشّن على الكيان الصهيوني يُمكن أنْ تُحدث أضرارًا إستراتيجية ، بل يمكن أن يمتد للقطاع البنكي من خلال استهداف بطاقات الائتمان، واعتبرت هذه الحرب الإلكترونيّة هي أمر دفاعي مشروع ، وأنها من أبرز ثمار ثورة تكنولوجيا المعلومات والإنترنت الذي حققه شباب الثورة المجاهد ". ومؤخرا كرر اللواء جعفري الحديث عن الحرب الالكترونية ، معتبراً إياها بأنها من أبرز انجازات الأعمال الكبرى التي طورتها إيران ، مشيرا إلى ضرورة إحتياجه إلى ادارة جهادية، مؤكداً رسالة الحرس الثوري في التصدي لجميع التهديدات العسكرية والناعمة ؛ خاصة في مجال الحرب الالكترونية ، حيث أكد على توقع إيران المستمر والدائم لمثل هذا النوع من التهديدات الخطيرة ، وأن الجيش السيبري الافتراضي ، قد أعد العدة للوقاية منها واحباطها.

أدركت إيران إلى أن مصلحتها ترتبط ارتباطا وثيقا من خلال التركيز على بناء القدرات الذاتية وتطوير قدرات وبرامج البرنامج الفضاء الافتراضي الإيراني من خلال الاعتماد على الذات أولاً وأخراً، فما هي قصة الجيش السايبري الإيراني Iranian Cyber Army" ، وكيف تشكل ؟ ماهي أسباب تشكيله وأبرز مهامه؟

> • اعترفت " إسرائيل " أنّ الإيرانيين يملكون سجلاً حافلاً من الانجازات في مجال الحرب الإلكترونيّة، ولعل اطلاق الاقمار الإصطناعية، وتعزيز قدرات الاتصال ،والقطاع الإلكتروني من أبرز ما حققه هذا القطاع لتعزيز قدراته .

الخطوة الأولى : تشكيله وتنظيمه

كانت البداية تشكيل كتيبة الحرب الالكترونية قد عهد فيها للجيش الإيراني، ثم نقل الملف إلى الحرس الثوري بحجة خطورة ما تواجهه إيران نتيجة للحرب الألكترونية ، خصوصا مع التطورات التي تمت في البرنامج النووي ،الصاروخي، والفضائي الإيراني" وهذا يشير

(١) د.نبيل العتوم – رئيس وحدة الدراسات الإيرانية/ مركز أمية للبحوث و الدراسات الاستراتيجية–٢٠١٥/٠٦/٢٤ والملاحظ ان بحث الكاتب غير واقعي في بعض الموارد وله كتابات معادية لايران غير هذا البحث.



لتنامي وقوة تأثير ما عانت منه إيران ، وقطاعاتها الحساسة ؛ لاسيما برنامجها النووي ، نتيجة للهجمات الإلكترونية التي تعاظمت وتطورت بشكل كبير، وإستهدفت العلماء والفنيين العاملين في هذا القطاع ؛ هذا عدا عن عمليات الاختراق والتجسس التي تعرضت لها القطاعات العسكرية والأمنية الإيرانية .

ركز الحرس الثوري الإيراني على ضرورة تبني استراتيجية عاجلة لإعادة بناء هذا الفيلق المؤمن بصورة جديدة من خلال توظيف واحتضان الكفاءات العلمية التي تمتلك القدرات والخبرات ؛ خصوصا أن إيران تمتلك من الموارد البشرية العلمية في الجامعات ومراكز الأبحاث لهذه الغاية ،مع ضرورة بناء مركز متخصص للتأهيل والتدريب، والاهتمام بمنهجية الاستفادة من تجارب الدول الأخرى بهذا المجال ، مع إيلاء الروح الوطنية والثورية ، وأهمية استقطاب الفئات التي لديها من الولاء والانتماء.

قبل سبع سنوات نشرت بعض وسائل الإعلام الإيرانية إعلانات للحاجة إلى تجنيد أعداداً كبيرة من التخصصات الخاصة بعلم الحاسوب بفروعه وإختصاصاته المختلفة، وركزت على مزايا هذه الوظائف ، مع إعطاء إمتيازات خاصة ، وغير مسبوقة للمتفوقين من الخريجين، وعممت هذا الاعلان على الجامعات الإيرانية. كذلك تم عقد مسابقة على مستوى ايران لاستقطاب المبدعين في علم الكمبيوتر ، وتم استقطاب ١٠٠٠٠ شخص مميز، ومبدع في هذا المجال .

الخطوة الثانية : اعادة تشكيل وهيكلة المجلس الأعلى للفضاء الإفتراضي وتدمجه مع برامج حيويه أخرى، وبات مشروع الفضاء الإلكتروني الإيراني واحداً من أهم القطاعات بالنسبة لإيران وتقدم خلال السنوات الاخيرة ، حيث قامت بانتهاج سياسة الدمج بين المؤسسات والهيئات العسكرية والمدنية المختصة بالمجال الفضائي والحروب الالكترونية. ولعل اطلاق الاقمار الإصطناعية، وتعزيز قدرات الاتصال ،والقطاع الإلكتروني من أبرز ما حققه هذا القطاع لتعزيز قدراته .

ومن صيغة الإعلان والتشكيل يبرز الدور المناط بهذا المجلس، والهيئة المكونة للمجلس تعود للتيار المحافظ ، ولا توجد هناك أية أسماء إصلاحية على الإطلاق من خلال استعراض الأسماء والنخب التي تشكل منها هذا المجلس والملفت أن المجلس تم اختياره على أسس سياسية ووظيفية اعتبارية ، وتم تعزيزه بعدد من الفنيين و المختصين بشأن الفضاء الالكتروني التقني ، وتم التكتم على العلماء العاملين لأهداف مخابراتية صرفة ، خاصة أن إيران حريصة على عدم إعطاء معلومات عن علمائها بعد اغتيال علمائها المشرفين على هذا القطاع وتم اتهام أجهزة استخبارات غربية وإسرائيلية .

السؤال المهم : لماذا تم انشاء المجلس الأعلى للفضاء الإفتراضي ، في تقديري أن ذلك يعود لأسباب داخلية إيرانية ، وهي متعلقة بـ:

١-أسباب سياسية لتجريد رئيس الجمهورية من السيطرة المباشرة عليه ؛ تحسباً من الإدارة الاصلاحية ، رغم أن هذه التغييرات كانت في عهد الرئيس المحافظ نجاد ، ومحاولة تركيز إدارة الفضاء وبرامجه بمرشد الثورة فقط ، حيث إستجدت تطورات سياسية داخلية قضت بضرورة إنشاء مجلس مستقل ومتكامل لإدارة الأبحاث في مجالات الفضاء والتقنيات المتعلقة به تابعة بشكل مباشر للمرشد ، بدلا من وكالة الفضاء الإيرانية التي كان يرأسها رئيس الجمهورية ، وبالتالي هذه الخطوة أسهمت

في تجريده من السيطرة على الوكالة التي تعنى بمجالات خطيرة وحساسة، حيث تتضمن الاستشعارعن بعد والتطوير في قطاعات شبكات الاتصالات، المعلومات ، الحرب الالكترونية ، وتقنيات الفضاء .

٢- أسباب تقنية متعلقة بتطوير برامج إيران في مجال التسلح ، الالكترونيات ، وعلوم الفضاء ، حيث برزت تطورات قضت بتكاتف مختلف الجهود والموارد ومؤسسات الدولة في هذا المجال ، حيث قامت الوكالة سابقا بعمل المشاريع التالية :

أ-أنشات الوكالة أداة الإطلاق للقمر الصناعي، وطورت منظومة الصواريخ الإيرانية ، قصيرة ومتوسطة المدى ، وحتى البعيدة، وبالتالي فإن إنشاء المجلس الفضائي ، سوف يسهم في حشد مختلف الجهود لمحاولة تطوير منظومة الصواريخ بعيدة المدى ، وبناء المنظومات الرادارية ، ومنظومة الاتصالات ، التعقب ، والرصد القادرة على الاختراق ، التشويش ، اجمالا سوف يكون المجلس غطاء لتطوير البرنامج الصاروخي برمته ، والطائرات المسيرة بدون طيار ، وبرامج الفضاء والتجسس، بحيث تتكامل قطاعات الدولة وأذرعها في هذا الجهد .

ب-نجحت الوكالة في إطلاق أول قمر صناعي هو قمر سينا ١، والذي أطلق على يد الروس أكتوبر ٢٠٠٥ على متن المركبة كوسمو ٣، وذلك يجعل إيران الدولة ٤٣ التي تطلق أقمارها، وفي ٢ فبراير ٢٠٠٩ أعلنت إيران نجاح عملية إطلاق أول قمر إيراني الصنع "أوميد". وهناك مشروع لتدشين قمر صناعي عسكري باسم "طلوع" إضافة إلى سلسلة أقمار "مصباح" ضمن سلسلتها١ و٢ و٣ هي أقمار صناعية لا تتوفر الكثير من المعلومات حولها ، لكن مصباح ١ سيطلق في المدار الأرضي المنخفض هدفه الأول جمع البيانات العسكرية والاستخباراتية بالمنطقة، وحسب الأرقام المعلنة فإن هذه الأقمار الثلاث كلفت إيران ٤ مليارات دولار حتى الآن[١]

ت- لا شك أن إيران سعت وتسعى من خلال تشكيل المجلس الفضائي إلى إيجاد ادارة مركزية للبيانات والمعلومات ، من هنا باتت المؤسسة العسكرية الإيرانية تسير وفق برنامج لتطوير واستغلال مشروعها الفضائي لأغراض عسكرية.

ولاشك بأن إيران أطلقت من خلال مشروعها الفضائي قمرا لديه قدرة على استخدامات مزدوجة كالاختراق، جمع المعلومات ، التشويش ، الاستطلاع الفضائي ، والمسح، وهذا الأمر سيتيح لإيران مراقبة المنشئات العسكرية في المنطقة ، وكذلك يفتح المجال لإيران في المستقبل لإطلاق أقمار صناعية أكثر تطوراً في هذا المجال.

• الباحث عباس مالكي: تتمثل مصادر القوة الناعمة الإيرانية في التشيع والديمقراطية والانتخابات وحقوق المراة والمجتمع المدني والتقاليد الايرانية والعلاقات العامة .

الخطوة الثالثة : تحديد مهام جيش الفضاء الافتراضي الإيراني :

تعتبر إيران نفسها واحدة من أهم سبعة دول في العالم تمتلك مثل هذه الشكل من التكنولوجيا في حرب المعلومات ، وقد بدأت موازنة هذا الجيش ب٧٥ مليون دولار ، وتضاعفت لتصل إلى ما يقرب من ٤٠٠ مليون

(١) نبيل العتوم ، البرنامج الصاروخي الإيراني ، دراسة علمية ، موقع قناة الآن ، ٢٠١٣.

دولار سنويا . وقد أنشأت إيران ما يشبه بمدينة متكامله (cybercity) وقد أعطيت صلاحيات واسعه لتتبع لها وزارة الاتصالات ، وهيئة الاتصالات الإيرانية الخاصة ، وقطاع الانترنت بشكل كامل ؛ وغدت المنظم للقطاعات النووية والعسكرية والأمنية والاستخبارية . واطلقت شعار " جن سايبرى " حرب الفضاء الالكتروني التي باتت تواجه إيران ، من جانب قوى الاستكبار العالمي ، وعملائها في المنطقة وقسمت الحرب التي تواجه إيران في هذا المجال إلى :

-الحرب العسكرية والاستخبارية لإختراق إيران

-حرب الاختراق وجمع المعلومات عن القطاعات الحيوية والحساسة التي تمثل عصب الدولة الإيرانية، ومحاولة تغيير المعلومات ، وتشويهها .

-الحرب النفسية ، ودعم عمليات التخريب ودعم المعارضة لإستهداف الثورة .

-الحرب الاعلامية بأشكالها المختلفة .

-الحرب الاجتماعية ، الثقافية ، الاقتصادية، والتجسس الصناعي

-الحرب على النخب السياسية ، العسكرية ، الأمنية ، ورجال الدين ومراجع التقليد .

وتم تحديد أهداف ومهام الجيش الالكتروني من خلال بعدين :

الهدف الداخلي: حماية المنشآت والمرافق العسكرية ، الأمنية ، الحكومية من الاختراق ، والتجسس والقرصنة والتلغيم للأجهزة والمنظومات الحاسوبية على مستوى الافراد والمؤسسات والدول وكيفية الحماية منها، وبالتالي تجنب المخاطر المترتبة على ذلك .خصوصا بعد الهجوم الامريكي الاسرائيلي على المنشآت النووية بفايروس " ستاكسنت" ، والتجسس الكترونيا على العلماء النوويين، مما سهل اغتيالهم . وهناك أهداف أخرى مثل : التعقب الالكتروني ، الرصد ، المراقبة لكل ما يتعلق بالسوشيال ميديا بجميع أشكالها :مراقبة المعارضة ، ووسائل التواصل الاجتماعي ، الاختراق الالكتروني بكافة مستوياته ، وقد نجحت إيران بشكل كبير في مواجهة شرائح التيار الاصلاحي والمعارضة إجمالا ، وتمكنت بسهولة من تحطيم القدرة التقنية للحركة الخضراء والمعارضة في إيران.

الهدف الخارجي : مساعدة الحلفاء، فقد قامت إيران بتعزيز المنظومة الإلكترونية لحلفائها من أجل توسيع وتعزيز قدرات الحرب الإلكترونية لحليفاتها مثل حزب الله اللبناني والحوثيون في اليمن والحكومة المركزية في بغداد، وجميع المؤشرات تشير إلى أن الإيرانيين يحاولون إنتاج منظومة ناجعة من الوكلاء الذين يعملون لصالحهم في المجال الإلكتروني .

مصادر القوة الناعمة الإيرانية.

يرى الباحث الإيراني عباس مالكي أن مصادر القوة الناعمة الإيرانية تتمثل بثلاثة عناصر أساسية، هي:

-الثقافة، وتضم: اللغة الفارسية، والتقاليد الإيرانية، والتشيع.

- القيم السياسية، وتضم: الديمقراطية، والانتخابات، وحقوق المرأة والمجتمع المدني.

- السياسات الخارجية، وتضم: الشرعية، والبرستيج، والعلاقات العامة.

أولاً: على الصعيد الثقافي، تمتلك إيران مخزونًا كبيرًا لتوليد القوة الناعمة من هذا المصدر عبر اللغة الفارسية والبعد الحضاري الذي يعود الى ٣ آلاف سنة والسياحة حيث تُصنَّف إيران على أنها واحدة من عشر دول سياحية هي الأفضل من ناحية التاريخ والمواقع الأثرية، وتجذب إيران حوالي ٣،٢ مليون سائح سنويًا وفق أرقام عام ٢٠١١ (الغالبية العظمى منهم للسياحة

الدينية، فقط ٢٠ ألف سائح منهم ليس لأسباب دينية) والفن والمناسبات الثقافية.
ثانيًا: القيم السياسية، تمتلك إيران نظامًا سياسيًا يبتكر مفهوم "الديمقراطية الدينية" التي تستند إلى التصويت الشعبي ومقاومة الظالم بما يتماشى مع القيم الإسلامية باعتباره نموذجًا فريدًا من نوعه يصلح أن يكون مصدرًا من مصادر القوة الناعمة الإيرانية ، وكونه بديلاً عن النظم التقليدية المعروفة في العالم.
ويقود النظام طبقة من رجال الدين على رأسهم الولي الفقيه المرشد الأعلى، ويفتح المجال واسعًا للسياق الانتخابي أن يأخذ مكانه في النظام السياسي ليفرز قيادات بشرعية شعبية، ويتيح حرية الاختيار للجميع، وقد استمر على هذا المنوال منذ العام ١٩٧٩ وحتى اليوم.
ثالثًا: على صعيد السياسة الخارجية، ينص الدستور الايراني على ان السياسة الخارجية للبلاد تنظم على أساس المعايير الإسلامية والالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين والحماية الكاملة لمستضعفي العالم، وتقول المادة ١٥٢منه : "تقوم السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية على أساس الامتناع عن أي نوع من أنواع التسلط أو الخضوع، والمحافظة على الاستقلال الكامل، ووحدة أراضي البلاد، والدفاع عن حقوق جميع المسلمين، وعدم الانحياز مقابل القوى المتسلطة، وتبادل العلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة".
هذا النوع من الطروحات إذا ما أُضيف إلى الأيديولوجية الإيرانية والتي هي عبارة عن مجموعة من الطروحات الثورية والمبادئ الدينية، فإنها تُعد المصدر الأساسي والأكبر في توليد القوة الناعمة للبلاد.

أدوات القوة الناعمة الإيرانية

حاول النظام الإيراني عام ٢٠٠٥، استغلال كل مصادر القوة الناعمة وأدواتها ضمن إستراتيجية وطنية واحدة، وقد وضع وثيقة تُعرف باسم "الإستراتيجية الإيرانية العشرينية" (٢٠٠٥-٢٠٢٥)، تضع التصورات المستقبلية للدور الإيراني خلال عشرين عامًا، وتهدف إلى تحويل البلاد إلى نواة مركزية لهيمنة تعددية داخلية في منطقة جنوب غرب آسيا.
وتنص الوثيقة على أن طهران ستتحول إلى قوة دولية ومصدر إلهام للعالم الإسلامي، وتصبح نموذجًا ملهمًا ولاعبًا فاعلاً ومؤثرًا في العالم الإسلامي استنادًا إلى تعاليم "الإمام الخميني" وأفكاره، وبما يعكس هويتها الإسلامية الثورية وفق عدد من الأدوات، منها:

أولاً: الأدوات الثقافية:

وتتوزع على مراكز تعليم اللغة الفارسية، المستشاريات الثقافية الإيرانية، المدارس الإيرانية في الخارج، المركز الإسلامي للحوار بين الحضارات.
- الأدوات الدينية (التشيع ومبدأ الولي الفقيه): يشكّل الشيعة في العالم باختلاف فرقهم ما بين ٧،٦-١٣٪ ، ويتمركز أكثر من ثلث هؤلاء في إيران، وعليه فإن إيران تشكّل مركز الجاذبية لهؤلاء على المستوى المذهبي والسياسي على اعتبار أن السياسة والدين متمثلان في الولي الفقيه المرشد الأعلى الذي يمتلك

• تعتبر مؤسسات ترويج التشيع في العالم من ادوات القوة الايرانية الناعمة وتتمثل في: المجمع العالمي لأهل البيت، ومنظمة التبليغ الإسلامي، ومجمع التقريب بين المذاهب، وممثليات المرشد الأعلى، والحوزات الدينية في الخارج، و مؤسسة الإمام الخميني الإغاثية.



قوة ناعمة هائلة بحكم الموقعَيْن لدى أتباعه، والذين يقومون بشكل طوعي إرادي بخدمة مصالح الدولة الإيرانية نظرًا لطبيعة العلاقة الدينية التي تربطهم بتبعية الولي الفقيه.

وتسعى طهران لتوحيد الأقليات الشيعية أينما وُجدت تحت رايتها، وتستخدم أيضًا المصطلحات التي تساعد على توسيع نفوذها في هذا الإطار لنشر التشيع في بيئات أخرى كالوحدة الإسلامية، والتضامن الإسلامي، والتسامح والحوار بما ينعكس مكسبًا سياسيًا.

المؤسسات الإيرانية المنوط بها الترويج للتشيع في العالم:

–المجمع العالمي لأهل البيت: التعريف بالتشيع "الإيراني" و"الولي الفقيه"، ومتابعة أخبار الشيعة حول العالم، وإصدار الكتب الشيعية بكل اللغات، تنقل بعض المصادر وضعه لخطط تتعلق بكيفية تفعيل شيعة العالم في أجندة سياسية.

–منظمة التبليغ الإسلامي: نشر ثقافة التشيع عبر مختلف النشاطات، والتعريف بالأدب الفارسي والثقافة الإسلامية والثورة الإيرانية، وتهيئة رجال دين للقيام بتأدية الأدوار السابقة.

–مجمع التقريب بين المذاهب: يهدف إلى تجاوز الدائرة الشيعية إلى الإطار الأوسع في البيئة السنية، وعمله يحمل طابعًا دعائيًا وترويجيًا للاختراق بقوة ناعمة.

–ممثليات المرشد الأعلى في الخارج: تقوم على حماية المصالح التي يمثلها المرشد الأعلى، وتقديم الدعم المالي لطلاب الحوزات الدينية والإشراف على أداء عمل المؤسسات الإيرانية في الخارج.

–الحوزات الدينية في الخارج: تقوم على نشر تعاليم وفقه العقيدة الشيعية، وقبول الطلبة من غير الشيعة وإعطائهم المنح الدراسية في (قم) بعد إكمالهم مرحلة ما يعرف بالمقدمات في بلدانهم.٠٠٠٠

– مؤسسة الإمام الخميني الإغاثية: ذات طابع اقتصادي–خدماتي، ولها انتشار واسع في عدد من الدول الإقليمية، وهي نشطة مؤخرًا في أفغانستان أيضًا.

الأدوات الإعلامية: تمتلك إيران واحدة من أكبر الإمبراطوريات الإعلامية في منطقة آسيا–الهادئ والعالم. وتسيطر وكالة بث الجمهورية الإسلامية الإيرانية IRIB)) –وهي مؤسسة حكومية على السياسات الإعلامية الخاصة بجميع المحطات التليفزيونية وإذاعات الراديو في البلاد بما يتناسب مع توجهات الدولة.

وترتبط الوكالة بعدد من الوزارات بالثقافة والخارجية ويتم استخدامها لخدمة الرسائل التي تصدر عنهم فيما يتعلق بالترويج للثورة الإسلامية والثقافة الإيرانية والدبلوماسية العامة. أما الخدمة الدولية لـ(IRIB)، فهي تهدف إلى إعلام الجمهور الخارجي، والترويج للتاريخ الإيراني والحضارة الإيرانية والثقافة الإيرانية لكل مهتم بالحصول على نظرة واقعية عن إيران وغناها الحضاري عبر آلاف السنين".

وتقوم هذه الوكالة بنشر وترويج قيم النظام الإيراني والموقف الرسمي للحكومة الإيرانية بخصوص التطورات الداخلية والدولية.

ولوكالة بث الجمهورية الإسلامية (IRIB) مكاتب في ٤٥ دولة مهمة حول العالم، من بينها: الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا وماليزيا، عدد لغات البث: ٣٠ لغة عالمية، ولها ٣٠ تليفزيونًا محليًا (نصفها بلهجات محلية)، وعدد محطاتها الوطنية: ٨ ، وعدد محطاتها الفضائية:٦ محطات و٤ محطات إخبارية دولية تبث باللغات: العربية، والإسبانية، والإنكليزية.

ثانيًا: أدوات في السياسة الخارجية:

تستخدم إيران مجموعة من القضايا في السياسة الخارجية لتوجيه قوتها الناعمة وبالتالي توسيع تأثيرها على الصعيد الإقليمي، منها:

– التشيع السياسي: يرى الباحث الإيراني كيهان برزكار أن استخدام التشيع في السياسة الخارجية أصبح أكثر فاعلية بعد أزمة العراق عام ٢٠٠٣ حيث دخل التشيع في إنتاج السلطة والسياسة في الشرق الأوسط؛ مما أدى إلى تقوية دور ونفوذ إيران، فعنصر التشيع أدى إلى تحويل العراق إلى دولة صديقة ومتحالفة مع إيران، وأعطى الحضور الفعال والمصيري في قضايا العراق ولبنان، والشرق الأدنى بشكل عام. ويقول الباحث الإيراني والخبير في السياسة الخارجية الإيرانية "فرزاد بيزيشكبور" في مقال "إيران وميزان القوى الإقليمي": إن القادة الجدد للعراق وأفغانستان أكثر قربًا لإيران من أي طرف آخر، وبدلاً من صدّام لدينا الآن رئيس عراقي غير عربي وفخور بمعرفته وإتقانه اللغة الفارسية، وعدد كبير من أعضاء الحكومة العراقية والبرلمان العراقي كانوا قد أمضوا سنوات طويلة في إيران وأنجبوا أولادًا لهم هنا ودخلوا مدارس طهران وتعلموا بها. كذلك يحتل الشيعة اليوم في العراق ولبنان والبحرين مواقع مهمة داخل الأنظمة السياسية لبلدانهم مما يعطي إيران اليد العليا في المنطقة".

– الخطاب الثوري المعادي لأميركا والغرب: استطاعت إيران من خلال هذا الخطاب أن تكسب قطاعات واسعة من الرأي العام لصالحها لاسيما على الصعيد الإقليمي، واستغلت حساسية هذه القاعدة تجاه أميركا والغرب ووظّفتها في إطار سعيها لتعزيز قوتها الناعمة في المنطقة.

– القضية الفلسطينية: وتهدف من خلال خطاب دعم القضية الفلسطينية إلى كسب قطاعات واسعة لدى الرأي العام لخلق بيئة مناسبة لتقبل الدور الإيراني الإقليمي.

القوة الناعمة الإيرانية في الميزان الجيوبوليتيكي

يشير عدد من الباحثين الإيرانيين إلى حقيقة كون إيران بعيدة حتى الآن عن كون قوتها الناعمة ذات تأثير أو فعالية كبيرة؛ يشير الباحث الإيراني الدكتور محمد رضا باجوه أن إيران لا تستخدم قدرات البلاد في القوة الناعمة بشكل صحيح، والتي لو تم توظيفها في السياسة الخارجية والدبلوماسية لكان تأثيرها أعمق وأكبر في النظام الإقليمي والدولي.

> **• الباحث د.محمد رضا باجوه: لا تستخدم ايران قدراتها في القوة الناعمة بشكل صحيح، ولو تم توظيفها في السياسة الخارجية لكان تأثيرها أعمق وأكبر في النظام الإقليمي والدولي.**

والحقيقة أن القوة الناعمة الإيرانية كانت قد وصلت ذروتها في العالم العربي بحلول العام ٢٠٠٦، وبقيت صامدة حتى عام ٢٠٠٨ حيث بدأت تتراجع بشكل سريع إلى أن تدهورت مع اندلاع الثورات العربية نهاية عام ٢٠١٠/بداية ٢٠١١، ثم تعمقت مع اندلاع الثورة السورية واستمرارها.

اننا نعتقد أن القوة الناعمة الإيرانية محدودة :

–دينيًا، لكون التشيع كمذهب يؤثر على البيئة الشيعية غالبًا، وعلى الرغم من أن التشيع يخدم إيران سياسيًا في أماكن متعددة إلا أنه لا يخفي حقيقة أنها أقلية في محيط سني واسع، وبالتالي



فإن إمكانية التأثير تكون محدودة خاصة إذا ما تم اتباع سياسات مذهبية. كما أن دعمًا من هذا النوع غالبًا ما يُدخل إيران في معادلة تقويض سلطة الدول الأخرى، وهو ما يضعها في موضع العدو.

– ثقافيًا،على الرغم من امتلاك ايران مصادر وأدوات قوة ناعمة للتأثير على الحوزة الحضارية، إلا أن هذه المنطقة أيضًا كانت –وما زالت– تخضع لتنافس لاعبين كبار أكبر من إيران، من الاتحاد السوفيتي سابقًا، إلى روسيا والصين والولايات المتحدة اليوم، ناهيك عن أن معظم سكان هذه البلدان يرتبطون بتركيا قوميًا أو بالسنة مذهبيًا وهو عامل معرقل في حد ذاته لجهود إيران خاصة مع الصعود التركي.

وفي السياسات الخارجية فان أدوات إيران في استخدام قوتها الناعمة في هذا المجال رخوة جدًا وغير ثابتة وتعتمد على أخطاء الآخرين والفراغ الذي يتركونه، وما أن يعود هؤلاء أو يتم تصحيح المعادلة حتى تفقد إيران القدرة وتنتفي أو تضعف القوة الناعمة في هذا المجال.

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

المبحث الخامس:

القوة الناعمة لـ"حزب الله".. وكاريزما نصرالله [١]

(١) علي دربج – صحيفة السفير– ٢٠ إبريل ٢٠١٦ نقلا عن قناة العالم الاخبارية.

لطالما ارتبط اسم «حزب الله» بالصاروخ والمدفع والعمليات الحربية، أي ما يعرف بـ «القوة الصلبة» التي أملتها عليه ظروف انخراطه في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ثم حمله فيما بعد لواء هذه المقاومة وبالتالي تحرير الجنوب عام ٢٠٠٠، فضلا عن خوضه حروب دفاعية عدة بمواجهة العدوان الاسرائيلي، في ١٩٩٣، ١٩٩٦، و٢٠٠٦. غير ان عناصر القوة التي يمتلكها «الحزب» لا تركز فقط على القوة «الخشنة» كما يظن كثيرون، بل إنه يمتلك عنصر قوة شديد الأهمية، يوازي بفاعليته ونتائجه السياسية والاجتماعية القوة العسكرية، الا وهو عنصر «القوة الناعمة».

منذ البدايات، وضع «الحزب» نصب عينيه تجربة المقاومة الفلسطينية بعدما تحولت الى عبء على بيئات لبنانية ودفعت البعض إلى الترحيب بالاحتلال كخشبة خلاص من الممارسات التي ارتكبتها بعض فصائل المقاومة برغم أحقية قضيتها. سريعا أدرك «الحزب» الحاجة الى اكتساب مشروعية شعبية وسياسية تمنحه الغطاء الجماهيري والقانوني لتثبيت دعائم وجوده وتسويق نفسه وبرنامجه السياسي والمقاوم، في المجتمع الشيعي بشكل خاص واللبناني بشكل عام.

مع نهاية الحرب الأهلية، خضعت طريقة تفاعل «حزب الله» مع اللبنانيين عموماً إلى تحول عميق. إذ ان الحزب استطاع ان يسوِّق لنفسه ولمهمته السياسية لدى جمهور أوسع وأكبر



من أي وقت مضى. ففي المجتمع الشيعي، تحديداً، تمتع بدعم من دون منازع تقريباً، أمر حصل عليه من خلال تركيبة من التسويق الديني والمجتمعي والسياسي، إضافة إلى تقديم الخدمات الاجتماعية.

والقوة الناعمة تستخدم نوعاً مختلفاً من العمل، وهي ليست قوة القسر ولا المال لتوليد التعاون، بل هي الانجذاب إلى القيم المشتركة، والعدالة، ووجود الإسهام في تحقيق تلك القيم.

ترتكز القوة الناعمة لـ «الحزب» على موارد أساسية، وهي تنقسم الى عناوين رئيسة وأخرى فرعية. فالموارد الأساسية تتمثل بالآتي: ثقافته في الأماكن التي تكون فيها جذابة للآخرين، وقيمه السياسية عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج، وسياساته الخارجية عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية.

أما الموارد الفرعية فيكمن حصرها بالتالي: الانجازات، القياس على التجارب السابقة، الثقافة، القيمة السياسية، السياسية الخارجية، صراحة وشفافية أمينه العام، والجهاد الاجتماعي.

كما تعد التظاهرات الشعبية والمسيرات السلمية وسائل القوة الناعمة المؤثرة والمهمة. أما عن الطريقة التي تؤثر بها الحشود على القرارات في الدول المتقدمة، فهو يقول إن «الاحتجاجات لا تمثل الأسرة الدولية، ولكنها كثيرا ما تؤثر فعلا على مواقف كتاب الافتتاحيات، والبرلمانيين، وغيرهم من ذوي النفوذ المؤثر في بلدان مهمة تتلخص آراؤها في تلك العبارات الغامضة».

وفي ورقة بحثية أعدها البروفسور المساعد في دائرة العلوم السياسية في جامعة كلارك في وورسيستر، ماساشوستس "أورا سزيكلي" نشرتها فصلية Middle East Policy، يتوقف عند قضية التحول الذي طرأ على سلوك وأدبيات وخطاب «حزب الله»، معتبرا ان «تطوره يطرح تساؤلاً أكبر في أدبيات الفاعلين غير الحكوميين، في الشرق الأوسط وأماكن أخرى أيضاً ومفاده: «لماذا تنجو المجموعات العسكرية غير الحكومية من محاولات استئصالها من أجزاء محددة من المناطق في حين لا تنجو مجموعات أخرى؟ وما هي الدروس التي تتعلمها المنظمات من مواجهات سابقة بحيث تمكنها من البقاء بشكل أفضل في مواجهات أخرى لاحقاً؟».

كانت حرب تموز ٢٠٠٦ هي النموذج المقارن الذي استخدمه الكاتب للدلالة على التحول الحذر الذي خضع له «حزب الله»، ما بين نهاية الحرب الأهلية وحرب تموز. في الثمانينيات من القرن الماضي، كان الحزب وفقا له يُعدّ بنظر بعض اللبنانيين والدول مجموعة راديكالية مسلحة ميالة للتكتيكات اللافتة، فضلا عن انه كان يفتقد الى ثقة الكثيرين من الشيعة. يعزو البعض هذا التحول أحياناً إلى زيادة في أصوله المالية أو معداته وأجهزته العسكرية. غير ان هذا التفسير غير مقنع برأي سزيكلي الذي يشير الى الاستراتيجيات التي استخدمها «حزب الله» للحصول على الموارد في المقام الأول، وليس تلك الموارد نفسها، هي التي تغيرت ما بين العامين ١٩٩٠ و٢٠٠٦.

> **• تعتبر لغة الحوار والعيش المشترك التي يتعمدها "حزب الله" من مصادر القوة الناعمة، إضافة الى الشبكة الاجتماعية التي بناها، والتحالفات الداخلية والخارجية وتبنّيه للقضية الفلسطينية.**

بعد الحرب الأهلية، عمل الحزب على تطوير استراتيجية مبنية على مقاربة تسويق أوسع نطاقاً، كما طوّر شبكة من



الخدمات الاجتماعية التي توسعت فيما بعد بشكل هائل، وقلل في المقابل إلى حد كبير، من استخدام الخطاب المنفّر ولجأ الى اعتماد سياسة الاعتدال والانفتاح.

وكأي منظمة عسكرية سياسية، احتاج الحزب لأجل البقاء إلى مجموعة من الموارد، المادية كالتمويل والمقاتلين والسلاح، وغير المادية مثل الاستخبارات والشرعية والتدريب. تحصل معظم الحركات والمنظمات العسكرية، بما في ذلك «حزب **الله**»، على معظم هذه الأشياء من الخارج. هذا يعني الحصول على الموارد من سكان مدنيين محليين أو من دولة راعية ما. من هنا فإن لدى الفاعلين غير الحكوميين ثلاثة خيارات استراتيجية واسعة: القسر والإكراه، وتقديم الخدمات، والتسويق. وفي حين أن معظم الحركات تستخدم هذه الأمور الثلاثة معاً، فإن أحد هذه الخيارات يكون مهيمناً في العادة. وقد يكون الإكراه أسهل وسيلة للحصول على الموارد من المدنيين.

أجاد «حزب **الله**» التعامل مع المدنيين الذين يكونون عادة هدفاً لسياسة الإكراه، كنهب الشركات، والآليات، والأشياء الثمينة، والاستيلاء على المنازل والأراضي، وفرض «ضرائب» و«خُوَّات» على نقاط التفتيش والشركات والأعمال التجارية، وهو نموذج الحركات التكفيرية في سوريا والعراق واليمن وليبيا.

وجد «الحزب» أن التسويق الدوؤب لمهامه وأهدافه وبرامجه ومثله العليا هو الذي ينتج العلاقات الأكثر صلابة مع المدنيين والدول الراعية. لذا كان هذا الخيار هو السبيل الأكثر موثوقية للوصول إلى موارد مادية وغير مادية. تعتبر لغة الحوار والعيش المشترك التي يتعمدها «حزب **الله**» واحدة من مصادر القوة الناعمة. وهي مطمئنة بالنسبة للبعض، وموضع سجال عند البعض الآخر الذي يعتبر انه يفعل خلاف ما يقول.

النموذج الابرز للقوة الناعمة في اوج قوة مقاومته، كان تعامله مع ملف العملاء الإسرائيليين عقب تحرير الجنوب في العام ٢٠٠٠. حينها لم يكن هناك انتقامات برغم تورط بعض العملاء بـ «الدم»، عن طريق قتل عدد كبير من المدنيين أو عناصر المقاومة.

وإضافة الى الشبكة الاجتماعية التي بناها «حزب **الله**» والتحالفات الداخلية والخارجية كالعلاقة مع إيران وتبنّيه للقضية الفلسطينية التي أعطت للحزب قوة مضاعفة، ثمة عامل آخر إضافي استمد منه الحزب جرعة كبيرة من القوة الناعمة، وهي شخصية الأمين العام لـ «حزب **الله**» السيد حسن نصر **الله** الذي يملك قدرة كبيرة على التأثير بالناس، كونها مؤمنة بالقضية انطلاقا من الولاء للشخص.

بحلول العام ٢٠٠٦، لم يكن الدعم لـ«حزب **الله**» أو على الأقل الاحترام له على مضض، محدوداً بالمجتمع الشيعي بل تعداه الى طوائف لبنانية وشعوب عربية وأجنبية. وهذا يعود إلى محاولات «حزب **الله**» المتعمدة والمدروسة تسويق نفسه لدى اللبنانيين من غير الشيعة كمنظمة مقاومة «لبنانية». في أواخر التسعينيات، غيرَّ حزب **الله** شعار علمه حتى، من «الثورة الإسلامية في لبنان»، إلى «المقاومة الإسلامية في لبنان». وكأي حزب سياسي لبناني، وربما أكثر حذاقة من معظمها، تعلم «حزب **الله**» تفصيل رسالته لتناسب جمهوره. هذا يعتبر خروجاً ملحوظاً عن إيديولوجيته الجامدة الصارمة التي صبغت تفاعلاته مع المدنيين في الثمانينيات.

إذاً، في جميع الأحوال، لا يمكن ردّ نجاح «حزب **الله**» في حرب تموز إلى قوة السلاح وحدها. يقول سزيكلي في العام ٢٠٠٦، أن الأمر المدهش هو التباين بين حرب تموز وأداء حزب **الله** في



أواخر الثمانينيات. فقد كان «حزب الله» مسلحاً وممولاً بشكل جيد من قبل إيران في أواخر الثمانينيات، لكن هذا لم يكن كافياً لضمان أن تحقق قدرته أهدافه ضد "إسرائيل"، فضلا عن اخفاقه في استمالة الجمهور الشيعي. إن قدرة «حزب الله» على النجاة والبقاء في حرب تموز كانت بالأحرى نتاج العلاقات التي بناها على الصعيدين المحلي والإقليمي. هذا الأمر لم يمنحه فقط القدرة على مقاومة الهجوم الإسرائيلي عسكرياً، وإنما منحه أيضاً المرونة للنفاذ من الحرب والحفاظ على مركزه السياسي في لبنان.

◇◈◈◉◈◈◇

المبحث السادس: القوة الصهيونية الناعمة.

هوليود في خدمة الاهداف الصهيونية.

تعد السينما أخطر وسائل الاتصال الجماهيري[١] وتلعب دوراً خطيراً في تشكيل الصورة الذهنية والوجدانية لدى المواطن الغربي عن العرب والمسلمين فلم يتوقف الاخطبوط الصهيوني الاعلامي لحظة واحدة من ان يمد ذراعه لتنال الاهداف واولها صبغ الادلة وغسل العقول ومسخها وتحقيق الطموحات الموعودة بشتى الطرق وبمختلف الذرائع، ومنها الآلة السينمائية والتلفزيونية الوسيلة الاكثر خطرا من اسلحة الدمار الشامل بإمكانياتها على قلب الحقائق، وكيف ان الشعوب تضع اسلحتها وترفع الراية البيضاء وكيف تخرس ألسنتها لتعلن الخضوع لما لهذه الآلة من إمكانية اختراق الحواجز وتمزيق الأخلاقيات وتلويث العقول بالوباء، وصولا الى إماتة الضمائر والارواح لتجبر الآخرين الى النظر بعين وعدسة الكاميرا الصهيونية.

بعد مرور عامين فقط على انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في عام ١٨٩٧م تنبهت الصهيونية الى اختراع السينما وبضرورة تطويعه باتقان لخدمة الفكر الصهيوني وعلى امتداد عشرات الاعوام استطاع اليهود السيطرة على رؤوس الاموال والمؤسسات الاعلامية الغربية، فبعد أن أحكمت الصهيونية العالمية سيطرتها شبه التامة على مركز صناعة السينما (هوليود) روجت من خلاله مجموعة من الأفلام للمزاعم الصهيونية حول اضطهاد اليهود ومشروع الاستيلاء على فلسطين.

من قضية (درايفوس) انطلقت السينما الصهيونية لاول مرة في بث سمومها وأهدافها المشوهة وعندما اثبتت قضية درايفوس تعاطفا في الشارع الفرنسي والعودة الى ما يسمى ارض الميعاد، كان التصميم ادق وادهى من ذلك في سلسلة من الافلام تعد بالمئات الى

• بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧م بعامين تنبه الصهاينة الى اختراع السينما وبضرورة تطويعه لخدمة الفكر الصهيوني، وعلى امتداد عشرات الاعوام سيطر اليهود على رؤوس الاموال والمؤسسات الاعلامية الغربية.

(١) صبحي حمزة (مركز الدراسات والبحوث) هوليود تشوه صورة العرب والمسلمين - صحيفة الراية القطرية ٢٠٠٩/١٢/٢٣ م.



يومنا هذا واولها فيلم قضية درايفوس ثم فيلم "الماعز" تبحث عن مرعى عام ١٩٠٠ ثم فيلم "شمشون ودليلة" عام ١٩٠١و"جوديت" و"الابن العاق" وفي العشرينات والثلاثينات تضخم العمل الصهيوني لعشرات الافلام منها "موسى وملك الملوك والوعد الكبير" و"بيت ابي والشيخ"..الخ واهم هذه الافلام كان الفيلم الذي هدف الى الايقاع بين العرب والافارقة والاساءة المباشرة الى الاسلام وحمل عنوان "العبيد مازالوا موجودين حتى اليوم".

وقد شكّل عام ١٩٤٨ بداية مرحلة جديدة في عمل السينما الصهيونية وأهدافها، التي حددت بتدعيم المزاعم الصهيونية وتأييد قيام هذا الكيان على أرض فلسطين من خلال مجموعة من الأفلام تعكس الواقع الجديد القائم، وما يتطلبه من طمس وإلغاء لكل ما من شأنه إظهار طبيعة الكيان الصهيوني وغربته عن الأرض ورفض أصحابها الأصليين لوجوده، ولهذه الغاية عمد عدد كبير من الصهاينة العاملين في القطاع السينمائي الى استبدال أسمائهم منهم "لويس ماير" واسمه الحقيقي (اليعزر ماير) و"كيرك دوغلاس" واسمه الحقيقي (إيزادور ديمسكي) و "جيري لويس" بدلا من (يوسف ليفيتش) و"لاري كينج" بدلا من (لاري تزيجر) و"بوليت جودارت" بدلا من (بوليت ليفي) و"جوي أدامز" بدلا من (يوسف إبراهيموفتش) و"ودي آلز" بدلا من (آلن ستيوارد كوينجسبرغ)

وفي هذه المرحلة برزت معضلة بوجه المشروع السينمائي في الكيان الصهيوني، فكان السينمائيون أمام الاختيار بين الهجرة الى فلسطين لبناء مركز إنتاج سينمائي أو البقاء في هوليود والانطلاق منها لتسويق المشروع السينمائي الصهيوني وقد استقر قرار الصهاينة على الخيار الثاني واستطاع هذا المركز خلال عام واحد من تأسيسه بدعم من قبل العديد من نجوم هوليود الصهاينة أن ينجح في ترويج فكرة تصوير إنتاج أفلام في فلسطين وتنظيم زيارات لعشرات من نجوم هوليود الصهاينة أو المتعاطفين مع الكيان الصهيوني الى أرض فلسطين بين ١٩٥٠ و ١٩٦٥ ومن هؤلاء النجوم صوفي مارسو، روجر مور، كيرك دوغلاس، رومي شنايدر، اليزابيت تايلور وغيرهم.

أولى ثمرات التعاون السينمائي الصهيوني مع هوليود كان فيلم "سيف في الصحراء" عام ١٩٤٩ بهدف الدفاع عن موقف بريطانيا المساند لقيام الكيان الصهيوني من خلال تصوير العلاقة بينهماعلى أنها علاقة عداء نتيجة دعمها للعرب والفلسطينيين، وبرز في الفيلم دور الولايات المتحدة في دعم الكيان الصهيوني من خلال البطل الأمريكي الداعم للصهيونية، وفي العام ١٩٥٣ موّلت هوليود أول فيلم سينمائي تم تصويره داخل فلسطين حمل اسم "الحاوي" وتدور أحداث الفيلم حول شخصية اليهودي الألماني "هانز موللر" الذي فقد أسرته أثناء الحرب العالمية الثانية وهجرته الى فلسطين التي يصورها الفيلم باعتبار "إسرائيل" الحاضنة لليهود، وحلمهم المنشود، ورغم الصعوبات التي يواجهها، إلا أن نهاية الفيلم المرسومة لتحقيق هدفها السياسي تتجسد في قدرة البطل على تجاوز الصعوبات والبقاء في الكيان الصهيوني بسبب حبه له وسعيه للحفاظ على حلمه في حياة سعيدة.

وشهدت المرحلة ١٩٤٨– ١٩٦٧ إنتاج عدة أفلام صهيونية بتمويل من هوليود ولكن أضخمها على الصعيد الدعائي كان فيلم "الخروج" الذي تضمن جملة من المغالطات وتزوير الحقائق لتشويه صورة العرب وتصويرهم كمجموعة من المتوحشين المتعطشين للدماء وقتل اليهود، من خلال مقاربة صورة العربي بصورة الهنود الحمر في أمريكا والسعي لتطابق الصورتين، بهدف



دغدغة مشاعر الأمريكيين وكسب تعاطفهم وحماسهم للمشروع الصهيوني في فلسطين.

وفي الفيلم الذي أنتجته السينما الصهيونية نهاية الستينات حمل اسم "جوديث" حاول كاتبه ومخرجه مخاطبة الغرب بخطاب يزعم أن العرب عموماً والسوريين خصوصاً استمرار للحركة النازية من خلال قصة الفيلم التي تدور حول شخصية ألمانية هربت من الاضطهاد النازي للعيش في سوريا ولكن أحداث الفيلم صورت حياة هذا البطل الألماني في سوريا جحيماً لا يقل عما تعرض له في ألمانيا.

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ التي قادت الى تشريد جزء جديد من الفلسطينيين واحتلال أراض عربية جديدة وقعت السينما الصهيونية في مأزق تراجع شعبيتها لدى الجمهور الغربي الذي شاهد صور الفظائع الصهيونية في فلسطين فعمدت السينما الصهيونية الى اتباع خط جديد متمثل في إظهار الصهاينة كضحايا لـ"الإرهاب" العربي، فتجاوزت أهدافها لعبة الترويج للكيان الصهيوني وتشويه التاريخ وصورة العربي الى إظهار قدرات الكيان الصهيوني الأمنية وقدرته على ردع من يحاول المس بالكيان ولهذه الغاية أُنتج عام ١٩٧٥ فيلم "البرعم" الذي يقدم جهاز الموساد الصهيوني بصورة أسطورية لا تُقهر من خلال حرب طاحنة يخوضها ضد المنظمات الفدائية الفلسطينية التي يقدمها الفيلم كمنظمات "إرهابية" وعناصر الموساد الأذكياء والمدربين بشكل جيد والذين يسعون الى إحباط محاولات هؤلاء "الإرهابيين" ورغم نجاح مثل هذه الأفلام في التأثير على المشاهدين الغربيين إلا أنها قوبلت بالاستياء من قبل المؤسسات والهيئات الثقافية والتاريخية لتضمنها مغالطات تاريخية.

بعد فيلم "البرعم" سعى القائمون على السينما الصهيونية على ابتكار أسلوب جديد في التعاطي مع الأفلام السينمائية لتجنب الوقوع في فخ الدعاية المباشرة واستند المخططون له على فيلم "ملف القدس" الذي أنتج عام ١٩٧١ وبرزت فيه الدعاية بشكل أكثر دهاءً وخبثاً ولاقى قبولاً لدى المشاهدين الأوروبيين من خلال تركيزه على أكذوبة السعي الصهيوني للسلام ورفض العرب له وفعلاً شهد العام ١٩٧٦إنتاج فيلم "الرجل التالي" ومجموعة كبيرة من الأفلام الروائية القصيرة التي ابرزت الدعاية الصهيونية من خلال صد حركة الشارع العربي وتقديم تحليلات زائفة لواقعه عبر تصوير الشعب العربي وكأنه مستعد للتعايش مع الكيان الصهيوني إلا أن حكامه ورجال الدين المتعصبين هم الذي يسيطرون على قرار هذا الشعب، ويقمعون رغبته في التعايش مع الصهاينة ويفرضون عليه الرغبة بالحرب والقتل والإرهاب، وبدا الأسلوب الصهيوني الجديد في التعاطي مع الأفلام السينمائية بارزاً في فيلم "الأرض المشتعلة" عام ١٩٨٢ وفيلم "في يوم صحو ترى دمشق" عام ١٩٨٤ وفيلم "اسند" عام ١٩٨٦ وفيلم "أحلام محطمة" عام ١٩٨٧ وفيلم "الحقول

- **الممثل الأمريكي "مارلون براندو": "اليهود يحكمون هوليود بل إنهم يملكونها فعلاً".**

- **ربما لن يطول بنا الانتظار حتى نرى أفلاماً صهيونية التوجه تتناول الإسلام باعتباره دين»الإرهاب» مستغلة الحملة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين والفهم الخاطئ لدى الجمهور الغربي للإسلام بعد تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١.**



الخضراء" عام ١٩٨٩ وفيلم "برلين-القدس" عام ١٩٨٩ وفيلم "الكأس النهائي" عام ١٩٩١.

قام اليهود بالسيطرة التامة على اكبر شركات الانتاج السينمائي فمثلاً "شركة فوكس" الأمريكية هي من أشهر شركات الإنتاج الهوليودية ويمتلكها اليهودي وليام فوكس، تليها في القائمة "شركة ورانر برادزر" يمتلكها اليهودي هارني وارنر وإخوانه، إضافةً إلى "شركة جولدن"

وشركة مترو التي يمتلكها اليهودي صاموئيل جولدين، و"شركة دريم وركس" التي يملكها المخرج اليهودي ستيفين سبيلبرج أكثر أسهمها و"شركة مترو" يمتلكها اليهودي لويس ماير و"شركة برامونت" يمتلكها اليهودي هودكنسون وكولومبيا بكتشر إشتراها جون بيترز و بيتر جربر والذين يسيطرون على شركة سوني، ويرأسها بيتر كاوفمان وهو يهودي، "شركة ثري ستار" حدث لها ما حدث لشركة كولومبيا حيث قام اليهوديان نفسهما بشرائها لتكوين إمبراطورية إعلامية كبيرة في هوليود كذلك "شركة يونيفرسال بكتشر" يملكها ويتحكم فيها اليهود بنسبة ١٠٠ ٪ ويملكها لو ويسرمان ويرأسها سيدني شاينبرج وتوماس بولاك وهم من اليهود.

السينما الصهيونية استطاعت بفعل سيطرة المال والإعلام اليهودي أن تلعب خلال القرن الماضي دوراً أساسياً في الدعاية للمشروع الصهيوني في فلسطين وتشويه صورة العربي لدى المشاهد الأوروبي والأمريكي وحتى التسلل الى المشاهد العربي من خلال الأفلام الأمريكية التي تغزو دور السينما العربية والبيوت عبر أشرطة الفيديو والقنوات الفضائية الأجنبية والعربية فتحولت من مرحلة الدعاية المباشرة الى الدعاية المستترة فلم تجد في المقابل سينما عربية فاعلة ومؤثرة قادرة على مواجهتها وكشف تزويرها للحقائق وتحريفها للوقائع التاريخية فاستمرت في إنتاج أفلام جديدة تحمل خلال هذه الفترة شعار "السلام" بالمفهوم الصهيوني.

في يوم ٥ إبريل عام ١٩٩٦ أعلن الممثل الأمريكي "مارلون براندو" أثناء حوار له في البرنامج الأمريكي الشهير لاري كينج شو- والذي يُعده اليهوديّ لاري كنج - بتصريح أعلن فيه ان "اليهود يحكمون هوليود بل إنهم يملكونها فعلاً" وانقلبت أمريكا كلها على مارلون براندو،واتهموه بالعنصرية ومعاداة السامية، حتى استسلم في النهاية لهذا الهجوم، وأعلن أنه لم يقصد ما قاله! ولكنّ العاصفة التي أثارها تصريحه لم تنته، فلقد تساءل الكثيرون كيف يمكن لأقلية يبلغ عددها ٢,٥٪ من عدد السكّان في أمريكا أن تسيطر على صناعة السينما في هوليود؟ وفي عدد أغسطس من مجلة مومنتMoment والتي يملكها يهود، تساءل المحرر اليهودي مايكل ميدفيد عن السر في أن كل صناع السينما في أمريكا من اليهود؟

السينما الصهيونية يعمل بها حتى الآن ما يقارب من ٧٥٠ ممثلا ومغنيا ومخرجا فقد شكلت خلال السنوات الماضية خطراً على القضايا العربية ولن تتوانى عن استغلال المتغيرات الدولية الأخيرة، وربما لن يطول بنا الانتظار حتى نرى أفلاماً صهيونية التوجه تتناول الإسلام باعتباره دين"الإرهاب" مستغلة الحملة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين والفهم الخاطئ لدى الجمهور الأمريكي خصوصاً والغربي عموماً للإسلام بعد تفجيرات سبتمبر ٢٠٠١.

ما هو جهاز "موساد".. وكيف يعمل[1]؟

المؤسسة المركزية للاستخبارات والأمن "الموساد" هي اختصار لعبارة "موساد لعالياه بت" العبرية أي منظمة الهجرة غير الشرعية. وهي إحدى مؤسسات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي والجهاز التقليدي للمكتب المركزي للاستخبارات والأمن. أنشئت عام ١٩٣٧، بهدف القيام بعمليات تهجير اليهود. وكانت إحدى أجهزة المخابرات التابعة للهاغاناه.

وطوال نصف القرن الماضي تقريبا، حقق الموساد صيتا ذائعا في مختلف أنحاء العالم لدرجة أن وكالة CIA وصفته في تقرير رسمي لها بأنه من أكثر أجهزة المخابرات تنظيما علي مستوى العالم.

ويضم مجتمع المخابرات الإسرائيلي ثلاثة أفرع رئيسية هي الموساد والمخابرات العسكرية المعروفة باسم "أمان" و"الشين بيت" وهو جهاز الأمن الداخلي بالإضافة الي جهاز الجاسوسية المضادة الذي تنحصر مهمته في مكافحة أعمال التجسس ضد إسرائيل.

وخلال نصف القرن الماضي، فقد مجتمع المخابرات الاسرائيلي ٣٦٠ عميلا قتلوا أو فقدوا حياتهم بسبب عمليات استخبارية لحساب (إسرائيل)، كان أولهم "يعقوب بوكاي" وهو يهودي من اصل سوري تم إعدامه في أغسطس ١٩٤٩ بعد أن تم القبض عليه في الأردن متخفيا في زي لأجيء عربي.

لقد قامت دولة (إسرائيل) في الأساس نتيجة سلسلة من العمليات السرية والخفية.. وبمرور الوقت تحولت هذه الدولة إلى حكومة الجاسوسية والدليل أن الغالبية العظمى من زعماء إسرائيل عملوا خلال فترات مختلفة من حياتهم كعملاء وجواسيس للموساد من أمثال حاييم هيرتزوج رئيس الدولة السابق واسحق شامير رئيس الوزراء الأسبق ومناحم بيجين وشيمون بيريز واسحق رابين وحتى رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أيهودا باراك.. وحتى جولدامائير كانت أيضا تعمل لحساب الموساد قبل أن تتولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية .

ويعتبر الكثيرون من الخبراء أن القرن العشرين كان هو البداية الحقيقية لظهور أجهزة المخابرات الحديثة وكانت بريطانيا هي صاحبة المبادرة في هذا المجال حيث أقامت أول وكالة مخابرات حديثة تسيطر عليها الحكومة وتمولها بشكل مباشر.. أما مهمة هذه الوكالة فكانت في الأساس هي الحصول على أسرار الأجانب و حماية الأسرار الوطنية.

وفي عام ١٩١٣ ظهر للوجود جهاز المخابرات الألماني ثم المخابرات السوفيتية عام ١٩١٧ والمخابرات الفرنسية عام١٩٣٥،أما وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIAفقد أقيمت عام..١٩٤٧ ولاشك أن كل هذه الاجهزة كانت لها جذور عميقة في عالم الجاسوسية قبل إعلان مولدها الرسمي ولكن المؤكد أيضا أن القرن العشرين شهد طفرة كبرى في جميع مجالات العمل السري والاستخبارات.

وبالنسبة لـ(إسرائيل) فان قصة الموساد تكتسب

• على العلماء والمسؤولين الإنتباه إلى أن رصد مجريات الأمور يجب أن يتم عبر المصادر والطرق الشرعية، وأن يكون رصداً يقظاً ومتبصراً واتخاذ الموقف على ضوء المعايير والموازين الإسلامية، ولا ينبغي التأثر والأخذ بأخبار وتحليلات وسائل الإعلام المعادية.

(١) موقع الحقيقة الدولية الاردنية – ٢٠١٠/٢/٢٣.



أبعادا خاصة وشديدة التميز بالمقارنة مع أجهزة المخابرات الأخرى في جميع أنحاء العالم، ويرجع ذلك إلي عدة أسباب من أهمها: أن الشخصية اليهودية تتوافر فيها كل مقومات الجاسوس أو العميل السري ومن أهمها الخبث والدهاء بالإضافة إلي تقديس المال وعدم وجود أي رادع أخلاقي يحول دون ارتكاب أكثر الجرائم وحشية وأشد العمليات قذارة.

إن انتشار اليهود في مختلف أنحاء العالم أتاح لهم الحصول على معلومات خطيرة خاصة أنهم يتواجدون في مختلف المواقع الحكومية والعلمية والعسكرية والاقتصادية في هذه الدول، وبالتالي لديهم حصيلة رهيبة من الأسرار التي وضعوها في خدمة الدولة اليهودية .

لهذه الأسباب حقق اليهود نجاحا كبيرا عندما عملوا كجواسيس لحساب القوات البريطانية في الحرب العالمية الثانية، وكان من بينهم وشي ديان الذي أصبح بعد ذلك جنرالا إسرائيليا وتولي وزارة الدفاع في (إسرائيل) وقد شكل اليهود عصابات ارهابية إجرامية لترويع عرب فلسطين والاستيلاء علي أراضيهم أهمها ´الهاجانا´ و´الارجون´ و´شتيرن´ التي كانت لديها أجهزة سرية تعمل في خدمتها.. وبعد إعلان قيام الدولة اليهودية ١٩٤٨أصبحت هذه الأجهزة السرية الإرهابية هي النواة الاولى لجهاز المخابرات الاسرائيلي.

ويرجع انشاء جهاز الموساد إلى ما قبل الدولة اليهودية وبالتحديد إلي عام ١٩٣٧ تنفيذا لفكرة احد عتاة الصهاينة المتطرفين وهو "شاؤول افيكور".

وقد تم إنشاء الموساد في البداية كقوة سرية تابعة لمنظمة الهاجانا الإرهابية وكانت مهمة الموساد الأساسية في ذلك الحين هي تنظيم الهجرة غير الرسمية لفلسطين وتهريب الأسلحة للعصابات الإرهابية الصهيونية وفي عام ١٩٤٢ بدأ تنظيم الموساد كجهاز مخابرات يأخذ شكله العلمي من خلال عمل دورات متخصصة للعملاء والجواسيس وكان عددهم في أول دورة ٤٠ عميلا شكلوا نواة المخابرات الإسرائيلية حيث تعلموا كل شؤون الجاسوسية مثل الشفرة وإطلاق النار وسبل التنكر والتخفي واللغات وأجهزة الإرسال والاستقبال اللاسلكي وغيرها.

وبعد اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ قام رئيس الوزراء الصهيوني "ديفيد بن جوريون" بإعادة تشكيل جهاز المخابرات الإسرائيلي. وفي١٩٥١ جرت عملية إعادة تنظيم لأجهزة المخابرات الاسرائيلية.. ووفقا لهذه العملية أصبح ´الموساد´ هو جهاز المخابرات الرئيسي في (إسرائيل) وتم تعيين "راؤبين شلواح" رئيسا له بينما تولي "حاييم هيرتزوغ" رئاسة المخابرات العسكرية الإسرائيلية.

هناك تنسيق مستمر بين رؤساء أجهزة المخابرات الإسرائيلية وهناك لجنة مهمتها تنسيق جميع أنشطة الاستخبارات الإسرائيلية الميدانية ويعتبر رئيس جهاز ´الموساد´ هو الأكثر أهمية وتتم هذه الاجتماعات في أماكن مجهولة ورئيس الموساد يتم اختياره مباشرة بواسطة رئيس الحكومة الإسرائيلية لخمس سنوات

يقول الكاتب البريطاني ´رونالد رايني´ صاحب كتاب ´الموساد´ اخطر أجهزة المخابرات السرية ´أن اختيار عملاء الموساد من الإسرائيليين يتم وفقا لمعايير محددة أهمها الذكاء والقدرة على الكتمان واللياقة البدنية، ويفضل المسؤولون في الموساد اختيار العملاء الجدد من بين الشباب اليهودي الذين تربوا في المزارع الجماعية أو نظرا لتطرفهم الديني وإيمانهم العميق بالصهيونية. واختيار الشباب الذين ابدوا مهارات خاصة خلال فترات التجنيد العسكري أو الدراسة الجامعية.

ويخضع كل مرشح للعمل في الموساد لسلسلة صعبة من الاختبارات النفسية بجانب عملية



مراجعة دقيقة لتاريخ حياته وعلاقاته ثم يبدأ دورة تدريبية لمدة ١٢ شهرا في اللغة والأسلحة والاتصالات حتى الاتيكيت وكيفية استخدام أدوات المائدة والماكياج.

وخلال مرحلة التدريب يتم التركيز على تقوية الذاكرة وقوة التحمل وسرعة البديهة وحسن التصرف في المواقف الصعبة، وفي بعض الأحيان يقوم بعض رجال الموساد بالتنكر في هيئة عرب ويختطفون أحد عملاء الموساد ثم يقومون باستجوابه وتعذيبه لاختبار مدى قدرته على الكتمان وتحمل الظروف الصعبة.

ويتميز الموساد ببراعته الفائقة في مجال العمليات القذرة، ويرجع السبب في ذلك إلى أن طبيعة وتدريب عميل الموساد تجعله لا يتوقف كثيرا عند أي اعتبارات أخلاقية مادام الهدف هو خدمة الصهيونية والدولة اليهودية.

وهناك محطات تابعة للموساد في العديد من بلدان العالم الهامة، ولكل محطة من هذه المحطات رئيس وهيئة عاملين من الجواسيس والعملاء وهي تعمل ٢٤ ساعة في اليوم ويكون هناك تنسيق مكثف بين رئيس محطة الموساد في دولة ما والسفير الإسرائيلي في هذه الدولة بل أن الكثيرين من الدبلوماسيين الإسرائيليين في بلدان العالم هم عملاء وجواسيس للموساد.

وهناك عدد كبير من الفضائح الدولية التي تورط فيها الموساد ووكالات مخابرات إسرائيلية أخرى يمكن الاطلاع عليها في "موقع الحقيقة الدولية الاردنية".

وحدة "كيدون" المتخصصة فى الأغتيالات ونشر الفوضى.

"كيدون" وتعني الخنجر الذي يغمد في البندقية أو (الحربة) وهي وحدة ضمن قسم العمليات الخاصة فى الموساد "ميتسادا" والمسؤولة عن الاغتيالات في جهاز الموساد، وتعتبر "كيدون" الوحدة الوحيدة في العالم المجازة رسمياً من حيث تنفيذ الاغتيالات، تتكون من فرق كل فرقة تضم ١٢ شخصا، وتسمى أيضاً "قيساريا".

يقوم الموساد بتدريب عناصر "كيدون "على كيفية التعامل مع السلاح وحماية الذات والاستهانة بالموت ، حيث يتم تدريب المرشحين على كيفية سحب المسدس أثناء الجلوس في مطعم إذا اقتضى الأمر، إما بالسقوط إلى الخلف على المقاعد أو إطلاق النار من تحت الطاولة ، أو بالسقوط إلى الخلف ورفس الطاولة في الوقت نفسه ثم إطلاق النار ، وكل ذلك في حركة واحدة ، ولقد تم التساؤل ما الذي يحدث لمشاهد برئ ؟ (يقول أحد المتدربين) : تعلمنا أنه لا يوجد مشاهد برئ في موضع يحدث فيه إطلاق النار ، فالمشاهد سيرى موتك وموت شخص آخر ، فإذا كان موتك ، فهل تهتم إذا أصيب بالجراح ؟ بالطبع لا ، إن الفكرة هي البقاء – بقاؤك أنت ، يجب أن تنسى كل ما كنت قد سمعته عن العدل ، ففي هذه المواقف إما أن تكون قاتلا أو مقتولا ، وواجبك أن تحمى ملك الموساد ، أي أن تحمى نفسك ، وبمجرد أن تفقد هذا تفقد عار الأنانية ،حتى أن الأنانية تبدو سلعة قيمة – شيئا يصعب عليك أن تنفضه عنك عندما تعود إلى بيتك في آخر النهار.

• يتميز "الموساد" ببراعته الفائقة في مجال العمليات القذرة، لأن طبيعة وتدريب عميل الموساد تجعله لا يتوقف كثيرا عند أي اعتبارات أخلاقية مادام الهدف هو خدمة الصهيونية والدولة اليهودية.

وقد وجدت الفرقة الظروف التى تمر بها مصر ، من فوضى وأضطراب بيئة صالحة لنشر سمومها بين الشعب، والمعروف ان أفراد كيدون يتقنون



اللغة العربية "العامية" بجميع اللهجات ،كما يدرسون الإسلام دراسة وافية ،مما يؤهل أعضاءها بإتقان الساتر الدينى الملتزم ،كما تتقن وحدة "كيدون" القيام بعمليات الأغتيال على أعلى مستوى من الحرفية و الإتقان ، وعلى حسب ما ذكرته مصادر متطلعه أن هناك عدد من أفراد وحدة "كيدون" تواجدت منذ الايام الاولى لثورة ٢٥ يناير٢٠١١ بميدان التحرير، وأستطاعت بمهارة الأنصهار بين شباب الثورة بعد أن اقنعت الجميع بساتر دينى جيد ، حيث أن بعض من تعامل معهم ظن أنهم سلفيون أو على الأقل شباب مسلم ملتزم دينياً.

وأضاف المصدر أنه تم رصد عدد من أفراد "كيدون" و التعرف عليهم و مراقبتهم أثناء جمع معلومات هامة ، تتمثل فى الحالة الإجتماعية للطبقة الفقيرة بمصر وساكنى العشوائيات ،و رأيهم فى الثورة و رؤيتهم للمجلس العسكرى، وأيضاً جمع معلومات عن أعضاء بالمجلس العسكرى ، كما حاولوا شحن الرأى العام بميدان التحرير على المجلس العسكرى من خلال مناقشات يتم خلالها الترويج لمعلومات مغلوطة بمستندات مزورة ،كما قامت تلك المجموعة بمحاولات لحدوث صدامات بين أفراد من جنود القوات المسلحة من جهة و المتظاهرين من جهة أخرى، كما سعت المجموعة إلى إشعال الفتنة الطائفية أثناء أعتصام ماسبيرو.

من المستحيل أن نتعرف علي تلك الفرقة وجها لوجه حيث إن أشكالهم شرقية يتحدثون المصرية بطلاقة يتصرفون مثلنا، يشربون الشيشة ويجلسون علي المقاهي ويتنقلون بالميكروباص، وإذا استوقفهم أي شرطي سيبرزون له هوية مصرية سليمة، حيث أنهم درسوا في فصول الموساد الإسرائيلي دروسا مكثفة عن عادات المصريين وكيف يتصرفون ويفكرون ويتظاهرون، فالثابت أنهم يحضرون أيضا لمظاهرات ميدان التحرير لجمع المعلومات وتقييم الأوضاع الطائفية في مصر وملف التجسس المحظور النشر فيه.

وتتبع تلك الفرقة قسم العمليات الخاصة بالموساد المعروف باسم (كيدون) أي الحربة ومقر تدريباته الأصلية في صحراء النقب بإسرائيل غير ان الصحيفة تكشف اليوم عن أنهم يتدربون بعيدا جدا عن ديارهم كعملية للتمويه خاصة أن العملية التي يتدربون عليها حاليا شديدة السرية.

ويذكر انهم يتدربون على أحدث الأسلحة وفي ظروف تشبه ظروف الريف المصري، وربما تكشف المعلومات هنا عن معلومات حديثة تدل علي أنهم نفذوا عمليات في الخليل ونابلس وغزة، ونفذوا عمليات اغتيال تاريخية ومشهورة في لبنان وأفغانستان والعراق وباكستان.

يبدأ يومهم بالتدريبات علي فنون القتال الحر بدون سلاح باستخدام الحركات القتالية بالأيدي دون السلاح وهي حركات قاتلة دون إحداث ضجة أو حتى دون أن يشعر أحد في شارع مكتظ بالحركة.

والجدير بالذكر أنهم يتدربون على وضع نقاط مراقبة للهدف ثم تصويره وتحديد شخصيته ثم عمل الكمائن له والتدريب علي الهروب بعد التنفيذ واستخدام القناصة والأسلحة الخفيفة .

وحدة التجسس الإسرائيلية "حتساف" ودورها في الحرب الناعمة (١)

أصبحت الحرب الناعمة جزءً مهماً من منظومة الحروب العالمية، لا يقل شأنها عن شأن العمليات العسكرية، ولها أسلحة وأدوات خاصة، يتم استعمالها بشكل رهيب، قد يظن

(١) موقع syria scope – ١٢نوفمبر/ ٢٠١٥ .



البعض أن الخوض في هذا النوع من الحرب أمر لا يعنيهم بشكل مباشر، إلا أن شبكة الإنترنت هي ميدان من ميادين الحرب الناعمة، فالعدو "الإسرائيلي" وضباطه الإلكترونيون موجودون في هذه الحرب، يواكبون التكنولوجيا ويملون على صديقهم الأمريكي تعليماتهم في كيفية تطوير هذه الصناعة لتخدم مصالحها في المنطقة والعالم.

ويعتبر التجسس من العناصر التي ساهمت في إيجاد الكيان الغاصب على أرض فلسطين، فعصابات "الهاغانا" وجرائمها ضد الفلسطينيين وتعقبها لهم أكبر دليل وشاهد، لتتطور بعد ذلك بوحدات إستخباراتية، ففي عام ١٩٥٠ تم تأسيس الوحدة الإستخباراتية "أمان" داخل جيش الإحتلال "الإسرائيلي"، وتأسست تحت إدارة هذه الوحدة وحدات إستخباراتية عديدة لجمع المعلومات أهمها الوحدة "٨٢٠٠" المشهورة بالتجسس الإلكتروني عام ١٩٥٢، لتشبه بمهامها وكالة الأمن القومي الأمريكية باعتراض الإشارات وفك التشفير والتجسس والحروب الإلكترونية.

وقد اهتم جهاز الإستخبارات "الإسرائيلية" منذ نشأته بالتكنولوجيا وتعاون مع وكالة الأمن القومي الامريكية لتطوير أجهزته في الوحدات الأمريكية المتخصصة، ما أدى إلى إنشاء وحدات جديدة تتماشى مع التكنولوجيا الحديثة كوحدة "هاتساف" أو "حتساف" التي ترصد الشبكات التواصل الإجتماعي بكافة الوسائل الممكنة فقد نشرت الإذاعة العبرية "جالى تساهال" في الأراضي المحتلة بتاريخ ١٠-٤-٢٠١٣ تقريراً تحدث فيه حول هذه الوحدة وبدأت الإذاعة العبرية تقريرها بالتأكيد على أن كل ما يتم تداوله على مواقع التواصل الاجتماعي يشكل أهمية كبيرة لدى الوحدة الاستخباراتية، ونقلت الإذاعة تصريحات نائب قائد وحدة "حتساف" الاستخباراتية أن مواقع التواصل الاجتماعي أضحت في الفترة الأخيرة كنز كبير لسلاح الاستخبارات، وأنه تم استقاء العديد من المعلومات عبر الرسائل وصفحات الفيس بوك، وعن طبيعة عمل الوحدة الاستخباراتية؛ أوضح التقرير أنه يتم جمع العبارات والصور عن أصحاب الرأي وذوي التأثير في المجتمع ومناقشتها بين قادة الوحدة لترفع أخيرًا لدوائر صناع القرار "الإسرائيلي"، ومثالاً على عمل الوحدة فقد صرّح بعض جنودها عن بعض الأمثلة والحالات التى تم رصدها وعلى رأسها حالة الإحباط، وخيبة الأمل التى شعر بها الليبراليون الأمريكيون، والأوساط المصرية من الحال الذي آلت له مصر في ظل حكم "الإخوان المسلمين".

> • **اهتم جهاز الإستخبارات "الإسرائيلية" منذ نشأته بالتكنولوجيا وتعاون مع وكالة NSA لتطوير أجهزته في الوحدات الأمريكية المتخصصة، ما أدى إلى إنشاء وحدة "حتساف" التي ترصد الشبكات التواصل الإجتماعي.**

العدو "الإسرائيلي" لا يقف عند هذا الحد، فالمناقشة للمواد التي تم رصدها ترفع أخيراً لصناع القرار في الكيان الغاصب ليتم بعدها تحديد الأهداف المراد الوصول إليها خلال الحرب الناعمة من خلال وحدة "السايبر" المنبثقة عن الوحدة "٨٢٠٠"، الوحدة وآلية عملها وأساليبها المتّبعة في الحرب الناعمة ضد محور المقاومة لا يمكن إحتوائها في نهاية سطور هذا المقال، فماهي وحدة "السايبر" وماذا قال عنها "نتنياهو"؟، كيف تعمل ومدى الدعم الهائل المقدم لها من قبل الكيان "الإسرائيلي"؟..

تساؤلات تحتاج إلى إجابات موسّعة.

وحسب – الكاتب صالح النعامي[1] – : دفع الكشف عن عمليات التنصت الواسعة التي تقوم بها وكالة الأمن القومي الأميركية على حلفاء للولايات المتحدة، معلقين وكتابا إسرائيلين إلى تسليط الأضواء على الدور الذي تقوم به "وحدة ٨٢٠٠" التي تعد ذراع التنصت الإسرائيلي الهائل.

وأكد المعلق العسكري الإسرائيلي عمير رايبوبورت أن الدور الذي تقوم به "وحدة ٨٢٠٠"، التابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان)، قد جعل إسرائيل ثاني أكبر دولة في مجال التنصت في العالم، بعد الولايات المتحدة.

وفي مقال نشره على موقع صحيفة معاريف الإسرائيلية، أوضح "رايبوبورت" أن التقدم الهائل الذي حققته إسرائيل في مجال صناعة التقنيات المتقدمة قد وظف بشكل كبير في تطوير وتوسيع عمليات التنصت التي تقوم بها الوحدة، مشيرا إلى وجود دور بارز لشركات القطاع الخاص في رفد الوحدة باختراعات تعزز من قدرات التنصت.

وأشار رايبوبورت إلى أن الحواسيب المتطورة التابعة لوحدة ٨٢٠٠ قادرة على رصد الرسائل ذات القيمة الاستخباراتية من خلال معالجة ملايين الاتصالات ومليارات الكلمات.

وفي ذات السياق كشف تحقيق أعده المعلق العسكري "يوآف ليمور" النقاب عن أن تحولاً قد طرأ على عمل الوحدة التي يقودها ضابط كبير برتبة عميد، منذ أن تفجرت الثورات العربية، وأصبحت الخدمة في هذه الوحدة "جواز سفر في نظر الشباب الإسرائيلي" لكي يصبحوا من أصحاب الملايين بسبب استيعابهم في شركات التقنيات الرائدة، أو بفعل قيامهم بتدشين شركات"

وأشار في تحقيقه الذي نشر على موقع صحيفة "إسرائيل اليوم" إلى أن وحدة ٨٢٠٠ باتت تهتم بمتابعة مواقع التواصل الاجتماعي التي يرتادها الشباب العربي لا سيما فيسبوك وتويتر، لبناء تصور بشأن التحولات التي يمكن أن تطرأ في العالم العربي، حتى لا تتعرض إسرائيل للمفاجأة كما حدث مع تفجر الثورات العربية.

ولفت ليمور إلى أن وحدة ٨٢٠٠ مسؤولة أيضاً عن قيادة الحرب الإلكترونية في الجيش الإسرائيلي، علاوة على قيامها بعمليات تصوير، وأوضح أن الوحدة تضم ضباطاً وجنوداً يقومون بمرافقة قوات المشاة أثناء العمليات العسكرية والحروب، حيث يتولون جمع المعلومات الاستخبارية التكتيكية من أرض المعركة، مشيرا إلى أن الوحدة أسهمت في تطوير فيروس "ستوكسنت"، الذي استهدف عام ٢٠٠٩ المنظومات المحوسبة التي تتحكم في أجهزة الطرد المركزية المسؤولة عن تخصيب اليورانيوم في المنشآت النووية الإيرانية، مما أدى إلى تعطيلها.

ودلت الوثائق الجديدة التي كشف عنها مخزن الأرشيف الرسمي الإسرائيلي مؤخراً أن الوحدة مسؤولة عن زرع أجهزة تنصت في مكاتب ومرافق حيوية في عمق البلدان العربية.

وتتنافس شركات التقنيات المتقدمة الرائدة في إسرائيل على استيعاب الضباط والجنود الذين يتسرحون من الخدمة في هذه الوحدة ٨٢٠٠ وذلك بسبب قدراتهم الكبيرة في المجال التقني.

وذكر تقرير عرضته قناة التلفزة الإسرائيلية العاشرة مؤخراً إلى أن الخدمة في هذه الوحدة ٨٢٠٠ أصبحت "جواز سفر في نظر الشباب الإسرائيلي"، لكي يصبحوا من أصحاب الملايين بسبب استيعابهم في شركات التقنيات الرائدة، أو بفعل قيامهم بتدشين شركات.

---

(١) الجزيرة نت.

الجنس، السلاح الفتاك للمجندات الاسرائيليات [1]

كشف د. " سمير محمود قديح " ، الباحث في الشؤون الامنية والاستراتيجية ، في احدى مقالاته، عن كون "النساء، المال، والنفوذ" من أهم الأسلحة التي يذكرنا المؤرخون بلجوء الصهاينة لها في إقامة دولتهم واستمرارها على أنقاض الأراضي العربية.

فكان استخدام المرأة من أبرز الوسائل المتبعة لديهم لإحراز الأهداف وتحقيق الغايات وكأن الغاية الدنيئة تبرر الوسيلة الأكثر دناءة، ولفت قديح : " إباحة بعض رجال الدين اليهود للإسرائيليات ممارسة الجنس من أجل إسقاط الأعداء ، واعتبروا ذلك نوعا من العبادة وخدمة الوطن" .

ويذكر قديح قولاً لاحدى المجندات الاسرائيليات : "كل ما يعنينا هو الحياة ولا يفرق معنا اذا كان من يواجهنا مدني او مسلح".

يمثل العنصر النسائي ثلث القوات العسكرية الإسرائيلية ، وهو ما يجعل للمرأة المجندة دورا بارزا في الدفاع عن إسرائيل بكل ماتملك من قوى وقدرات. وخدمة المرأة اجبارية في الجيش الإسرائيلي الذي يعد أول جيش ألزم المرأة بالخدمة قانونيا عام ١٩٥٦،إضافة إلى خدمتها بقوة الاحتياط.

هذا الدور النسائي في صراع إسرائيل من أجل البقاء لم يتوقف حتي يومنا، وإن تغيرت الأشكال والمسميات، و تكشف مصادر عبرية عن اعتماد جهاز المخابرات الإسرائيلي ´الموساد´ بصورة رئيسية علي سلاح النساء وتشكل نسبة العاملين منهن بالجهاز ٢٠٪ .

وبحسب تقرير نشرته صحيفة ´معاريف´ مؤخرا أن جهاز الموساد يقوم بتجنيد الإسرائيليات بهدف استخدامهن في إغراء قيادات عسكرية وسياسية في عدة دول معادية من أجل الحصول منهم علي معلومات عسكرية وأمنية.

وأكد التقرير أن المجندات في هذا الجهاز نجحن علي مدار الأعوام الماضية في تنفيذ عمليات عسكرية مهمة كان منها اغتيال قيادات فلسطينية ، وسرقة أسرار السفارة الإيرانية في قبرص ومكاتب حزب الله اللبناني في سويسرا واختطاف الخبير الإسرائيلي ´فعنونو´ من إيطاليا.

• لم يتوقف الدور النسوي في صراع " إ سرا ئيل " من أجل البقاء حتى يومنا، وإن تغيرت الأشكال والمسميات.

• يقوم جهاز الموساد بتجنيد الاسرائيليات لاغراء قيادات عسكرية وسياسية في دول معادية للحصول على معلومات عسكرية وامنية.

وتكشف دراسة أعدتها الباحثة الإسرائيلية دانييلا رايخ حول ´تاريخ استخدام المرأة في إسرائيل من أجل الأهداف الكبرى´، إن الحركة الصهيونية أقامت في عهد الانتداب البريطاني بفلسطين جهازا سمي بـ´المضيفات اليهوديات´ أوكلت إليهن مهمة الترفيه والترويح عن الجنود البريطانيين وجنود الحلفاء الذين كانوا ينزلون للراحة والاستجمام على شواطيء البلاد خلال الحرب العالمية الثانية. وتوضح رايخ في دراستها التي قدمت في صورة رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة حيفا ، كيف تم تنظيم عمل البغاء والإغراء، باعتباره جزءا من العمل التنظيمي لمؤسسات الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية في إطار المساعي لكسب التأييد للمشروع الاستيطاني وإقامة

(١) جريدة العراق اليوم / ١٣-٠٢-٢٠١٣.



الدولة الجديدة على الأراضي الفلسطينية.

وعن أسباب تجاهل وإخفاء موضوع جهاز ′المضيفات اليهوديات′ تقول رايخ : لعل ذلك يعدّ سراً نظرا لحساسية الموضوع وما ينطوي عليه من وسائل مشينة لتحقيق إقامة الدولة ترغب إسرائيل في تناسيها.

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

المبحث السابع: القوة الناعمة الروسية[1]

(١) صحيفة الوسط –٥ ديسمبر ٢٠٠٦.

تحت عنوان "موسكو تكتشف خبايا «القوة الناعمة»" كتبت صحيفة الوسط:

تشهد الفترة الراهنة عودة روسيا مجدداً للخريطة الاستراتيجية والاقتصادية العالمية، بعد أن نجحت في تحويل نفسها من قوة عظمى عسكرية منهارة إلى قوة عظمى ناشئة بمجال الطاقة.

وأصبح الإسهام الأكبر لروسيا منذ العام ٢٠٠٠ في أمن واستقرار الدول الواقعة إلى جنوبها يعتمد على القوة الناعمة، مثل تصدير الغاز الطبيعي لأوكرانيا ودول منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، وامتصاص الملايين من العمالة الفائضة بهذه الدول إلى مختلف المدن الروسية، وتوفير الأسواق لسلعها، ونقل الأموال إليها في شكل حوالات، وليس عبر الجيش الأحمر أو الوجود العسكري والمواثيق الأمنية.

طبعاً لا تضاهي قوة روسيا الناعمة مثيلتها الأميركية الآن، فكما أوضح الأستاذ بجامعة هارفارد ومبتكر المصطلح جوزيف ناي أن تلك القوة تنشأ من ثلاثة مصادر: ثقافة الدولة، قيمها السياسية، وسياساتها الخارجية. ويشير ناي إلى أن الاتحاد السوفياتي سبق أن تمتع بقدر من هذه «القوة الناعمة»، لكن السياسات الوحشية التي كانت تنتهج ضاءلت من أثرها، أما اليوم، فإن موسكو في طريقها لاستعادة القوة الناعمة بالحجم الذي تمتعت به أثناء الحقبة السوفياتية داخل الدول المحيطة بها.

وباعتبارها إحدى أكثر دول العالم تميزاً بوفرة مصادر الطاقة، استطاعت روسيا منذ العام ١٩٩٩ أن تستفيد من القلق العالمي إزاء أمن الطاقة وانعدام استقرار منطقة الشرق الأوسط والارتفاع الهائل في أسعار النفط، إذ نجح الاقتصاد الروسي في تحقيق قفزات نحو الأمام بزيادة حجم إنتاجه النفطي، وتراوح متوسط النمو السنوي لإجمالي الناتج المحلي ما بين ٦ في المئة و٧ في المئة، إضافة إلى توافر فائض في الموازنة ومستويات قياسية من احتياطيات النقد.

وقد انعكس ذلك في حدوث تحول في طبيعة القوة الروسية وأسلوب ممارستها، فعلى رغم الاحتفاظ بالكثير من مظاهر «القوة الصلبة» بما في ذلك الأسلحة النووية وجيش تقليدي هائل، امتنعت موسكو عن تخصيص عوائدها الجديدة من مجال الطاقة لتعزيز إنفاقها العسكري على حساب القطاعات الأخرى، ويقف الإنفاق الدفاعي الروسي حاليّاً عند مستوى مشابه لنظيره لدى كل من الهند واليابان وفرنسا وبريطانيا.

أيضًا تخلت روسيا تدريجيّاً منذ العام ٢٠٠٠ عن التوجه السوفياتي القائم على الإبقاء على نشر



قوتها العسكرية؛ لضمان الحفاظ على مكانتها الجيوسياسية. وبدلاً من ذلك، تحركت موسكو في اتجاه حشد واستغلال مواردها الاقتصادية؛ لتشجيع جيرانها على التعاون مع سياساتها الإقليمية بدرجة أكبر، فهناك شركة «جازبروم» الروسية جهة الإمداد الأولى للغاز الطبيعي لدول المنطقة الأوروآسيوية، وتمكنت شركة «يونيفيد إنرجي سستمز» الروسية للكهرباء من توسيع نطاق أسواقها بالقوقاز وآسيا الوسطى، وشرعت شركات روسية خاصة، مثل «ويم بيل دان فودن» في الهيمنة على الأسواق الإقليمية لمنتجات الألبان وعصائر الفاكهة.

وعليه، وعلى رغم الحرب الدائرة في الشيشان والمواجهات المتكررة مع جورجيا، لم تَعُد دول المنطقة تتوقع غزواً روسيّاً، بل عادت جاذبية النموذج الروسي خصوصاً مع استغلال روسيا ثقافتها الشعبية واللغة الروسية، باعتبارها اللغة الإقليمية للتجارة والتوظيف والتعليم داخل دول الاتحاد السوفياتي السابق.

وفي حال استمرار تدفق المهاجرين من الدول المجاورة على روسيا واستمرار الأنشطة الاستثمارية للشركات التجارية الروسية بهذه الدول، واستمرار شبابها في مشاهدة الأفلام الروسية والإقبال على المنتجات الاستهلاكية، وامتناع موسكو عن استخدام يدها الثقيلة بتلك الدول وقيامها بدلاً من ذلك من إمداد يدها التجارية إليها، فإن روسيا ستحقق بذلك هيمنة اقتصادية وثقافية بالمنطقة الأوروآسيوية يضاهي هيمنة واشنطن داخل الأميركتين. بيد أن استغلال موارد الطاقة الناعمة يتطلب قدراً كبيراً من المهارة، وهي حقيقة يؤكدها فشل الولايات المتحدة الراهن في الاستفادة من قوتها الناعمة المطلقة، والتصدي لتنامي مشاعر كراهيتها على المستوى العالمي.

وقد عجزت روسيا أثناء عقد التسعينات عن تقديم إعانات مالية إلى دول الاتحاد السوفياتي السابق، وتقوضت الروابط الاقتصادية بين الجانبين، وأبقت روسيا على ميلها لاستخدام القوة الصلبة في تعاملها مع هذه الدول، ما أثار قلق بعضها وخصوصاً في ضوء تضاؤل المنافع الاقتصادية العائدة من وراء التعاون مع روسيا، وتقلصت مكانة روسيا ثقافيّاً، ما وسع الهوة بين الطرفين، بل رأى البعض أن روسيا تريد إحياء أطماع إمبريالية وتعيد تشكيل الاتحاد السوفياتي، وخصوصاً مع تقديم الدول الغربية إجراءات توفر ضمانات أمنية ضد الاستئساد الروسي، مثل توسيع نطاق عضوية حلف الناتو والاتحاد الأوروبي لتشمل الدول المجاورة لروسيا، كما دخلت أميركا في قطاع الطاقة بدول بحر البلقان، وتزعمت جهود إنشاء ممر جديد بين الشرق والغرب؛ لنقل النفط من منطقة بحر قزوين عبر القوقاز وتركيا مع تجنب روسيا.

> **• مع تدفق المهاجرين من الدول المجاورة على روسيا واستمرار الأنشطة الاستثمارية للشركات الروسية بهذه الدول، واستمرار شبابها في مشاهدة الأفلام الروسية والإقبال على المنتجات الاستهلاكية، وامتناع موسكو عن استخدام يدها الثقيلة ستحقق هيمنة اقتصادية وثقافية بالمنطقة الأوروآسيوية.**

لكن جاء التحول مع بدء استعادة الاقتصاد الروسي لنشاطه العام ١٩٩٩، وبنهاية العام ٢٠٠١ ارتفع الإنتاج النفطي الروسي بمقدار مليون برميل يوميّاً؛ ليستقر عند مستوى يتجاوز



٧ ملايين برميل يوميّاً، كما تم بناء منشآت جديدة فيما يخص البنية التحتية، بما في ذلك خط أنابيب البلطيق لزيادة القدرة التصديرية بنسبة ١٢ في المئة. وبلغ الإنتاج النفطي لروسيا العام ٢٠٠٥ نحو ٩,٦ ملايين برميل يوميّاً، وتجاوزت الصادرات النفطية ٤ ملايين برميل يوميّاً.

وأدى ارتفاع أسعار النفط وتنامي الإنتاج الروسي منه إلى ارتفاع في الموازنة الفيدرالية، وخصوصاً أن الموارد الطبيعية تشكل نحو ٨٠ في المئة من الصادرات الروسية، يمثل النفط والغاز الطبيعي الجزء الأكبر منها، علماً بأن الضرائب المفروضة على النفط والغاز تمثل ٣٧ في المئة من عوائد الموازنة.

وطبعاً، للقصة جوانب أخرى، إذ عانت الكثير من دول الاتحاد السوفياتي السابق الأخرى من أزمات مالية خلال العام ١٩٩٨ – ١٩٩٩ جراء التداعيات التي خلفها تعويم الروبل الروسي على عملاتها الوطنية. ومع بدء استعادة الاقتصاديات الأوروآسيوية لعافيتها وتحركها على طريق النمو، تطلع جيران موسكو نحوها باعتبارها سوقًا لصادراتهم، في الوقت الذي سعوا لشراء المنتجات الروسية الاستهلاكية الجديدة الأرخص من تلك الواردة من الغرب. كما استمر اعتمادهم على إمدادات الطاقة الروسية، وازدادت ديون تلك الدول تجاه موسكو مع ارتفاع أسعار النفط والغاز.

وفي الوقت ذاته، وقفت حقائق المسافات الجغرافية حائلاً دون إتمام تطلعات أوكرانيا ودول منطقتي القوقاز وآسيا الوسطى في المدى المنظور بتوجيه استثمارات غربية ضخمة إليها وتنمية روابط اقتصادية وثيقة مع أميركا وأوروبا.

وسياسيّاً، أدركت هذه الدول، باستثناء دول البلطيق الثلاث، أن إعادة ترتيب أولويات المصالح الأميركية والغربية بعد ظهور تهديدات جديدة أبرزها الإرهاب سيؤثر على توسيع عضوية الناتو والاتحاد الأوروبي، وأنها لم تَعُد عضواً محتملاً على المدى القريب، ما حدّ من فرص إقرار المزيد من التفاعل الأمني والسياسي والاقتصادي بين الدول الأوروآسيوية وبين شطري الأطلسي.

في الوقت ذاته تغيرت الأهداف الروسية مع تولي فلاديمير بوتين السلطة العام ٢٠٠٠ وتعهده بالعمل على استعادة «مكانة» روسيا من خلال توحيد صفوف المجتمع وتحقيق الاستقرار على الصعيد الاقتصادي وتعزيز الدولة من خلال تعزيز قوة روسيا داخليّاً، وليس خارجيّاً، على الأقل في المدى القصير، وتمكنت روسيا من سداد الديون الخارجية وتقليل الاعتماد على المساعدات المالية الضخمة من صندوق النقد الدولي وواشنطن، وجهات الإقراض الكبرى الأخرى، على خلاف الحال في عقد التسعينات، وبنهاية ٢٠٠١ حقق الاقتصاد الروسي أفضل أداء له منذ سقوط الاتحاد السوفياتي، فارتفعت الأجور ٢٠ في المئة، والمعاشات ٢٣ في المئة، ونمت الدخول الحقيقية بنسبة ٦ في المئة، كما ارتفعت الاحتياطيات الرسمية من الذهب والعملة الصعبة.

وقد ساهم هذا النجاح الاقتصادي في خلق شعبية كبيرة لـ «بوتين» خلال السنوات الأولى من رئاسته بلغت نحو ٧٠ في المئة، ما مكّنه من تنفيذ إصلاحات عجز سلفه «يلتسين» عن تطبيقها، مثل إصدار تشريعات جديدة بشأن الإصلاح الزراعي والمعاشات والضرائب.

بعد العام ٢٠٠١، شرع بوتين في توجيه المزيد من الاهتمام إلى السياسة الخارجية. وبالتزامن مع مبادراته للتقارب مع واشنطن، أنهى السياسة الخارجية الفوضوية التي اتسمت بها فترة رئاسة يلتسين، ومارست موسكو شكلاً مختلفاً للتعبير



عن قوتها الإقليمية خلال السنوات الأخيرة بعد أن اكتسبت استثمارات رؤوس الأموال الروسية وتصدير المنتجات الاستهلاكية والثقافة الشعبية أهمية لتأمين المصالح الروسية.

وتؤكد الخطابات السنوية لـ «بوتين» أن الطموحات الاستعمارية المميزة للحقبة السوفياتية تبدلت بتطلعات جيوسياسية واضحة، وإن كانت أكثر تواضعاً، وتتركز في معظمها على «كومنولث الدول المستقلة» المؤلف من الدول المجاورة مباشرة لروسيا وجمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقًا.

وقد أكد «بوتين» على هذه الحقيقة في يوليو/ حزيران ٢٠٠٤ لدى اجتماعه مع السفراء الروس الذين استدعاهم لموسكو؛ لمراجعة أولويات السياسة الخارجية التي حددها في حماية المصالح الاقتصادية وتعزيز جاذبية روسيا للاستثمارات ومقاومة التمييز داخل الأسواق الأجنبية، وشدد على أن «الأولوية الرئيسية» لاتزال «كومنولث الدول المستقلة».

والمثير أن بوتين نوّه بأن بلاده لم تتعلم بعدُ كيفية استغلال الثقة التاريخية والروابط الوثيقة بين شعوب تلك الدول، في إشارة إلى موارد القوة الناعمة. بل الأهم من ذلك أن بوتين حذر من السعي لفرض قيادة روسية مطلقة على «كومنولث الدول المستقلة»، معترفاً بأنه لم يَعُد بمقدور موسكو احتكار السيطرة على شئون المنطقة.

ومع أن بوتين بذلك يشدد على استخدام القوة الناعمة في علاقة روسيا بكومنولث الدول المستقلة، إلا أن القوة الصلدة وكذلك نزعات التهديد لاتزال خطراً حقيقيّاً إذا حاولت العناصر الرجعية داخل المؤسسات العسكرية والأمنية والبرلمان الروسي إعادة التأكيد نفوذها في إطار صوغ وتنفيذ السياسة الخارجية؛ إذ تعلن بعض الدوائر الأكثر تشدداً عن آرائها بضرورة أن تسعى موسكو لإعادة إقرار سلطتها ونفوذها بالمنطقة الأوروآسيوية، وتؤيد استخدام القوة القمعية لضمان المصالح الروسية وخصوصاً مع حقيقة أن واشنطن في ظل قيادة بوش أصبحت تتبع توجهات أكثر قوة بمختلف أنحاء العالم، بما في ذلك آسيا والشرق الأوسط التي سبق أن كانت محل تنافس بين القوتين العظميين.

• تكشف بعض التطورات عن فوائد القوة الناعمة التي حولت موسكو إلى قوة اقتصادية جذابة.

- - - - - - - - - - - -

لن تتمكن روسيا من الاستفادة من جميع قوتها الناعمة إذا كانت اليد العليا لأنصار القوة الصلدة الذين قد يلجؤون لتكتيكات التدخل القديمة؛ للحفاظ على المصالح الروسية.

إن قَصْر عملية صنع السياسة الخارجية الروسية على الدوائر الضيقة نسبيّاً للكرملين والإدارة الرئاسية يعني أن بوتين ليس أمامه سوى عدد ضئيل من كوادر الصفوة للاعتماد عليها في تنفيذ سياسة تقوم على موارد القوة الناعمة الروسية، ويميل أنصار القوة الصلدة إلى نشر مواردها من تلقاء أنفسهم وربما يواجه بوتين قدراً بالغاً من الصعوبة في كبح جماحهم.

وعلى رغم ذلك، فإن تجربة استخدام القوة العسكرية مع الشيشان، والخسائر الفادحة لهذه الحرب والتدمير الكامل لمدينة غروزني ووقوع كارثة إنسانية قد يحدّ من الرغبة في نشر الموارد العسكرية الروسية.

وتكشف بعض التطورات عن فوائد القوة الناعمة التي حولت موسكو إلى قوة اقتصادية جذابة. على سبيل المثال، في يونيو ٢٠٠٤ شهدت موسكو تحولاً راديكاليّاً في علاقاتها السلبية



مع اثنتين من أهم دول آسيا الوسطى: طاجكستان وأوزبكستان. فيما يخص طاجكستان، سعت الحكومة إلى التخلص من القوات الروسية المرابطة بأراضيها، ولكن تمكنت موسكو التوصل لاتفاق يقضي لموسكو الاحتفاظ بجنودها ومنشآتها العسكرية داخل طاجكستان، مقابل إسقاط نسبة من ديون الأخيرة لها وتوجيه استثمارات روسية جديدة بمجال الطاقة إليها، ودخول العمالة الطاجيكية إلى روسيا.

أما أوزبكستان، فقد وقَّعت روسيا معها اتفاق شراكة استراتيجية، ما يضع نهاية لعقد من تباعد حكومة طشقند عن موسكو وتقاربها مع واشنطن. هذه الشراكة لم تركز فقط على الجوانب العسكرية، وإنما شملت قيام مشروعات ضخمة لإشراك الشركات الروسية الكبرى مثل «جازبروم» و»لوكويل» في قطاع الطاقة الأوزبكي.

في الواقع أصبح الاقتصاد والعمالة المهاجرة لموسكو نقاط جذب لشعوب المنطقة، وليست عامل طرد كما كان الحال في التسعينات؛ لذلك شهدت السنوات الأخيرة تدفق ملايين المهاجرين «الاقتصاديين» من دول آسيا الوسطى و»كومنولث الدول المستقلة» على روسيا بحثاً عن فرص عمل، كما شرع رجال الأعمال والتجار الإقليميين في نقل سلعهم إلى الأسواق الروسية؛ للاستفادة من اقتصادها الاستهلاكي الناشئ.

ويُعَدّ ذلك مساراً مزدوجاً، إذ يعود النمو داخل دول الكومنولث وتنامي التجارة بينها بالنفع على الصناعات الروسية ويمد الاقتصاد الروسي بزخم أكبر مع ازدياد الطلب على تصدير المنتجات الروسية المصنعة والأسمدة والكيماويات التي لا تنتجها الدول المجاورة.

من ناحية أخرى، يرتبط توسيع دائرة نفوذ موسكو اقتصاديّاً وسياسيّاً بثروتها النفطية؛ إذ تظل الطاقة أساس القوة الروسية على امتداد المستقبل المنظور، فهي من أعادت لروسيا جزءاً من مكانتها السابقة كقوة عظمى، وربما تساعد موارد الطاقة الهائلة روسيا إلى التحول إلى قوة في القرن الحادي والعشرين، تنتمي لنمط مختلف عما كان عليه الحال مع الاتحاد السوفياتي، وخصوصاً أن عوائده لا توجّه للآلة العسكرية.

ويمكن النظر إلى هذا التطور باعتباره التحول الأهم خلال هذا العقد. وربما تتبع موسكو نهج اليابان وألمانيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، بحيث تصبح القوة المهيمنة داخل المنطقة المحيطة بها نتيجة نموها الاقتصادي وقوتها الناعمة. وستلقى هذه الهيمنة الروسية على المنطقة الأوروآسيوية قبولاً حتى من قبل الصقور التقليديين بواشنطن والغرب، مثلما تقبلوا الهيمنة الاقتصادية لكل من ألمانيا واليابان في المناطق المحيطة بهم.

بيد أنه من الناحية السياسية لن تتمكن روسيا من الاستفادة من جميع إمكانات قوتها الناعمة إذا ما باتت اليد العليا لأنصار القوة الصلدة الذين قد يلجأون لتكتيكات التدخل القديمة؛ للحفاظ على المصالح الروسية، ويبقى الخلاف حادّاً بين أنصار القوة الناعمة والصلدة داخل موسكو.

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊



المبحث الثامن: القوة الناعمة الصينية[1]

(١) جوشوا كورلانتزيك ، باحث زائر لدى معهد «كارنيغي» لدراسات السلام- المصدر: الإتحاد الإماراتية- ينشر بترتيب خاص مع خدمة «لوس أنجلوس تايمز وواشنطن بوست»-٢٥-٦-٢٠٠٧.

بعدما ظلت القرى التايلاندية في المناطق الشمالية من البلاد غارقة في هدوئها الأبدي ومستكينة إلى مصيرها طيلة العقود السابقة، تحولت اليوم إلى مدن مزدهرة شبيهة بتلك الموجودة في الصين.

فمع الطفرة التجارية أصبحت المنطقة محطة عبور رئيسة للسفن المحملة بالبضائع والمنتجات الصينية من التفاح والهواتف النقالة إلى غيرهما من المواد.

ومن تلك الحواضر الجديدة مدينة "تشيانج راي" التايلاندية التي أقامت فيها الصين مركزاً ثقافياً كبيراً يتبع للجامعة الملكية المحلية، في محاولة لتمتين العلاقات الصينية مع المؤسسة الملكية المقدسة في البلاد.

وتمتد هذه العلاقات أيضاً، التي تحرص الصين على دعمها، إلى السياسيين في تايلاند بحيث يسعون بدورهم إلى التعرف على الصين من خلال الحفلات التي تتولى بكين رعايتها.

هذا فضلاً عن هجرة الآلاف من الصينيين إلى تايلاند بحثاً عن العمل، ما يولد لدى رجال الأعمال في البلد رغبة جامحة لتعلم اللغة الصينية، التي لم تعد مدارس اللغات قادرة على مواكبة الطلب المتزايد على تعلمها.

بيد أن شمال تايلاند لا يختلف كثيراً عن العديد من المناطق الأخرى في البلدان النامية، حيث سعت الصين على امتداد السنوات الخمس الأخيرة إلى خلق الظروف المناسبة لتتحول إلى قوة دولية.

ولتحقيق ذلك لم تعتمد الصين فقط على الدبلوماسية في مستوياتها الرفيعة، بل لجأت أيضاً إلى أدوات القوة اللينة أو بالأحرى "الناعمة" مثل المساعدات والاستثمار والدبلوماسية الثقافية.

وقد أثبت هذا الهجوم الجذاب الذي تمارسه الصين نجاحه الباهر متمثلاً في ارتفاع شعبية بكين لدى العديد من بلدان كانت تتهيب منها إلى وقت قريب.

• تبذل الصين جهودا حثيثة لتعزيز لغتها وثقافتها بانشاء برامج لتعلم اللغة الصينية في جامعات رائدة من كينيا الى استراليا.

ويُعزى تركيز الصين جهودها على العالم النامي لما يزخر به من موارد طبيعية، ولما يتوفر عليه من أسواق صاعدة تحتاجها الصين لضمان نموها الاقتصادي.

وفي هذا الإطار، تحرص الصين على خطب ود الحكومات في أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية من خلال منحها القروض وتقديم المساعدات، حيث قامت في هذا الصدد بتخصيص مبلغ ٢٠ مليار دولار من المساعدات لتمويل مشروعات في البلدان الأفريقية.

فقد ساهمت الصين في مد خطوط السكك الحديدية في أنجولا وزامبيا، وشيدت السدود في موزمبيق والسودان، بل وأصبحت تنافس الاستثمارات اليابانية في بعض بلدان جنوب شرق آسيا مثل الفلبين التي التزمت بكين نحوها بإقامة مشروع كبير للسكك الحديدية تقدر قيمته بحوالى ٥٠٠ مليون دولار.

وتدفع الصين بقوة في اتجاه تعزيز علاقاتها التجارية من خلال عقد الصفقات مع بلدان تمتد



من الخليج العربي إلى أقصى جنوب أميركا.

وإذا كان رجال الأعمال الأميركيون يتحفظون على عقد صفقات بحضور السياسيين خوفاً من اتهامهم باستغلال النفوذ السياسي للولايات المتحدة في العالم، فإن نظراءهم الصينيين لا يتحرجون عن السفر مع قادتهم إلى الخارج وعقد الصفقات مباشرة.

والأكثر من ذلك تبذل الصين جهوداً حثيثة لتعزيز لغتها وثقافتها من خلال الإشراف على إنشاء برامج لتعلم اللغة الصينية في جامعات رائدة تمتد من كينيا إلى أستراليا.

وفي كمبوديا ذهبت وزارة التعليم الصينية إلى أبعد من ذلك عندما قامت بتمويل وإمداد المدارس الابتدائية والثانوية الكمبودية بمدرسي اللغة الصينية، فضلاً عن استقبال عدد أكبر من الطلبة الأجانب في الجامعات الصينية الذي ارتفع عددهم من ٨ آلاف قبل عقدين من الزمن إلى ١٢٠ ألفا اليوم.

ومن ناحيته يدلي السلك الدبلوماسي الصيني، الأكثر مهارة من ذي قبل، بدلوه في تعزيز اللغة والثقافة الصينيتين من خلال الحرص الكبير الذي يبدونه في عملهم.

فعلى سبيل المثال، قام "جيانج يواندي" السفير الصيني لدى البرازيل بجولة قادته إلى جميع الدول الناطقة بالبرتغالية في العالم قبل الوصول إلى العاصمة البرازيلية.

وفي هذا الإطار علق أحد الدبلوماسيين الآسيويين على ذلك قائلاً "لقد كان السفراء الصينيون يكتفون بالجلوس داخل مقار سفاراتهم، لكنهم الآن أصبحوا أكثر براعة".

ولا يقتصر النفوذ الصيني المتصاعد على الطبقة السياسية فقط، بل يمتد أيضاً إلى الشارع. فبعد أن كانت القوة الصناعية والعسكرية الصينية تخيف العالم النامي قبل عشرة أعوام، لا سيما الدول المجاورة، فإن استطلاعات الرأي اليوم، التي تجرى في أفريقيا وآسيا وأميركا الجنوبية تكشف عن وجود شعور إيجابي متزايد تجاه الصين، هذا التغيير في المواقف، هو ما دفع مثلا الفلبين وفيتنام إلى التعاون مع الصين لاستكشاف بحر الصين الجنوبي.

ويطرح القادة الصينيون أنفسهم كبديل لقوة الغرب المتدخلة في شؤون الدول، حيث تجادل الصين بأنها ستساعد الدول النامية لكن دون الإشارة إلى شؤونها الداخلية.

فلن تملي الصين على الدول الأخرى ما ستقوم به، وهو ما تطمئن له العديد من الدول في العالم، التي تنظر إلى التدخل على أنه أداة من أدوات تغيير النظام.

والواقع أن الهجوم الجذاب الذي تقوم به الصين، حقق نجاحاً باهراً إلى درجة أن بعض الدول بدأت تعتبر الصين نموذجاً ناجعاً لتحقيق التنمية.

ففي دول أفريقيا وأميركا اللاتينية، التي فشلت الإصلاحات الاقتصادية الليبرالية في انتشال سكانها من الفقر، تبرز اليوم معارضة متزايدة للإصلاحات المرتبطة بالسوق الحرة، بل حتى للديمقراطية نفسها.

فخلافاً للسياسات الغربية استطاعت الصين فتح اقتصادها دون تحرير نظامها السياسي، وهو ما دفع دولا مثل فيتنام وسوريا وإيران، بالإضافة إلى بلدان أخرى إلى دراسة السياسة الاقتصادية للصين، لا سيما بعد الانبهار الذي يتملك القادة الأفارقة عند زيارتهم للمدن الصينية المزدهرة.

لكن مع الأسف، فشلت العديد من الدول الأفريقية في اقتفاء خطوات الصين لتحقيق النجاح مثل الاستثمار في التعليم الابتدائي والبنية التحتية، بل اقتصر النموذج الصيني بالنسبة للحكام المستبدين على تقليد الأساليب الصينية في السيطرة السياسية، من دون تبني الإصلاحات الاقتصادية المطلوبة.

◊◈◈◉◈◈◊



المبحث التاسع: القوة الناعمة الالمانية[١]

(١) د. سيف نصرت الهرمزي - مقرر قسم الدراسات الدولية \ العلوم السياسة \ جامعة تكريت - المركز الديمقراطى العربى.

عند الامعان في القوة الناعمة على المستوى الدولي نجدها سمة العصر ومن اهم مخرجات القرن الحادي والعشرين لأنها القوة غير الملوسة التي اصبحت وامست تتحكم بقلوب وعقول الاخرين وبالتالي استقطابهم الى النموذج الامثل في ظل التنافس ما بين الوحدات الدولي في تروجهم للقيم والثقافات المختزلة من اتون التاريخ الامبراطوري للقوى الكبرى.

عندما جاءت " انجيلا ميركل" الى ادارة الحكم في المانيا كانت تحمل في فكرها الطموح لإعادة الدور الالماني الذي كان رائداً في ما قبل الحربين العالميتين ، وان اهم ما ميز المستشارة الالمانية "انجيلا ميركل" تحويل النظري الى التطبيق الفعلي الذي حصلت عليه في الجانب الاكاديمي لاسيما وانها بارعة في مجال الاقتصاد وبالفعل بدأت بنقل الاقتصاد الالماني نقلة كبيرة حتى اصبحت المتحكم في حل الازمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨ وازمة اليورو فيما يتعلق بتقديم الخطط والبرامج لإنقاذ مجموعة اليورو من الانهيار واعداد برامج لليونان وخطط تقشفية لإبقاء الاطار الاقتصادي الذي قام من اجله الاتحاد الاوربي، وبهذه المعطيات اخذت على عاتقها ريادة الموقف الاوربي على الصعد السياسية في مطالبتها لإعادة تعديل هيكل الامم المتحدة ومجلس الامن والدخول كعضو سادس دائم للتمتع بحق الفيتو، وعلى الرغم من عدم الاستجابة لضخامة القصد الا ان الجرأة والقوة التي تتمتع بها المانيا - ميركل جعلت لها مكانة دولية متقدمة في الهرمية الدولية ، وصولاً الى الجوانب العسكرية والتكنولوجية .

وبعد هذه التطورات التي عززتها سياسات ميركل اخذت على عاتقها البحث عن النفوذ الى العالم النامي بالاتكاء على القوة الناعمة (soft power) واستخدام الفاعل الرقمي الشبكة العنكبوتية وروافد مواقع التواصل الاجتماعي التي دخلت الى هاتف وحاسوب وتلفاز للافراد والعائلة والمؤسسات حتى اصبح العالم قرية صغيرة تتصارع فيه المعلومات ما بيت التصديق والتكذيب فيما بين الوحدات الدولية للتربع على القمة في النظام العالمي الالكتروني، ولعل اهم وسائل القوة الناعمة لالمانيا-ميركل :

> • نصبت "انجيلا ميركل" نفسها مكان النجاشي "الملك الذي لا يُظلم عنده أحد وعادل في حكمه، كريم في خلقه" لاحتضان اللاجئين السوريين والعراقيين وغيرهم.

١- نصبت انجيلا ميركل نفسها مكانة النجاشي ملك الحبشة "الملك الذي لا يُظلم عنده أحد وعادل في حكمة كريماً في خلقة" لاحتضان اللاجئين السوريين والعراقيين وغيرهم من الذين تعيش بلادهم حروبا اهلية .

٢- استطاعت ميركل ان تمسح صورة المانيا- الحرب التي مثلتها حقبة هتلر رغم فخر الالمان به ، وتعطي صورة المانيا الانسانية والسلام واحترام حقوق الانسان . وبالتالي المانيا بلا

عنصرية.

٣- دفاع المانيا عن الاسلام لتقطع الطريق امام الحركات الاسلامية الراديكالية من جر الشباب المسلم الى القتال والاقتتال والاندماج مع كافة الاثنيات القومية والدينية ، واكدت ميركل إن هناك نحو ٤ مليون مسلم يعيشون في ألمانيا، كما أن هناك حصصا دراسية في الدين الإسلامي تعطى في المانيا، وهناك أساتذة جامعات في مجال العقيدة الإسلامية. وتابعت حديثها :"لذلك فهي حقيقة أن الإسلام في الوقت الراهن جزء من ألمانيا أيضا".

٤- استحوذت "انجيلا ميركل" على معظم مواقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك " و " تويتر" للتعبير عن الامتنان لها بعبارات المديح والتبجيل للمستشارة الالمانية لموقفها من اللاجئين. وهي بوابة القوة الناعمة للترويج للنموذج الالماني والقيم المثالية التي تتمتع بها.

٥- تصدرت "ميركل" الموقف برفض الممارسات التي يقوم بها البوليس والجيش في مقدونيا وهنغاريا ورفض اي حواجز تحول امام الفارين والناجين من رحلة الموت . وبهذا الموقف اعطت صورة بانها احرص عليهم من قادة بلدانهم وسياسي بلدانهم الام الذين ضحوا من اجل كراسيهم بهم وجعلوهم لقمة سائغة لكل الحركات المتحاربة .

وبعد ذكر هذه المعطيات نجد ان اغلب اللاجئين يطرقون ابواب الامان والحرية والكرامة والرفاهية الاقتصادية التي فقدت في بلدانهم الام ،حتى وصل أن عدد الذين استقبلتهم السلطات الألمانية في شهر اب ٢٠١٥ اكثر من ١٠٥ آلاف وكمحصلة فانها استقبلت ٤٥٠ لاجئ خلال عام ، وخصصت ٣,٥ ملاين يورو (نحو أربعة ملايين دولار) لدعم العمل التطوعي الخاص بمساعدة اللاجئين. اعتمدت المانيا- ميركل على ابراز الجانب الانساني لألمانيا ، وكان التركيز الرئيسي على الاعداد الاكبر من المرحبين باللاجئين في العديد من المدن الالمانية. وامتلأت محطة فرانكفورت بالطعام والماء واكوام الثياب المعدة للقادمين الجدد، فيما تجمع المئات عند ارصفة المحطة.

وقدمت المانيا خطة لتقاسم ١٦٠ ألف لاجئ بين ٢٨ من دول الاتحاد الأوروبي ، وجاءت الموافقة من الكثير من الدول الاوربية كما رحب القطاع الصناعي الخاص بامتصاص العدد الكبير من اللاجئين وادماجهم في خطة العمل . والحقيقة التي يفهمها اصحاب الاختصاص الدقيق في الاقتصاد ان المانيا ذات الاقتصاد الاقوى من بين الدول الاوربية هي من اقل الدول في البطالة وبالوقت نفسه هي بحاجة الى يد عاملة رخيصة في ظل ازمة السيولة النقدية التي تمر بها معظم دول العالم اليوم، وهي احدى المرتكزات في تبني قبول اللاجئين رغم التحديات الكبرى في جانب الاندماج الاجتماعي والثقافي فيما يتعلق باللغة والديانة والقيم الى جانب التحدي الامني على المستوى المحلي والمستوى الدولي لاسيما وان اغلب اللاجئين جاءوا من بلدان تعج بالإرهاب .

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊



الفصل الثالث:

مواجهة الحرب الناعمة ...المنهج والاستراتيجية

إستراتيجية مواجهة الحرب الناعمة

لمواجهة الحرب الناعمة لابد من وضع خطة استراتيجية مدروسة من قبل السادة الفقهاء والعلماء الفضلاء والمختصين في كل بلد اسلامي بنحو يتناسب مع المعطيات الميدانية والاحداث ذات الصلة بالحرب الناعمة المتواصلة على الامة الاسلامية، ولاشك ان هذه النخبة هي الاحرص على الدفاع عن الاسلام العظيم وتحصين ابناء الامة الاسلامية من هذا الخطر الداهم وهي الاجدر في تقديم اللازم من ارشادات وتوجيهات وقد قدموا الكثير في هذا المجال، ولتعميم الفائدة نقدم مجموعة من هذه الارشادات والتوجيهات القيمة لتكون خير سبيل ومنهاج في مواجهة ومقاومة هذه الحرب الغادرة:

١- من الضروري الاقتناع والإيمان بأصل وجود الحرب الناعمة وديمومتها، كما ينبغي الفهم العميق لطبيعة الحرب الناعمة وآليات واستراتيجيات وتكتيكات عملها. فالحرب الناعمة منظومة متكاملة، وما لم يقتنع ويلتفت صانع القرار الإسلامي وكل متصد للمسؤولية إلى ذلك لن يستطيع اكتشاف مخططات العدو، ولن يستطيع معرفة وتحديد الأدوار المطلوبة من الأشخاص والمؤسسات والدول والمنظمات ووسائل الإعلام المعادية، وبالتالي لن يستطيع تمييز ومعرفة مدى خدمة تحركاته وخطواته لأهداف العدو، ومنها إيجاد الخلل في حسابات المسؤولين بنحو لا يجعلون ضمن أهدافهم أهدافاً متعارضة مع المصالح الامريكية.

٢- كما عرفنا ان الحرب الناعمة حرب معقدة وسرّية تعتمد على الخداع ، فالعدو تارة يظهر بلباس الذئاب وتارة بلباس الثعالب ، وعليه يتعين تشخيص الحقيقة في هذه الأجواء الملبدة أولاً، وإضفاء حالة من البصيرة على البيئة المحيطة ثانياً.

الحرب الناعمة من النوع الذي يحتاج إلى الرصد والمتابعة الدقيقة والحثيثة لحركة العدو كي تتضح وتتشخص أمامه المخططات، من هنا خطورة الحرب الناعمة، حيث لا يتفق الجميع في خضم المعركة على تشخيص مخططات وأهداف العدو وتحديد بوصلة المعركة، فالعدو ينتظر غفلة الناس والمسؤولين لينفذ مخططاته.

٣- الفهم الصحيح والتفصيلي لآليات عمل الحرب الناعمة واستراتيجياتها وتكتيكاتها لأن المعرفة تحدد اجراءات الرد المناسب للتعامل مع الموقف أملاً في تحقيق النصر وهزيمة العدو وإدخال اليأس إلى قلبه. وهنا تاتي أهمية التعمق في دراسة الآليات التفصيلية الجزئية لهذه الحرب وعدم الإكتفاء بالعناوين والمفاهيم الكلية، لأن الحرب الناعمة حرب تنتج آثارها على المدى الزمني البعيد وهي حرب نخبوية بطبيعتها، أي تحتاج الى التخصص والدراسة والبحث وهي ليست أمرا بسيطاً أو سهلاً.

ولو درسنا هذه الحقائق وفق الموازين الصحيحة والمحايدة لوجدنا أن هناك عملية قلب للحقائق، والعدو لديه كل الإمكانات والأساليب وهو قادر على أداء هذه المهمة من خلال أمرين:

أ- الخبرة في العمليات والأساليب الدعائية والإعلامية المبتكرة التي تتخفى خلف معايير الشفافية والمصداقية والمهنية وعشرات

الشعارات الفارغة من المحتوى الأخلاقي والمزدوجة والزائفة التي ترتكز على ثالوث الإعلام الغربي وهي (الإكتساح والفورية – التجزئة – تأطير وتغليف القضايا والأحداث وترويج المصطلحات الخاصة) وهي أساليب يعرفها أهل المهنة والإختصاص ولكنها تنطلي على الجمهور والرأي العام، ومن حسن الحظ أن هناك باحثين منصفين تحدثوا عنها بإسهاب كالمفكر "هيربرت شيللر" صاحب كتاب المتلاعبون بالعقول(١) و"فيليب تيلور" صاحب كتاب قصف العقول(٢) "وكل ذلك على قاعدة المثل الأميركي الرائج" "ان الكذبة تقطع نصف العالم قبل أن تنهض الحقيقة من سباتها وتتحضر وتستعد للظهور(٣) " وهو في الواقع مثل يجسد عصارة الفكر والمنهج الإعلامي السائد في الغرب.

ب ـ السيطرة على ٩٠٪ من الإعلام الدولي والعالمي والإقليمي والأفلام ومواقع الإنترنت ودور النشر الكبرى، وهناك عشرات الآليات والبرامج في الحرب الناعمة منها القديم الذي كان مستعملاً سابقاً في الحروب النفسية كآليات بث الإشاعات وبث الخلافات والفرقة الطائفية والقومية، ومنها المستحدث كتأسيس وتحريك الشبكات الإفتراضية وتمويلها وتدريبها على أساليب التواصل الإلكتروني والإعلامي الآمن على شبكات الإنترنت بعيداً عن عيون الرقابة الأمنية.

وقد أكد صاحبُ نظرية القوة الناعمة جوزيف ناي على خطورة معرفة الطرف المستهدَف بمخططات وآليات هذه الحرب بقوله " ان ملاحظة النفاق والإزدواجية والفجوات في الخطاب والسياسات والتصرفات الأمريكية يسبب التآكل والفشل في كل إجراءات وسياسات القوة الناعمة(٤)" ، كما دعت دراسة "مؤسسة راند للأبحاث الدفاعية" إلى توخي الحذر وعدم كشف حقيقة الإتصالات وحقيقة الآليات والبرامج المعتمدة مع القوى والشخصيات والجهات التي تتلقى الدعم والتدريب والتوجيه الأميركي لأن ذلك سيعرض الخطة الأميركية للخطر، وسيضر بمصالح هذه الأطراف المتعاونة مع المشروع الأميركي والغربي ويفشل المخططات المقررة(٥)".

٤- يجب الإيمان بأن الوحدة والانسجام بين المسؤولين والشعب والمذاهب والتيارات الاسلامية من أهم عوامل القوة لمواجهة الحرب الناعمة، فان أحد أهم أهدافها ومخططاتها تفكيك قوة الخصم وضرب موارده الناعمة.

بينما الصراعات تؤثر سلبا على الأداء العام في المجالات السياسية والاقتصادية والإدارية، وتؤدي إلى تعطيل الكثير من الطاقات والمشاريع وإلى سوء إنتاجية ونشاط المؤسسات، وإلى الوقوع في أخطاء وانحرافات كبرى في الأداء ، من هنا ينبغي لوسائل الإعلام والنشطاء والسياسيين والمسؤولين الإبتعاد عن الخلافات الهامشية، لأن الأولوية اليوم هي لمواجهة الحرب الناعمة التي يشنها العدو والتي تستهدف بث الفرقة والتشاؤم بين أبناء الامة، ومن أهم سبل مواجهة هذا الهجوم هو حفظ وتقوية البصيرة والروح التعبوية والمعنوية والأمل بالمستقبل. وهذا لا يعني إنكار وجود المشاكل والأزمات، ولا يلغي ضرورة القيام بواجب الإصلاح

(١) كتاب المتلاعبون بالعقول. هربرت شيللر. مجلة عالم المعرفة.

(٢) كتاب قصف العقول من العصور القديمة الى العصر النووي. فيليب تيلور. مجلة عالم المعرفة.

(٣) افكار وجدت لتبقى. شيب هيث ودان هيث. الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨ ترجمة شادي يونس.

(٤) القوة الناعمة. جوزيف ناي ص ٩٢.

(٥) دراسة معهد راند حول إنشاء شبكات إسلامية معتدلة منشورة على عدة مواقع منها www.islamonline.net



والمعالجة، وعليه لا ينبغي أن يظهر المسؤولون أمام العدو بمظهر الضعف لأنه ينتظر ذلك، حتى لو كانت هناك نقاط ضعف فيجب التستر عليها أمام الأعداء.

٥- من وظائف الحرب الناعمة خلط الأوراق وإثارة الأحداث ، أي أنها تخلط الحق بالباطل وترفع شعارات إصلاحية وعقلانية وتصل الى قيام العدو بإدعاء مد يد التعاون، وهذا ما يضيع البوصلة الصحيحة للأحداث والقضايا لدى من لم يستوعب الدرس بعد، ولم يفهم أن لعبة الحرب الناعمة والسياسات الدولية في عالم تكنولوجيا الإتصال والإعلام وعصر ثورة المعلومات أصبحت تقوم على معادلة الإقناع الإعلامي، وهو غير الإقناع البرهاني والشرعي، فالمنتصر والقوي هو الطرف الأقدر على إقناع العالم بمصداقية توصيفه للأحداث والوقائع بصرف النظر عن الحقائق والمعايير الأخلاقية، وفي الأحداث المثيرة يصعب معرفة ملابسات هذه الأحداث وتحديد المهاجم من المدافع والصديق من العدو لأن الحرب الناعمة عبارة عن تضليل الرأي العام بشعارات ظاهرها حق ومحتواها باطل. إن البصيرة هي الشرط اللازم والأساسي للنجاح في كل شيء للتوصل الى تحقيق الاهداف...ان مؤشر تشخيص الحق لا يعتمد على الأشخاص بل على البصيرة لتمييز الحق من الباطل لأن الكثير من الشخصيات المعروفة تخطأ.

٦-ينبغي على العلماء والمسؤولين الإنتباه إلى أن رصد مجريات الأمور يجب أن يتم عبر المصادر والطرق الشرعية، وأن يكون رصداً يقظاً ومتبصراً يستهدف تمحيص الأخبار وتشخيص الوقائع توخياً لمعرفة الحكم الصحيح على الأشخاص والأفكار وأخذ المواقف على ضوء المعايير والموازين الإسلامية، ولا ينبغي التأثر والأخذ بأخبار وتحليلات وسائل الإعلام المعادية، بل ينبغي إجراء قاعدة الإتهام وسوء الظن بأخبار وتحليلات وتصريحات وسائل إعلام العدو، ان إنسحاب العلماء وأهل الخبرة والمسؤولين وسكوتهم قد يساعد العدو في مخططاته.

٧-إن معرفة أهداف الحرب الناعمة وتحديدها وكشفها من العوامل المهمة لإحباطها، لأن معرفة أصل وسبب المشكلة والتعرف على جذورها الحقيقية والحديث عنها بأمانة ومصداقية تعد مدخلاً أساسياً للعلاج والشفاء.

٨- ينبغي توعية وتثقيف الناس حول الحرب الناعمة لانها تستهدف بالدرجة الاولى الشباب والطلاب والنساء والفئات قليلة التجربة والحنكة، المعبر عنهم بالجمهور والرأي العام، بهدف حرف أذهانهم وزعزعة نفوسهم، وعليه كلما إرتفع مستوى الوعي والثقافة والإيمان والمناعة الأخلاقية لدى هؤلاء الناس كلما فشلت مخططات الاعداء.

٩- يجب العمل بصورة عكسية لأهداف العدو، فإذا كان هدف العدو بث التشاؤم فينبغي بث الأمل والتفاؤل بالمستقبل، وإذا كان هدف العدو تمزيق اللحمة الوطنية فيجب تعزيز هذه الوحدة.

١٠- يجب مراعاة المصالح العليا في أخذ المواقف والتحركات والتدابير، فقد تقتضي المصلحة كتم بعض الأمور لفترة، وقد تقتضي إجراء المصالحة مع هذا الطرف أو غض النظر عن هفوة تلك الشخصية العامة، لأن العدو يتربص الدوائر وينتظر تفجر الصراعات ويرسم خططه على ضوئها.

١١-إن الرصد المبكر لمواقف وإشارات العدو وتحركاته ضروري لأجل تشخيص توجهاتنا وتحركاتنا كي لا تقع أية خطوة وتصريح وعمل نقوم به في خدمة أهداف العدو من حيث لا نحتسب، لأن العدو يحدد خطواته وتحركاته على ضوء تحركاتنا ومواقفنا ورصده لنقاط الضعف

والثغرات في جبهتنا.

١٢–ان العمل الاعلامي والارشاد الاسلامي مسؤولية ملقاة على عاتق العلماء والمثقفين والمؤسسات الإعلامية الإسلامية، فمن الضروري تقديم وإبتكار وتقديم النموذج الإسلامي للحياة الطيبة والعيش الكريم المتوازن بين الماديات والمعنويات كبديل عن نموذج التحلل والإستهلاك والإباحية العقائدية والعملية الذي تروجه أميركا والغرب، والإعلام يوفر فرصا كثيرة يمكن استثمارها وإغتنامها لتبليغ الرسالة والقيم الإسلامية، ولمواجهة الغزو الثقافي وأمواج الحرب الناعمة.

١٣–ان وسائل الإعلام تعبر عن الميول والسياسات والنوايا العدائية لزعماء السياسة في العالم، وتركز على ترويج ثقافة التحلل والإباحية العقائدية والعملية وسلب المعتقدات والأعراف ومواطن الإرتكاز التي تخلق العزيمة والإصرار لدى المرء في حركته بإتجاه هدفه المرسوم، وتتركه ضالاً معوجاً.

ان المسؤولية تقع على وسائل الإعلام الإسلامية والإعلاميين والفنانين الإسلاميين للعمل على رفع كفاءة وجاذبية الفن والإعلام الإسلامي الأصيل كي يضاهي ما تقدمه وسائل الإعلام الإمريكية والغربية، وتقديم نموذج إسلامي للحياة الطيبة المتوازنة معنوياً ومادياً قبال نموذج الإستهلاك والإباحية الذي تقدمه أميركا والذي يروج عبر المسلسلات التلفزيونية والإنترنت، ويجب العمل على تأسيس وتصميم نماذج وإستراتيجيات إعلامية، وعدم بقاء العمل بعقلية رد الفعل والتكتيك، أي عقلية الدفاع ورفع الظلم فحسب.

ومن هذه الإستراتيجيات الإعلامية ضرب أهداف وخطط العدو وتثبيت أسس الإرتكاز المعنوي والنفسي لدى الناس والحفاظ على الكيان الفكري والهوية الإسلامية.

١٤– يجب تحول وسائل الاعلام إلى جامعات لنشر الدين والعلم والأخلاق والفضائل والوعي وأسلوب العيش الأفضل، وتقديم الجديد في مجال العلم والسياسة والأفكار بلغة بليغة ومفهومة، حتى يستطيع الجميع الإرتواء من هذا المعين الفياض كل حسب قابليته.

ولابد أن يكون المسار العام لهذه الوسائل مصمماً بمجموعه لمواجهة الحرب الناعمة والحرب الثقافية، وليس في مجال نشرات الأخبار والبرامج السياسية فحسب، بل البرامج اليومية وبالأخص البرامج الثقافية وبرامج التسلية، لأن العدو يركز عليها لجذب الناس نحو قيمه وأفكاره وشعاراته.

وموضوع التسلية في وسائل الاعلام من النقاط فائقة الأهمية، لأن العدو يستهدف من خلال أسلوب عرض المسلسلات وبرامج التسلية بناء جيل يفكر ويعيش وفق نمط الثقافة الأمريكية، وهذا الأمر لم يعد من قبيل التحليل او نظرية المؤامرة بعد الوثائق التي نشرها موقع ويكيليكس عن عشرات اللقاءات والإجتماعات التنسيقية السرية التي عقدت لهذه الغاية بين مسؤولين أمريكيين وسعوديين للإتفاق على برامج ومسلسلات أميركية خاصة.

١٥–يجب الإلتفات إلى خطورة الغزو الإعلامي الذي اخترق مجتمعنا العربي والإسلامي عبر شبكات الإنترنت، وقد جاء في دراسة لمجلة الإكسبرس الفرنسية أن ٩٠٪ من المتصفحين (٧٥ مليون مستخدم) لشبكة الإنترنت في منطقة الشرق الأوسط هم من الشباب والأطفال والمراهقين[١] وحتى ألعاب فيديو الأطفال والمراهقين أصبحت تصمم لترويج موجهات تربوية وأخلاقية وفكرية خطيرة على الأطفال

---

(١) تحقيق بعنوان «جيل الانترنت العربي وكسر تابو السلطة السياسية» –جريدة السفير بتاريخ ٢٠٠١/٢/٩.



والأجيال القادمة[1].

وقد كشفت دراسة لمؤسسة الفكر العربي أن هناك ٤٢٠٠٠ موقع وصفحة الكترونية عربية على شبكة الإنترنت أغلبها مواقع ترفيهية وسياحية وشعرية ونسائية وغنائية وسينمائية ومدونات شخصية، وأن من بين ٣٢٠ مليون عملية بحث تجري شهرياً يذهب أكثر من ٦٠٪ منها نحو عناوين وموضوعات سطحية وترفيهية وفنية وغنائية وسينمائية.

وبالنسبة الى المواقع الاجنبية والجنسية، فيتعذر إحصاؤها حتى من قبل القائمين على شبكة الانترنت أنفسهم؟ مع وجود آلاف غرف الدردشة المليئة باللغو وهدر الوقت ، فضلاً عن شبكة facebook وtwitter ذات الأبعاد المؤثرة تربوياً وثقافياً ونفسياً إذا ما تركت بدون ضوابط وقيود، وسنحصد جيلاً أمريكياً بعيداً كل البعد عن قيم الإسلام والعلم والأخلاق.

وهذا يتطابق مع مشروع أعده "جارد كوهين" مدير قسم التخطيط السياسي في الخارجية الأميركية، وبحكم منصبه السابق في إدارة قسم الأفكار في موقع Google تمكن عبر تحليل معطيات شبكة الإنترنت من قراءة ومشاهدة حجم التحول الهائل الذي طرأ على نوعية وأنماط تفكير أبناء الجيل العربي والإسلامي، وتوصل إلى أن هذا الجيل "انفتح على العالم ويريد التحرر السياسي والسلام والعيش المشترك[2]" وقد عبّر عن مشروعه في كتابه أطفال الجهاد Children of jihad وحث الإدارة الأميركية على رصد الميزانيات لدعم التواصل مع جيل الإنترنت وتأسيس المنظمات الشبابية الموالية لأميركا.

١٦- إن أساتذة الجامعات من خلال اشرافهم الكامل على القضايا العامة ومعرفة العدو يتعين عليهم كشف أهدافه ومخططاته ووضع خطط شاملة والتحرك وفقاً لها، ويجب على الأساتذة تنمية القدرة التحليلية للطلاب وإيجاد أجواء مفعمة بالأمل والنشاط العلمي وتأسيس كراسي الفكر والبحث الحر.

وينبغي التاكيد هنا على أولوية أسلمة العلوم الإنسانية والإجتماعية فان الكثير من العلوم الإنسانية قد بني على أسس فلسفية ومبان فكرية نابعة من النزعة المادية التي تنبذ التعاليم الإلهية والإسلامية، ولذلك فان تعليمها للجيل الجديد سيؤدي إلى إنكار التعاليم الإلهية والإسلامية والتشكيك في المبادئ الدينية والعقائدية، وينبغي لمراكز صنع القرار التركيز على هذه المسألة. وينبغي الإلتفات إلى الطلاب العائدين والمتخرجين من الجامعات الغربية بما يضمن إعادة توجيههم إسلامياً.

كما ينبغي تفعيل عمل المدارس العلمية الدينية ووسائل جذبها للشباب والطلبة واستكمال مشاريع إصلاحها وفق خطين: خط إصلاح مناهج وطرق وأساليب التدريس والتعليم، وخط تطوير المحتوى من خلال تعديل المواد والمناهج الدراسية والجمع بين الأصالة والمعاصرة وإضافة علوم جديدة.

١٧- على طلبة الجامعات الحذر من مخططات العدو الرامية إلى احداث الخلل في العمل العلمي والدراسي للجامعات عن طريق زجهم في القضايا السياسية والامور الهامشية.

١٨- ان تعزيز النظرة المفعمة بالأمل بالمستقبل، والحكمة في التصرف والابتعاد عن الإفراط

---

(١) بحث منشور بعنوان «ولت ديزني وصناعة العقول – قوة ناعمة أشد فتكا». www.quran-radio.com

(٢) مقالة تحت عنوان «الدبلوماسية الرقمية في خدمة السياسة الأميركية» للكاتب زكريا سحنونئن منشورة في موقع التجديد www.attajdid.info ومقالة بعنوان «نيو ميديا / سلاح في خدمة أميركا وإسرائيل» لخضر عواركة نشرها موقع قناة الجزيرة للدراسات ٢٠٠٩.



والتفريط في التعامل مع الأمور من شأنه ان يؤدي إلى تعزيز المناعة أمام الحرب الناعمة.

١٩- من الضروري بث ثقافة مطالعة وتاليف الكتب، وارتياد المكتبات العامة بين الطلاب والأحداث والشباب والأساتذة ، وحسن عرض الكتب المفيدة خاصة لأبناء الجيل الجديد نظراً لدورها في ترسيخ وبناء الوعي الأصيل.

٢٠- يجب الإهتمام بالقرآن وبالثقافة القرآنية لأن حياة الأمم والشعوب إنما تكون في ظل التعرف على المعارف القرآنية والعمل بمقتضاها، وان ضعفنا نحن الأمة الإسلامية وتخلفنا وضلالاتنا واضطراباتنا في القضايا الأخلاقية والحياتية ناجم عن الابتعاد عن القرآن.

◊ ◈ ◈ ◉ ◈ ◈ ◊

كتب عن القوة و الحرب الناعمة .



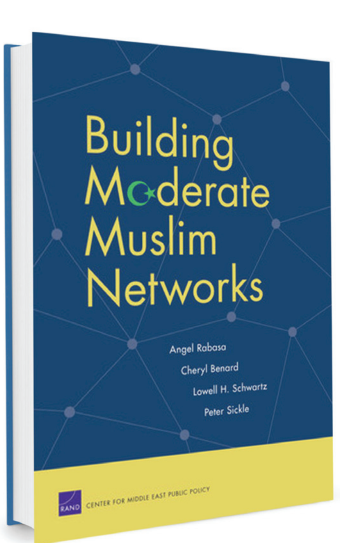


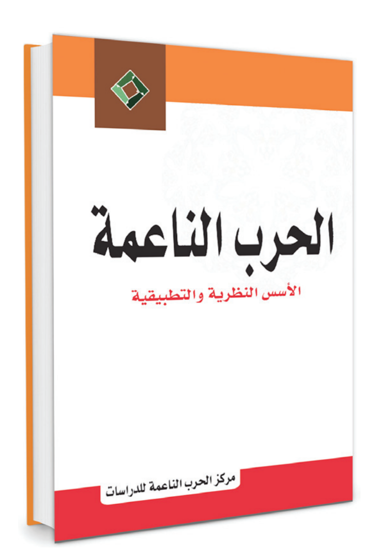




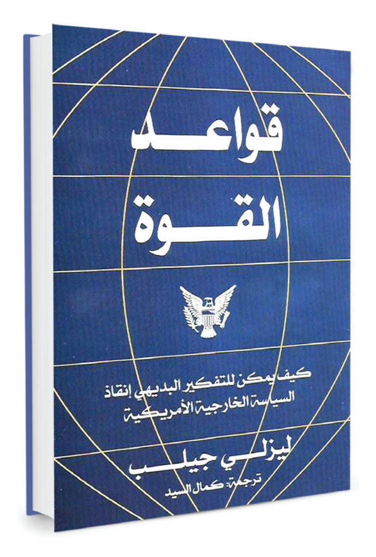


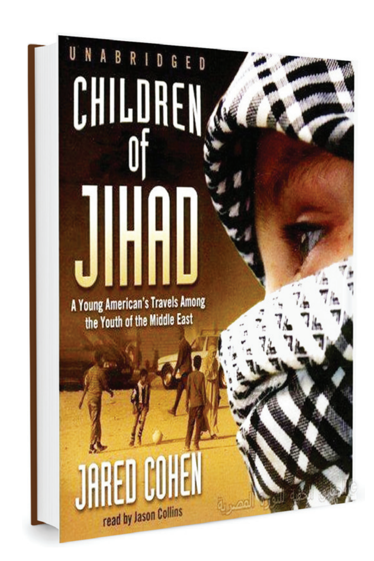


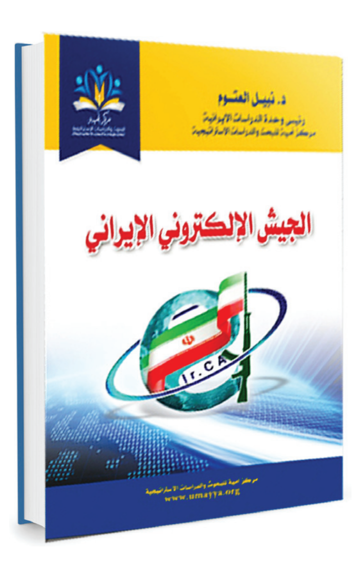




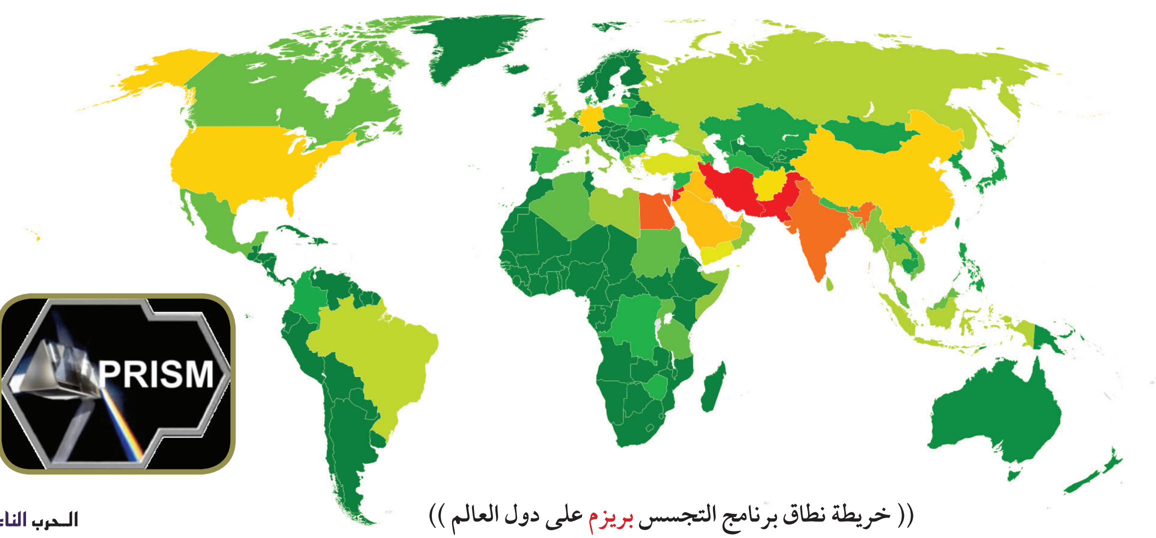








رموز عن الحرب الناعمة .

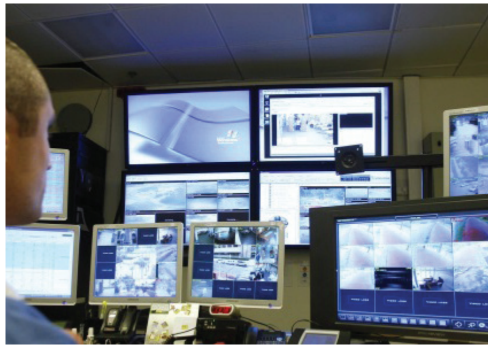


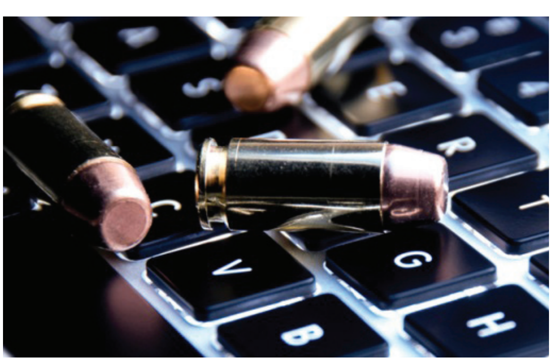
((خريطة نطاق برنامج التجسس بريزم على دول العالم))









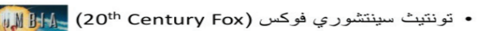












أضخم شركات الإنتاج الأمريكيه

- تونتيث سينتشوري فوكس (20th Century Fox)
- شركة والت ديزني (Disney)
- وارنر برذرز (Warner Brothers)
- يونيفرسل (Universal)
- سوني (Columbia)
- باراماونت (Paramount)

